بحوث في علوم القرآن

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ ~ ١٩٩٣م

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٧٧٣٥

دكتور
محمد نبيل غنايم
أستاذ الشريعة - كلية دار العلوم
جامعة القاهرة

بحوث في علوم القرآن

دار الصابوني
دار الهداية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاه

وبعد

فهذه بحوث فى علوم القرآن الكريم كتبتها لطلاب الجامعة وفيها نفع كبير لغيرهم أيضا ، فالقرآن الكريم هو كتاب الله الخالد ومعجزة الإسلام الكبرى ودستور المسلمين العظيم إلى يوم الدين فكل ما يتعلق به وبعلومه هام لكل المسلمين طلابا وعامة .

وتقع هذه البحوث فى قسمين :

تناول القسم الأول منها تعريفا شاملا ووافيا بالقرآن الكريم وتاريخ علومه وقد ضم ذلك القسم سبعة بحوث :

تناول البحث الأول منها التعريف بالقرآن لغة وشرعا وبيان أسمائه وصفاته وأسرار ذلك والتعريف بتقسيم القرآن إلى سور وآيات وأجزاء وغيرها وأقوال العلماء فى ترتيب هذه الأقسام ، ثم جاء التعريف بعلوم القرآن وتطورها وتطور التأليف فيها فى الماضى والحاضر وأشهر الكتب فى ذلك ، وكانت الفقرة الأخيرة من هذا البحث عن أغراض القرآن و أهدافه ومقاصده . وجاء البحث الثانى للكلام عن نزول القرآن الكريم فبين نزوله قبل الرسالة إلى بيت العزة ، ثم نزوله بالوحى مفرقا على النبى ﷺ والحكمة من هذا التفريق وكيفيات نزول الوحى ، ثم المكى والمدنى ومميزات كل منهما ، وبيان أول

ما نزل وآخر ما نزل ، ومعرفة أسباب النزول ثم التعرف على المراد بالأحرف السبعة التى نزل بها القرآن الكريم .

أما البحث الثالث فموضوعه كتابة القرآن ورسم المصاحف وتطورها وفيه تحدثنا عن كتاب الوحى الذين كتبوا القرآن إبان نزوله وكيفية كتابتهم ، ثم عن جمع كل من أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما للقرآن الكريم ثم بينا عناية المسلمين بكتابة القرآن ورسم المصحف من حيث النقط والتشكيل والكتابة والطباعة فى العصر الحديث .

وجاء البحث الرابع للتعريف بالمحكم والمتشابه فى القرآن الكريم فبين أقوال العلماء فى ذلك والراجح منها ثم قدم بيانا لأسباب التشابه ، ثم قدم نموذجين من المتشابه فى القرآن وآراء العلماء فى بيان المعنى المراد فى كل منهما والراجح من ذلك والحكمة من وجود هذا المتشابه فى القرآن الكريم .

أما البحث الخامس فعن علم الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم وقد وقع فى عدة فقرات حيث عرف كلا منهما لغة وشرعا ثم بين أهمية هذا العلم وحكمته ، ثم بين أقسامه وأنواعه واستشهد بنماذج لكل نوع ، كما بين شروطه وضوابطه ، وهل ينسخ القرآن الكريم بالسنة النبوية أولا ؟

وجاء البحث السادس فى موضوع غاية فى الأهمية وهو إعجاز القرآن وقد تناول معنى هذا الإعجاز وأهمية معرفته وتدرج القرآن فى إعجاز القوم ثم بيان وجوه الإعجاز التى ذكرها العلماء واختيار الراجح من بينها والانتهاء إلى أن الإعجاز بحر محيط لا يعلم حدوده إلا الله رب العالمين . ثم بيان الحكمة من هذا الإعجاز وكونه فى القرآن بخاصة ، والمقدار الذى يتحقق به الإعجاز من القرآن الكريم .

أما البحث السابع فيتناول بالإجمال ذكر بعض فضائل القرآن الكريم

وآداب تعلمه ومواضع السجدات منه ، وما يستحب قراءته فى أوقات مخصوصة من سوره وآياته وكذلك الآداب العامة مع القرآن الكريم ومسه وحمله وقراءته .

أما القسم الثانى فيتصدى لبيان ما يثيره أعداء الإسلام من الطعن فى القرآن الكريم ومحاولات النيل منه ومن إعجازه بإثارة الشبهات حوله ويقع فى ثلاثة فصول :

يتناول الفصل الأول منها تعريفا بالغزو الفكرى بصفة عامة فى ماضيه وحاضره وأهدافه ووسائله وأنواعه .

أما الفصل الثانى فيتحدث عن مطاعن الغزاة فى القرآن الكريم وقد قسم هذه المطاعن إلى سبعة أنواع :

أحدها : عن ادعاء بشريته .
والثانى عن اقتباسه من الكتب السابقة .
والثالث عن عدم إعجازه .
والرابع عن تحريفه وتبديله .
والخامس عن أخطائه العلمية واللغوية والتاريخية والتشريعية .
والسادس عن ادعاء تناقض آياته مع بعضها البعض .
والسابع عن عدم تقديمه للنظريات والمبادىء العامة .

وجاء الفصل الثالث ليرد على هذه الادعاءات ويفندها ويبين بطلانها ويقيم الأدلة العقلية والنقلية على ذلك فعن الادعاء الأول قدمنا أربعة عشر دليلا على أن القرآن وحى من عند الله وليس بشريا ولا من عمل محمد ، وأقمنا خمسة أدلة عامة وستة تطبيقية على أن القرآن ليس مقتبسا من التوراة والانجيل ، وعن الادعاء الثالث قدمنا خمسة أدلة على أن القرآن معجز وفى

قمة الإعجاز ، وعن الادعاء الرابع قدمنا سبعة أدلة على أن القرآن الكريم معافى من أى تحريف أو تبديل ، وعن الادعاء الخامس قدمنا أربعة أدلة إجمالية على ابطال دعوى التناقض بين بعض آيات القرآن ثم وضحنا ذلك فى اثنى عشر موضعا مما استندوا إليه ووضحنا بطلانه وعن الادعاء السادس ناقشنا الأخطاء التى قدموها وبينا أنهم هم المخطئون وأن القرآن الكريم فى قمة الأداء ، أما الفقرة السابعة فناقشنا فيها موضوع النظريات التى يتساءلون عنها وبينا ما قدمه القرآن فى هذا المجال مما لم يسبق إليه ولم يلحق فيه ، ودعمنا ذلك كله بأقوال العلماء والمفكرين وبعض المنصفين من غير المسلمين .

أسأل الله تعالى أن يجعل هذه البحوث خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها ، ويجعلها فى خدمة القرآن الكريم وفى ميزان حسناتنا يوم نلقاه إنه نعم المولى ونعم النصير .

دكتور محمد نبيل غنايم

القاهرة فى ٢١ نوفمبر ١٩٩٢م

٢٦ جمادى الأولى ١٤١٣هـ

القسم الأول

في علوم القرآن

البحث الأول

فى التعريف بالقرآن وعلومه ومقاصده

١ – القرآن كما تقول المعاجم اللغوية مشتق من الفعل قرأ أو مصدر هذا الفعل ومعناه تتبع الكلمات نظرا ونطقا أو بلا نطق ، كما تعنى أيضا الجمع وضم بعض الشيء إلى بعضه الآخر ، قال فى المعجم الوسيط : قرأ الكتاب قراءة وقرآنا : تتبع كلماته نظرا ونطق بها ، وتتبع كلماته ولم ينطق بها ، وسميت حديثا بالقراءة الصامتة ، والآية من القرآن نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ فهو قارىء والجمع قراء ، وقرأ عليه السلام قراءة أبلغه إياه وقرأ الشيء قرءا وقرآنا جمعه وضم بعضه إلى بعض[1] . . .

وقال فى الصحاح : قرأت الشيء قرآنا جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، وقرأت الكتاب قراءة وقرآنا ، ومنه سمى القرآن .

وقال أبو عبيدة : سمى القرآن لأنه يجمع السور فيضمها ، وقوله تعالى : ﴿ **إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾[2] أى قراءته وجمعه[3] فالقرآن إذن من القراءة نظرا ونطقا أو بمعنى الجمع والضم لأنه يجمع الآيات والسور ، هذا فى اللغة أما فى اصطلاح العلماء فله عدة تعريفات .

---

(١) المعجم الوسيط مادة قرأ ج ٢ ص ٧٢٢ .

(٢) سورة القيامة ١٧ .

(٣) الصحاح فى اللغة والعلوم مادة قرأ ص ٩٠٥ .

فالمتكلمون يعرفونه بأنه الكلام الإلهى النفسى المنزل على رسول الله ﷺ وهذا يعنى أنه صفة من صفات الله تعالى وأنه قديم ولذلك قالوا : إنه الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الحكمية من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس . . وهذه الكلمات أزلية مجردة عن الحروف اللفظية ، هذا من جهة الأصل أما من جهة النزول فقد اشتركوا مع غيرهم فى أنه اللفظ المنزل على النبى ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس الممتاز بخصائص معينة . . فهو مظاهر وصور لتلك الكلمات الحكمية الأزلية التى هى صفة من صفات الله تعالى كالصورة التى تنطبع فى المرآة ، والغاية من ذلك التعريف تنزيه الله تعالى وصفاته عن صفات الحوادث ، أما تعريفه عند الأصوليين والفقهاء وعلماء اللغة العربية فهو « الكلام المعجز المنزل على النبى ﷺ المكتوب فى المصاحف المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته »[1] وهذا التعريف كما نرى يجمع بين الخصائص العظمى للقرآن الكريم التى تميزه عما سواه فهو معجز ، ومنزل على النبى ﷺ ومكتوب فى المصاحف ، ومنقول بالتواتر ، ومتعبد بتلاوته فالإعجاز يميزه عن سائر الكلام وهو بهذا كان حجة على الكافرين ودليلا على صدق رسالة حامله محمد ﷺ ، وهو منزل من قبل الله وبطريق الوحى وهذا يميزه عن السنة النبوية فهى ليست معجزة وليست منزلة ، وهو مكتوب فى المصاحف ، وهذا أيضا يميزه عن السنة النبوية التى لم يدون معظمها إلا فى فترات متأخرة عن وفاة النبى ﷺ ، وكذلك المنقول بالتواتر وهو الجمع الكبير الذى يستحيل معه الكذب أو الخطأ وهذا التواتر قد انفرد به القرآن ولم يشاركه فى ذلك كلام آخر اللهم إلا قلة نادرة من أحاديث النبى ﷺ ، والمتعبد بتلاوته يميزه عن الأحاديث القدسية

---

(١) انظر : مناهل العرفان ص ٨ - ١٣ .

بها وليست للإعجاز والتحدى وليست متواترة ولا منزلة بطريق الوحى .

فالقرآن الكريم علم على هذا الكتاب المعروف بين الناس من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ، وهو كلام الله تعالى الذى نزل به جبريل عليه السلام فى اليقظة على النبى ﷺ بلسان عربى مبين ، وأصبح آية ومعجزة من معجزات النبى ﷺ بل هو الآية الكبرى والمعجزة العظمى على صدقه وصدق رسالته وقد تحدى الله عز وجل به الإنس والجن والعرب والعجم فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بمثل أقصر سورة منه ، وقد حفظه أصحاب رسول الله ﷺ فى صدورهم ثم كتبوه مع كتاب الوحى فى السطور فاجتمع له الحفظ والكتابة ثم نقله الخلف عن السلف جيلا بعد جيل وجمعا بعد جمع فبقى كما أنزل إلى يومنا هذا بلا زيادة ولا نقصان لأن الله تعالى تكفل بحفظه ورعايته كما قال وقوله الحق ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1] وهو علم على كل القرآن الكريم ، وعلى بعضه أيضا فنقول على الآية من آياته أو الكلمة من كلماته قرآنا كما نقول على المصحف جميعه قرآنا .

٢ - وللقرآن الكريم عدة أسماء أشهرها خمسة هى : القرآن ، الفرقان ، الكتاب ، التنزيل ، الذكر ، وقد وردت جميعها فى القرآن الكريم وإليك بيانها : أما اسم القرآن فقد ورد سبعين[2] مرة من أشهرها قوله تعالى ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس** ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ **وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له**

---

(١) سورة الحجر ٩ .

(٢) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة قرآن ص ٥٣٩/٥٤٠ .

(٣) سورة البقرة ١٨٥ .

وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾[1] وقوله : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات وأما الكتاب فقد ورد فى ثلاثين ومائتين من الآيات منها ما هو خاص بالقرآن ومنه ما يطلق على غيره من كتب الرسل الآخرين كما هو معروف عن اليهود والنصارى الذين يسميهم القرآن الكريم أهل الكتاب ، ومن أشهر الآيات التى أطلقت الكتاب على القرآن الكريم قوله تعالى فى صدر سورة البقرة : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾[3] وقوله تعالى : الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾[5] كما ورد هذا اللفظ منكرا فى اثنتى عشرة آية منها ما يخص القرآن الكريم ومنها ما يعود على غيره ، فما يخص القرآن قوله تعالى : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى ﴾[6] ، وأما التنزيل فقد ورد فى خمس عشرة آية منها قوله تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ﴾[7] وقوله : ﴿ تنزيل العزيز الرحيم ﴾[8] وقوله :

---

(١) سورة الأعراف ٢٠٤ .
(٢) سورة الإسراء ٨٨ .
(٣) سورة البقرة ٢ .
(٤) سورة الكهف ١ .
(٥) سورة الجمعة ٢ .
(٦) سورة الزمر ٢٣ .
(٧) سورة الشعراء ١٩٣ .
(٨) سورة يس ٥ .

﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾[11] وقوله : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾[12] وقوله : ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾[13] .

أما الذكر فقد ورد فى ثلاث وستين آية منها ما يخص القرآن الكريم ومنها ما يعود على غيره ومن أشهر الآيات التى تخص القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾[1] وقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[2] وقوله : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾[3] وقوله : ﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ﴾[4] وقوله : ﴿ قد أنزل الله إليكم ذكرا ﴾[5]

وأما الفرقان فقد ورد فى سبعة مواضع منها ما هو خاص بالقرآن ومنها ما ينصرف إلى غيره فأما العائد على القرآن فمن أشهره قوله تعالى : ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾[6] وقوله : ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة

---

(١) سورة فصلت : ٢ .
(٢) سورة فصلت : ٤٢ .
(٣) سورة الواقعة : ٨٠ .
(٤) سورة آل عمران : ٥٨ .
(٥) سورة الحجر : ٩ .
(٦) سورة النحل : ٤٤ .
(٧) سورة طه : ٩٩ .
(٨) سورة الطلاق : ١٠ .
(٩) سورة الفرقان : ١ .

تلك هى أشهر أسماء القرآن الكريم وأشهر هذه الأسماء « القرآن » وهناك صفات عديدة للقرآن اعتبرها البعض أسماء حتى بلغ بها خمسين أو يزيد وفى ذلك يقول السيوطى رحمه الله « قال الجاحظ سمى الله كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل ، سمى جملته قرآنا كما سموا ديوانا وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضها آية كالبيت وآخرها فاصلة كقافية ، وقال أبو المعانى عزيزى بن عبد الملك . . اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما ، سماه كتابا ومبينا فى قوله : ﴿ حم والكتاب المبين ﴾[٢] وقرآنا وكريما فى قوله : ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾[٣] وكلاما حتى يسمع كلام الله ، ونورا ﴿ وأنزلنا إليكم نورا مبينا ﴾[٤] وهدى ورحمة ﴿ وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾[٥] وفرقانا ﴿ نزل الفرقان على عبده ﴾ وشفاء ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ﴾[٦] وموعظة ﴿ قد جاءتكم موعظة من ربكم ﴾[٧] وذكرا ومباركا ﴿ وهذا ذكر مبارك أنزلناه ﴾[٨]

---

(١) سورة آل عمران : ٢ - ٤ .
(٢) سورة الزخرف : ٢ .
(٣) سورة الواقعة : ٧٧ .
(٤) سورة النساء : ١٧٤ .
(٥) سورة يونس : ٥٧ .
(٦) سورة الإسراء : ٨٢ .
(٧) سورة يونس : ٥٧ .
(٨) سورة الأنبياء : ٥٠ .

وعليا ﴿ **وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم** ﴾[1] وحكيما ﴿ **تلك آيات الكتاب الحكيم** ﴾[2] ومهيمنا مصدقا لما بين يديه من الكتاب ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه** ﴾[3] وحبلا ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** ﴾[4] وصراطا مستقيما ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه** ﴾[5] وقيما ﴿ **الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه** ﴾[6] وقولا فصلا ﴿ **إنه لقول فصل . وما هو بالهزل** ﴾[7] ونبأ عظيم ﴿ **عم يتساءلون عن النبأ العظيم** ﴾[8] وأحسن الحديث ومثانى ومتشابها ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى** ﴾[9] وتنزيلا ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين** ﴾[10] وروحا ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا** ﴾[11] ووحيا ﴿ **إنما أنذركم بالوحى** ﴾[12] وعربيا ﴿ **قرآنا عربيا غير ذى عوج** ﴾[13] وبصائر ﴿ **هذا بصائر للناس** ﴾[14] ، وبيانا ﴿ **هذا بيان**

---

(١) سورة الزخرف : ٤ .
(٢) سورة يونس : ١ .
(٣) سورة المائدة : ٤٨ .
(٤) سورة آل عمران : ١٠٣ .
(٥) سورة الأنعام : ١٥٣ .
(٦) سورة الكهف : ١ ، ٢ .
(٧) سورة الطارق : ١٣ ، ١٤ .
(٨) سورة النبأ : ١ ، ٢ .
(٩) سورة الزمر : ٢٣ .
(١٠) سورة الشعراء : ١٩٢ .
(١١) سورة الشورى : ٥٢ .
(١٢) سورة الأنبياء : ٤٥ .
(١٣) سورة الزمر : ٢٨ .
(١٤) سورة الجاثية : ٢٠ .

للناس ﴾[1] وعلما ﴿ من بعد ما جاءك من العلم ﴾[2] وحقا ﴿ إن هذا لهو القصص الحق ﴾[3] وهاديا ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقول ﴾[4] وعجبا ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾[5] وتذكرة ﴿ وإنه لتذكرة للمتقين ﴾[6] والعروة الوثقى ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾[7] وصدقا ﴿ والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون ﴾[8] وعدلا ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ﴾[9] ، وأمرا ﴿ ذلك أمر الله أنزله إليكم ﴾[10] ومناديا ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان ﴾[11] وبشرى ﴿ وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾[12] ، ومجيدا ﴿ بل هو قرآنا مجيد . فى لوح محفوظ ﴾[13] وزبورا ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ﴾[14] ، وبشيرا ونذيرا ﴿ كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا ﴾[15] وعزيزا ﴿ وإنه لكتاب

---

(١) سورة آل عمران : ١٣٨ .
(٢) سورة البقرة : ١٤٥ .
(٣) سورة آل عمران : ٦٢ .
(٤) سورة الإسراء : ٩ .
(٥) سورة الجن : ١ .
(٦) سورة الحاقة : ٤٨ .
(٧) سورة لقمان : ٢٢ .
(٨) سورة الزمر : ٣٣ .
(٩) سورة الأنعام : ١١٥ .
(١٠) سورة الطلاق : ٥ .
(١١) سورة اضل عمران : ١٩٣ .
(١٢) سورة البقرة : ٩٧ .
(١٣) سورة البروج : ٢١ ، ٢٢ .
(١٤) سورة الأنبياء : ١٠٥ .
(١٥) سورة فصلت : ٣ ، ٤ .

عزيز ﴾[1] وبلاغا **﴿ هذا بلاغ للناس ﴾**[2] ، وقصصا **﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾**[3] ، وسماه أربعة أسماء فى آية واحدة **﴿ فى صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة ﴾**[4] ثم أخذ السيوطى يبين أسرار التسمية بهذه الأسماء فقال : فأما تسميته كتابا فلجمعه أنواع العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجه والكتاب لغة الجمع ، والمبين لأنه إبان أى أظهر الحق من الباطل ، وأما القرآن فقد اختار السيوطى أنه اسم علم غير مشتق خاص بكلام الله تعالى ونسب ذلك إلى الشافعى وذكر أقوالا أخرى أجملها قول الراغب : لا يقال لكل جمع قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن قال : وإنما سمى قرآنا لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة . وقيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها . . . وأما الكلام فمشتق من الكلم بمعنى التأثير لأنه يؤثر فى ذهن السامع فائدة لم تكن عنده ، وأما النور فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام ، وأما الهدى فلأن فيه دلالة على الحق ، وأما الفرقان فلأنه فرق بين الحق والباطل ، وأما الشفاء فلأنه يشفى من الأمراض القلبية كالكفر والجهل والغل والبدنية أيضا ، وأما الذكر فلما فيه من المواعظ وأخبار الأمم الماضية ، والذكر أيضا الشرف قال تعالى : **﴿ وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾**[5] أى شرف لأنه بلغتهم ، وأما الحكمة فلأنه نزل على القانون المعتبر من وضع كل شىء فى محله ، أو لأنه مشتمل على الحكمة ، وأما الحكيم فلأنه أحكمت آياته بعجيب النظم وبديع المعانى ،

---

(١) سورة فصلت : ٤١ .

(٢) سورة إبراهيم : ٥٢ .

(٣) سورة يوسف : ٣ .

(٤) سورة عبس : ١٣ ، ١٤ .

(٥) سورة الزخرف : ٤٤ .

وأحكمت عن تطرق التبديل والتحريف والاختلاف والتباين ، وأما المهيمن فلأنه شاهد على جميع الكتب والأمم السالفة ، وأما الحبل فلأنه من تمسك به وصل إلى الجنة أو الهدى والحبل السبب ، وأما الصراط المستقيم فلأنه طريق إلى الجنة قويم لا عوج فيه ، وأما المثانى فلأن فيه بيان قصص الأمم السابقة فهو ثان لما تقدمه وقيل لتكرار القصص والمواعظ فيه ، وقيل لأنه نزل مرة بالمعنى ومرة باللفظ ، والمعنى لقوله : ﴿ **إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى** ﴾[1] وأما المتشابه فلأنه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق ، وأما الروح فلأنه تحيا به القلوب والأنفس ، وأما المجيد فلشرفه ، وأما العزيز فلأنه يعز على من يروم معارضته ، وأما البلاغ فلأنه أبلغ به الناس ما أمروا به وما نهوا عنه ، أو لأن فيه بلاغة وكفاية عن غيره . . . حكى المظفرى فى تاريخه قال : لما جمع أبو بكر القرآن قال سموه فقال بعضهم سموه إنجيلا فكرهوه ، وقال بعضهم سموه السفر فكرهوه من يهود ، فقال ابن مسعود : رأيت بالحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به[2] .

٣ - سوره وآياته وأقسامه :

أما سوره فالمجمع عليه أنها مائة وأربع عشرة سورة أولها الفاتحة وآخرها الناس بهذا الترتيب الموجود فى المصاحف التى بين أيدينا ، وشذ عن ذلك من جعلها مائة وثلاث عشرة وذلك تضم سورة براءة إلى الأنفال حيث لا فاصل بينهما بالبسملة كسائر السور ، ومن جعلها مائة واثنتى عشرة سورة كمصحف ابن مسعود الذى لم يكتب فيه المعوذتين : الفلق والناس ، وفى

---

(١) سورة الأعلى : ١٨ ، ١٩ .

(٢) انظر : الاتقان فى علوم القرآن ج١ ص٥٠ - ٥٢ باختصار وتصرف .
وانظر : مباحث فى علوم القرآن ص ١٧ - ٢١ .

مصحف أبيّ مائة وست عشرة سورة بإضافة دعاءين قنت بهما النبى ﷺ هما الحفد والخلع وليسا من القرآن ، قال السيوطى أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة . . . . وفى مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة لأنه لم يكتب المعوذتين ، وفى مصحف أبيّ مائة وست عشرة لأنه كتب فى آخره سورتى الحفد والخلع . .[1] » والصحيح الذى أجمع عليه الصحابة والتابعون ونقله الخلف عن السلف بالتواتر أنه مائة وأربع عشرة سورة ولا أعتبار لمن ضم سورتين كالأنفال وبراءة والضحى والشرح والفيل وقريش أو أضاف قنوت النبى ﷺ « اللهم إنا نستعينك ونستغفرك » ، « اللهم إياك نعبد » فليس بعد جمع أبى بكر وعثمان مكان وليس على غيرهما مقول .

وأما آياته فالمشهور أنها ستة آلاف وستمائة وست عشرة آية وقيل غير ذلك وسبب الاختلاف أن النبى ﷺ كان يقف أحيانا عند فواصل الآيات وأحيانا لا يقف فمنهم من أخذ بالوقف ومنهم من أخذ بالوصل واعتبر الآيتين آية ، والآية من القرآن هي الكلمة أو الجملة أو الكلمات أو الجمل التى تدل على معنى مستقل من معانى القرآن سميت بذلك لأنها علامة على الاستقلال وأمارة عليه وعدد الأيات وترتيبها توقيفى عن النبى ﷺ عن جبريل عليه السلام ، وقد حكى السيوطى فى تعريف الآية عدة آراء أشهرها أن الآية إنما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة ، فالآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذى بعدها فى أول القرآن وعن الكلام الذى قبلها فى آخر القرآن ، وعما قبلها وعما بعدها فى غيرهما غير مشتمل على مثل ذلك قال وبهذا القيد خرجت السورة وقال الزمخشرى : الأيات علم توقيفى لا مجال للقياس فيه ولذلك عدوا ألم آية

---

(١) الإتقان ج ١ ص ٦٥ بتصرف واختصار .

حيث وقعت والمص و لم يعدوا المَرَ والرَ وعدوا حَم آية فى سورها وطه ويس و لم يعدوا طس . قلت : ومما يدل على أنه توقيفى ما أخرجه أحمد فى مسنده عن طريق عاصم بن أبى النجود عن زر عن ابن مسعود قال : أقرأنى رسول الله ﷺ سورة من الثلاثين من آل حم قال يعنى الأحقاف وقال : كانت السورة إذا كانت أكثر من ثلاثين آية سميت الثلاثين الحديث . وقال ابن العربى : ذكر النبى ﷺ أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية ، وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران . قال وتعديد الآى من معضلات القرآن وفى آياته طويل وقصير ، ومنه ما ينقطع ومنه ما ينتهى إلى تمام الكلام ومنه ما يكون فى أثنائه ، وقال غيره : سبب اختلاف السلف فى عدد الآى أن النبى ﷺ كان يقف على رءوس الآى للتوقيف ، فإذا علم محلها وصل للتمام فيحسب السامع حينئذ أنها ليست فاصلة ، وقد أخرج ابن الضريس من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال جميع آى القرآن سنة آلاف وستمائة وست عشرة آية وجميع حروف القرآن ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألف حرف وستمائة حرف واحد وسبعون حرف ، وقال الدانى : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك فمنهم من لم يزد ، ومنهم من قال ومائتا آية وأربع آيات وقيل وأربع عشرة وقيل وتسع عشرة ، وقيل وخمس وعشرون وقيل وست وثلاثون[1] ونتيجة لهذا الإختلاف اختلف عدد آيات بعض السور فمن السور ما يزيد على المائتى آية كالبقرة ومنها ما بين المائة والمائتين وهى الطوال والمئين ومنها ما يقل عن المائة وهى المثانى ، ومنها ما هو قصير كالمفصل ، وأقصر سوره سورة الكوثر .

وللقرآن الكريم عدة تقسيمات : فتقسيم بحسب الطول والقصر ؛ وهو

---

(١) انظر : الإتقان ج ١ ص ٦٦ ، ٦٧ بتصرف .

أربعة أقسام هى :

السبع الطوال ؛ وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال مع التوبة ، ويتلوها المئين ؛ وهى السور التى يزيد عدد آياتها على المائة ، ثم المثانى ؛ وهى التى تتلو المئين ، ثم المفصل ؛ وهى السور التى يكثر الفصل بينها ببسم الله الرحمن الرحيم ، وتبدأ من سورة الحجرات ، وقيل من سورة ق .

وهناك تقسيم آخر بحسب فواتح السور ؛ فهناك الحامدات وهى : الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر ، وهى التى تبدأ بالحمد لله . وهناك الطواسين ؛ وهى التى تبدأ بطسم ، أو طس ، وهناك الحواميم أو آل حم وهى التى تبدأ بحم وهى : غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف . وهناك المسبحات : وهى السور التى تبدأ بصيغة التسبيح سواء كان مصدرا أو فعلا ، وهى سبع سور هى : الإسراء والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى .

وهناك تقسيم آخر بالأسطر والحروف حيث يقسم القرآن إلى ثلاثين جزءا ، وكل جزء حزبان ، وكل حزب أربعة أرباع ، وكل ربع ثلاثة أعشار ، وكل عشر حوالى عشرة أسطر أو عشر آيات .

وفى ذلك كله يقول السيوطى : السبع الطوال أولها البقرة وآخرها براءة ، والمئون ما وليها سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها . والمثانى ما ولى المئين لأنها ثنتها أى كانت بعدها فهى لها ثوان ، والمئون لها أوائل .

وقال الفراء : هى السورة التى آياتها أقل من مائة آية لأنها تثنى أكثر مما يثنى الطوال والمئون ... والمفصل ما ولى المثانى من قصار السور ؛ سمى بذلك

لكثرة الفصل التى بين السور بالبسملة ، وقيل : لقلة المنسوخ منها ؛ ولهذا يسمى بالمحكم[1] . وقال : قسم القرآن إلى أربعة أقسام وجعل لكل قسم منه اسم .

أخرج أحمد من حديث واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، وأعطيت مكان الزبور المئين ، وأعطيت مكان الإنجيل المثانى ، وفضلت بالمفصل » .

وقال بعض السلف : فى القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياض : فميادينه ما افتتح بألم ، وبساتينه ما افتتح بالمر ، ومقاصيره الحامدات ، وعرائسه المسبحات ، وديابيجه آل عمران ، ورياضه المفصل ، وقالوا : الطواسيم والطواسين وآل حم والحواميم[2] .

٤ – جمعه وترتيبه آيات وسورا :

ومن المعروف أن القرآن الكريم نزل منجما على النبى ﷺ فى حوالى ثلاث وعشرين سنة وقد حفظه الرسول ﷺ وأصحابه وكتبه كتاب الوحى فى صحائف عدة من الجلد والورق والعظم والحجر وتوفى رسول الله ﷺ والقرآن الكريم محفوظ فى الصدور ومكتوب فى السطور ومعروف ترتيبه كما نزل وكما سمع من النبى ﷺ ، فلما بدأ حفاظ القرآن يتناقصون بالموت والاستشهاد فى الفتوحات والحروب الإسلامية قام أبو بكر الصديق بمشورة من عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بتكليف زيد بن ثابت بجمع تلك الصحائف المكتوبة على أيدى كتاب الوحى ومطابقتها بالمحفوظ وجمعها فى غلاف واحد أى مصحف وقد تم ذلك بحضور الصحابة رضى الله عنهم

---

(١) انظر : الإتقان ج١ ص ٦٣ باختصار .
(٢) الإتقان ج ١ ص ٥٦ ، ٥٧ .

وإجماعهم وكان هذا هو الجمع الأول ، ومن غير المعقول أن يكون مجموعا بلا ترتيب بين آياته وسوره وإلا لما كان للجمع معنى . ثم كان الجمع الثانى على يد عثمان وبحضور الصحابة وإجماعهم رضى الله عنهم وكان عبارة عن نسخ مصحف أبى بكر فى عدة مصاحف لتوزيعها على العواصم الإسلامية منعا للخطأ ورفعا للإختلاف وبقى ذلك المصحف العثمانى بحمد الله تعالى وتوفيقه وحفظه إلى يومنا هذا وسيبقى إلى قيام الساعة وصدق الله العظيم ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ .

وقد أجمع العلماء على أن ترتيب آيات القرآن الكريم بشكلها الحالى توقيفى عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام ورجح كثير من العلماء أن ترتيب السور كذلك توقيفى على حين رأى فريق آخر أن ترتيب السور تم باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم ونحن من القائلين بالتوقيف فى كل ما يتصل بالقرآن الكريم من حروف وكلمات وآيات وسور ، فمن غير المعقول أن يحفظه رسول الله ﷺ ويحفظه أصحابه بغير ترتيب ، ومن غير المعقول أن يجمعه ابو بكر بلا ترتيب بل الثابت أن رسول الله ﷺ حفظه وحفظه أصحابه مرتبا ونزل جبريل عليه السلام وراجعه وكان يعارضه القرآن فى رمضان وقد قرأه فى رمضان الأخير مرتين فهل كانت قراءته بلا ترتيب ؟ وكيف ؟ قال السيوطى : الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفى لا شبهة فى ذلك ، ثم أورد كثيرا من النصوص النبوية التى تثبت ذلك . . . ثم قال وأما ترتيب السور فهل هو توقيفى أيضا أو هو باجتهاد من الصحابة ؟ خلاف ، فجمهور العلماء على الثانى ، قال ابن فارس : جمع القرآن على ضربين أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذى تولته الصحابة ، وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات فى السور فهو توقيفى تولاه النبى ﷺ كما أخبر به جبريل عن أمر ربه مما استدل به ولذلك اختلاف مصاحف السلف فى ترتيب السور فمنهم من رتبها على

النزول وهو مصحف علىّ كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم نون ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكى والمدنى وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد وكذا مصحف أبى وغيره .

والذى أراه أن ترتيب علىّ لمصحفه إنما كان قبل اكتمال نزول القرآن وكان ترتيب ابن مسعود لنفسه ، أما وقد اكتمل نزول القرآن وقرأه النبى ﷺ على جبريل وقرأه جبريل عليه وقرأه أمام أصحابه وقرأه أصحابه عليه فلا معنى بعد ذلك للقول بأن الترتيب كان من اجتهاد الصحابة ومما يؤكد ذلك قول أبى بكر بن الأنبارى : أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقه فى بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جوابا لمستخبر ، ويوقف جبريل النبى ﷺ على موضع الآية والسورة ، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبى ﷺ فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن ، وقال الكرمانى فى البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، وعليه كان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه فى السنة التى توفى فيها مرتين وكان آخر الأيات نزولا ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله** ﴾[1] فأمره جبريل أن يضعها بين آيتى الربا والدين .

وقال الطيبى : أنزل القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا على حسب المصالح ، ثم أثبت فى المصاحف على التأليف والنظم المثبت فى اللوح المحفوظ . . . وقال البيهقى فى المدخل : كان القرآن على عهد النبى ﷺ مرتبا سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة ، ومال ابن عطية إلى أن كثيرا من السور كان قد علم ترتيبها فى حياته ﷺ كالسبع الطوال والحواميم والمفصل وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد

---

(١) سورة البقرة : ٢٨١ .

فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده ، وقال أبو جعفر النحاس المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ لحديث واثلة أعطيت مكان التوراة السبع الطوال . . . . الحديث قال فهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن – أى ترتيب سوره – مأخوذ عن النبى ﷺ وأنه من ذلك الوقت وإنما جمع فى المصحف على شيء واحد ، وقال ابن الحصار : ترتيب السور ووضع الآيات موضعها إنما كان بالوحى ، وقال ابن حجر : ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لا يمتنع أن يكون توقيفيا . . . .

وقال السيوطى : قلت : وما يدل على أنه توقيفى كون الحواميم رتبت ولاء وكذا الطواسين ، ولم تزتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس النمل مع أنها أقصر منهما ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص ، والذى ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقى وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفى إلا الأنفال وبراءة »[1] ، وهذا هو الذى سبق أن أخترناه ورجحناه وهو الصحيح ولو كان الجمهور على خلافه .

٥ – علوم القرآن :

أما علوم القرآن فهى تلك الدراسات التى قام بها أصحابها لخدمة القرآن الكريم سواء من حيث بيان وأنزل منه فى مكة أو ما نزل فى المدينة أو من حيث بيان إعجازه وما فيه من البلاغة والفصاحة أو من حيث إعرابه والاستشهاد بألفاظه وجملة على القواعد النحوية ، أو من حيث بيان ما فيه من مطلق ومقيد أو محكم ومتشابه ، أو عام وخاص ، أو من حيث بيان الناسخ منه والمنسوخ وأنواع ذلك ، ومعرفة الأحرف السبعة التى نزل بها

---

(١) انظر : الإتقان ج ١ ص ٦٢ ، ٦٣ ، ومبادىء أساسية لفهم القرآن ص ٤١.

أو من حيث تفسير آياته وبيان ما يحتاجه المفسر . . إلى غير ذلك من العلوم التى ذكرها المؤلفون فى هذا المجال والتى بلغت عند السيوطى ثمانين نوعا[1] ، سنعرف منها بحول الله وتوفيقه أشهرها وأهمها وقد بدأ الاهتمام بهذه العلوم مبكرا أى منذ القرن الثانى الهجرى وتعتبر « الرسالة » للإمام الشافعى رحمه الله أول مؤلف فى هذا المجال حيث أبان فيها الشافعى رحمه الله أنواع البيان فى القرآن الكريم والناسخ والمنسوخ والعام والخاص وغير ذلك ، وقد كان ذلك تابعا لعلم « أصول الفقه » ثم بدأ يستقل بالتأليف ويأخذ طابعه الخاص حتى نضج واستوى على عوده فى القرن السابع الهجرى ثم أثمر وآتى أكله فى القرن الثامن ثم بلغ الذروة فى القرنين التاسع والعاشر ثم ظهرت تآليف أقل شأنا فى القرون التالية والمعاصرة ، وفى ذلك يقول الزرقانى رحمه الله فى توضيح تطور المعرفة والتأليف فى علوم القرآن « كان الرسول ﷺ واصحابه يعرفون عن القرآن وعلومه فوق ما عرف العلماء من بعد ولكنهم لم يدونوا هذه المعارف و لم يجمعوها فى كتب مؤلفة حيث لم تكن لهم حاجة إلى ذلك ، فاكتفوا بحفظ القرآن ومعرفة علوم وأحكام فى صدورهم ونقلها إلى غيرهم فى الفتوحات ونشر الإسلام تلقينا لا تدوينا ومشافهة ولا كتابة ، ثم جاءت خلافة عثمان رضى الله عنه الذى أمر بجمع القرآن ونسخه فى عدة صحف بادئا بذلك « علم رسم القرآن وكتابته » وأمر علىّ رحمه الله أبا الأسود الدؤلى بوضع قواعد لحماية القرآن من لحن الأعاجم فكان ذلك بداية لعلم النحو وإعراب القرآن ، وقد قام بعض الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم بتفسير بعض كلمات وجمل القرآن فوضعوا بذلك أسس علم التفسير وعلم أسباب النزول وعلم الناسخ

---

(١) ونقل السيوطى عن ابن العربى أنه قال : « علوم القرآن ٧٧٤٥٠ علما وهى عدد كلم القرآن الكريم مضروبا فى أربعة إذ أن لكل كلمة ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ، وهذا فى المفردات فحسب ، أما إذا اعتبرت التراكيب وما بينها من روابط كان مالا يحصى » .

والمنسوخ وعلم غريب القرآن ومن أشهرهم ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت ومجاهد وقتادة وعطاء وعكرمة والحسن البصرى وسعيد بن جبير رحمة الله عليهم أجمعين . ثم بدأ عهد التدوين والتأليف الفعلى فى علوم القرآن وكان أسبقها علم التفسير وكان متضمنا لباقى العلوم .

ومن أجل التفاسير وأعظمها فى هذه المرحلة تفسير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، أما علوم القرآن الأخرى فقد بدأت تستقل بالتأليف فى القرن الثالث الهجرى حيث ألف علىّ بن المدينى كتابا فى أسباب النزول وألف ابو عبيد القاسم بن سلام كتابا فى « الناسخ والمنسوخ » وألف أبو بكر السجستانى كتابا « فى غريب القرآن » وألف علىّ بن سعيد الحوفى كتابا فى « إعراب القرآن » وألف السبيلى كتابا فى « مبهمات القرآن » كذلك تصدى للتأليف فى « مجاز القرآن » ابن عبد السلام وفى « القراءات » السخاوى ، ثم ظهرت مؤلفات فى أقسام القرآن وأمثال القرآن وحجج القرآن وبدائع القرآن ورسم القرآن ، وما أشبهها من العلوم التى تهتم بخدمة القرآن من جميع جوانبه ، وبعد هذه المرحلة من التأليف المستقل فى فرع من فروع « علوم القرآن » جاء التأليف العام فى مجموع هذه العلوم فظهرت مؤلفات جديدة تجمع من علوم القرآن معظمها أو كلها ، وكان أول من ألف فى ذلك علىّ بن سعيد الحوفى المتوفى سنة ٤٣٠ هـ الذى ألف كتابا بعنوان « البرهان فى علوم القرآن » يقع فى ثلاثين مجلدا ولكن تأليفه كان على طريقة النشر والتوزيع حيث كان يتناول الآية القرآنية من جميع جوانبها من حيث : الإعراب ، والتفسير ، والقراءات ، والنسخ والأحكام الشرعية ، وأسباب النزول وهكذا ، دون أن يجمع هذه المتفرقات فى كل آية فى علم واحد فهو اشبه بكتب التفسير ، ثم ألف ابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ كتابين أحدهما « فنون الأفنان فى علوم القرآن » والثانى اسمه « المجتبى فى علوم تتعلق بالقرآن » وفى القرن السابع ألف علم الدين السخاوى المتوفى سنة ٦٤١ هـ

كتابا سماه « جمال القراء » وألف أبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ كتابا أسماه « المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز » وهما كما قال السيوطى عبارة عن طائفة يسيرة ونبذة قصيرة بالنسبة للمؤلفات التى ظهرت بعد ذلك . ثم أهل القرن الثامن فكتب فيه بدر الدين الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ كتابه « البرهان فى علوم القرآن » وفى القرن التاسع ألف محمد بن سليمان الكافيجى المتوفى سنة ٨٧٣ هـ كتابا جيدا قال عنه السيوطى لم يسبق إليه كما ألف جلال الدين البلقينى كتابا سماه « مواقع العلوم من مواقع النجوم » وقد رتبه على ستة مباحث . . وألف السيوطى كتابا سماه « التحبير فى علوم التفسير » ثم وضع كتابه الثانى « الإتقان فى علوم القرآن » وهو عمدة الباحثين والكاتبين فى هذا الفن ذكر فيه ثمانين نوعا من أنواع علوم القرآن على سبيل الإجمال والإدماج ثم قال بعد أن سردها نوعا نوعا« ولو نوعت باعتبار ما أدمجته فيها لزادت على الثلثمائة » ، وتوفى السيوطى سنة ٩١١ هـ وبوفاته انتهى عهد النهضة فى التأليف فى علوم القرآن[1] .

ثم ظهرت مؤلفات متأخرة فى القرون الحديثة منها « التبيان فى علوم القرآن للشيخ طاهر الجزائرى ، ومنهج الفرقان فى علوم القرآن للشيخ محمد على سلامة ومؤلفات أخرى فى فرع من فروع علوم القرآن مثل الأحرف السبعة ، الإعجاز ، الترجمة ، وغيرها ، وهناك مؤلفات حديثة فى هذا الفن منها « النبأ العظيم » للدكتور دراز ، ومباحث فى علوم القرآن للدكتور صبحى الصالح ، ومناهل العرفان فى علوم القرآن للزرقانى وغيرها ، نفع الله بها وغفر لمؤلفيها وأجزل لهم الأجر والثواب .

✲✲✲

---

(١) انظر : مناهل العرفان ج١ ص ٢١ – ٣٢ باختصار وتصرف . وانظر أيضا : الإتقان فى علوم القرآن ج١ ص ٣ – ٨ ومباحث فى علوم القرآن ص ١١٩ – ١٢٦ .

أغراض القرآن ومقاصده :

أنعم الله تعالى علينا بالقرآن الكريم لتحقيق أغراض عديده ومقاصد كثيرة لا نكاد نحصيها ولا نستطيع جمعها ولكن نشير إلى بعضها ونبين مجملها من خلال ما جاء فى القرآن نفسه أو فى أحاديث الرسول ﷺ .

أ – فالقرآن الكريم يعرفنا بالله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وما يجب له وما يجوز وما يستحيل فى حقه عز وجل .

ب – ويعرفنا بملائكة الله تعالى وجنوده فى السموات والأرض وصفاتهم ووظائفهم فى الدنيا والآخرة .

جـ – ويعرفنا باليوم الآخر ومشتملاته الغيبية من قيامه وصور وبعث ونشور وحشر وصحف وشفاعة وميزان وصراط وحوض وجنة ونعيم ، ونار وجحيم ، وروؤية للمولى الكريم . . .

د – كما يعرفنا برسل الله تعالى وأنبيائه السابقين وأحوالهم مع أقوامهم وعاقبة المؤمنين والمكذبين منهم لتكون لنا العبرة والموعظة .

هـ – ويعرفنا بكتب الله المنزلة على الرسل السابقين وما فيها من أحكام ومواعظ تلتقى معه أو تختلف .

و – ويعرفنا بمخلوقات الله عز وجل ومظاهر قدرته ودلائل عظمته فى الكون والحياة .

ز – ويقدم لنا أوامر الله تعالى ونواهيه من عبادات وغيرها .

ح – ويبين لنا الحلال والحرام والطيب والخبيث .

ط – ويبين لنا أحكام العقوبات والحدود .

ى – كما يبين أحكام الزواج والطلاق والعدد والميراث والوصية .

ك – كما يحدثنا عن جوانب عديدة من سيرة المصطفى ﷺ صغيرا وكبيرا ، يتيما فقيرا ، وغنيا كبيرا ، وعابدًا ونبيا ورسولا ومجاهدا وزوجا وقاضيا وداعيا . . . الخ .

ل – كما يحدثنا عن حق هذا الرسول علينا فى الطاعة والاتباع والحب والدعاء والصلاة عليه و . . . . و . . . .

م – وهو المعجزة الكبرى للنبى ﷺ أيده الله تعالى بها وتحدى به الإنس والجن والعرب والعجم فكان فى كل آية بل فى كل حرف معجزا ومؤيدا لصدق النبى ﷺ .

ن – وهو كما سبق فى بيان اسمائه وصفاته يجمع بين الهدى والنور والذكر والبركة والشفاء والموعظة والرحمة والاستقامة فهو كتاب الهداية الربانية ودستور الأمة الإسلامية ، وهادينا إلى الجنة والنعيم والرضا والرضوان ، ومنقذنا من الشيطان والجحيم وحامينا من الغواية والضلال وواقينا من الانحراف والعوج وخير ما يوصف به ما وصفه الله تعالى به من أوصاف سبق بيانها ومن أهمها قوله تعالى ﴿ **يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾[1] وقول الرسول ﷺ : « ألا إنها ستكون فتنة ، فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه ، نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن أذ سمعته حتى قالوا ﴿ **إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به** ﴾[2] من قال به صدق ، ومن عمل به

---

(١) سورة يونس : ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) سورة الجن : ١ – ٢ .

أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »[1] .

يقول الأستاذ المودودى رحمه الله : « موضوعه – القرآن – الإنسان » ، ما هو مدار نجاحه وسعادته ، وما هو مدار خسرانه وشقائه ، وبحثه الرئيسى أن النظريات التى وضعها الإنسان عن نفسه وعن الحياة الدنيا وعن نظام الكون وعن ذات الإله ، مدفوعا بدراسته السطحية وتقديراته الخيالية وخضوعه لسلطان الأهواء ، ثم المواقف التى اتخذها على أساس تلك النظريات فإنها كلها فى حقيقتها باطلة ومهلكة للإنسان نفسه من ناحية المصير ، وإنما الحق هو الذى علمه الله الإنسان حين جعله خليفة له فى الأرض ، وبموجب ذلك الحق ليس من منهج من المناهج يقوم على الصحة ويتوصل إلى العاقبة الحسنة إلا المنهج الذى ذكرناه فيما سبق وسميناه « المنهج الصحيح » وهدفه – القرآن – دعوة الإنسان إلى هذا المنهج الصحيح وتبيان لهدى الله الذى ضل عنه الإنسان بعدم المبالاة أو شوهه بدافع من غروره ومكابرته ، والذى يدرس القرآن واضعا هذه النقاط الثلاث الأساسية أمام عينيه يتبين له بدون ما غموض أن هذا الكتاب لم يحد عن موضوعه وبحثه الرئيس وهدفه المنشود حتى ولا قيد شعره وتجد مباحثه المنوعة تلتئم مع بحثه الرئيس التئام الدرر الملونة الصغيرة والكبيرة فى سمط القلادة السندسى ، إنه يحدث عن السماء كيف صنعت ، وعن الإنسان كيف خلق ، وعن المشاهدات فى آثار الكون ، وعن الأمم الخالية وقصصها ؛ إنه ينتقد أعمال مختلف الأمم وسلوكها وعقائدها ، إنه يوضح الشئون والمسائل التى هى وراء الطبيعة ، إنه يتناول أمور كثيرة غير ما ذكرنا لا ليدرس الإنسان علوم الطبيعة أو التاريخ أو

---

(١) رواه الترمذى ؛ وانظر : القرآن والمبشرون ص ٣٣٢ ، وقيل أن الحديث موقوف على علىّ بن أبى طالب ، ولكن هناك مايؤيده ، فمعناه روى عن ابن مسعود أيضا .

الفلسفة أو أى فن من الفنون أو أدب من الآداب ، بل لكى يزيل ما عليه الناس من خطأ وسوء فهم عن الحق ، ويقرر فى أذهانهم الحقيقة الواقعية ويشعرهم بما يؤدى إليه المنهج الذى يخالف الحق من مصير بئس وعاقبته وخيمة ، ويدعوهم إلى المنهج الذى يلائم الحق ويأخذهم إلى حسن المآب ، ولهذا السبب نفسه هو لا يحدث عن كل هذه الأمور إلا فى اسلوب يتناسب مع هدفه وإلى حد يلزم له ومن دأبة أنه يذكر هذه الأمور بقدر الحاجة ثم يعود إلى بيان هدفه ، وبحثه الرئيس بغض النظر عن التفاصيل التى لا علاقة لها بالبحث ، ولذلك ترى حديثه يدور حول الدعوة بدون التواء وبكل اتزان »[1] .

وقد أشار الشيخ الزرقانى رحمه الله إلى مقاصد أخرى للقرآن الكريم وهى وإن كانت تتلاق مع ما ذكرناه إلا أنها تضيف تصنيفا جديدا لهذه المقاصد وفى بيانها يقول : إن لله تعالى فى إنزال كتابه العزيز ثلاثة مقاصد رئيسية ، أن يكون هداية للثقلين ، وأن يقوم آية لتأييد النبى ﷺ ، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوة هذا الطراز الأعلى من كلامه المقدس ، ثم بدأ يفصل ذلك فقال : وهداية القرآن تمتاز بأنها عامة وتامة وواضحة ، أما عمومها فلأنها تنتظم الإنس والجن فى كل عصر ومصر وفى كل زمان ومكان . . . . . وأما تمام هذه الهداية فلأنها احتوت أرقى وأوفى ما عرفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله والناس ، وانتظمت كل ما يحتاج إليه الخلق فى العقائد والأخلاق والعبادات والمعاملات على اختلاف أنواعها وجمعت بين مصالح البشر فى العاجلة والآجلة ، ونظمت علاقة الإنسان بربه وبالكون الذى يعيش فيه ، ووفقت بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد . . . .

وأما وضوح هذه الهداية فلعرضها عرض رائعا مؤثرا توافرت فيه كل

---

(١) انظر : مبادىء أساسية لفهم القرآن - المودودى صـ ٢٢ .

وسائل الإيضاح وعوامل الاقناع ، أسلوب فذ معجز وفى بلاغته وبيانه ، واستدلال بسيط عميق يستمد بساطته وعمقه من كتاب الكون الناطق . . . .

والمقصد الثانى من نزول القرآن : أن يقوم فى فم الدنيا آية شاهدة برسالة سيدنا محمد ﷺ وأن يبقى على جبهة الدهر معجزة خالدة تنطق بالهدى ودين الحق ظاهرا على الدين كله . . .

والمقصد الثالث من نزول القرآن أن يتعبد الله خلقه بتلاوته ويقربهم إليه ويأجرهم على مجرد ترديد لفظه ولو من غير فهمه ، فإذا ضموا إلى التلاوة فهما زادوا أجر على أجر[1] . . . . وهكذا يبين الشيخ رحمه الله المقاصد الرئيسية الثلاث فى نزول القرآن وهى الهداية والأعجاز والتلاوة وهذا لا يخرج عما سبق بيانه فى صدر هذه الفقرة من أغراض فكلها للهداية ، وكلها معجز بأسلوبه ومعانيه ، وكلها للتعبد بتلاوة آياتها وكلماتها وحروفها .

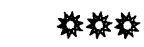

(١) انظر : مناهل العرفان ج ٢ ص ١٩ - ٢٧ باختصار وتصرف .

البحث الثانى

فى نزول القرآن

بدأ نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ عند بدء النبوة والرسالة فى سن الأربعين واستمر يتنزل حتى تم عند بلوغ الأجل وحلول الوفاه فى سن الثالثة والستين ، وقد استمر نزوله ثلاثا وعشرين سنة تقريبا وكان أول ما نزل منه ﴿ **إقرأ باسم ربك الذى خلق** . . . . . ﴾ وكان آخر ما نزل منه على الرأى الصحيح ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾[1] ، وكان ينزل منجما - أى مفرقا - حسب الأحوال والظروف والمناسبات الخاصة بالنبى ﷺ وأصحابه وأحوال الأمة وحاجتها إلى التكاليف الشرعية ، وأحيانا كان النزول ببضع آيات من سورة وأحيانا بالسورة كاملة وبعض ذلك كان فى مكة وبعضه كان فى المدينة وبعضه كان فى غيرهما ، ومنه ما كان قبل الهجرة ومنه ما كان بعدها ، ومنه ما كان ليلًا ، ومنه ما كان نهارًا ، ومنه ما نزل فى الصيف ، ومنه ما نزل فى الشتاء ، ومنه ما نزل به جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية ، وما نزل به على صورته البشرية ، ومنه ما نزل به كصلصلة الجرس أو دوى النحل فلا يسرى عنه إلا وقد وعى عنه وحفظ كل شىء ، وإنما كان نزول القرآن الكريم بهذا التدرج والتنجيم ليسهل حفظه وتطبيقه على النبى ﷺ وأصحابه من جهة ولتثبيت قلبه وقلوبهم من جهة أخرى ولتأييده وتدعيم جانبه وجانب أصحابه من جهة ثالثة وهذا ما يشير إليه قوله تعالى ﴿ **وقال**

---

(١) البقرة ٢٨١ .

الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤداك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾[1] .

وقد فصل العلماء فى هذا البحث وقسموه إلى عدة فروع نقدم إليك تعريفا بكل منها .

١ – مر نزول القرآن الكريم بثلاث مراحل

أ – فى المرحلة الأولى نزل إلى اللوح المحفوظ بطريقة وكيفية لا يعلمها إلا الله تعالى وكان نزوله جملة قال تعالى ﴿ **بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ ﴾**[2] .

ب – وفى المرحلة الثانية نزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾**[3] وقوله ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾**[4] وقوله ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ﴾**[5] لأن هذه الآيات تدل على نزوله جملة ومعلوم أن نزوله على النبى ﷺ كان مفرقا فتعين أن يكون هذا النزول غير ذلك وقد دلت السنة على ذلك ومنها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « فصل القرآن من الذكر فوضع فى بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبى ﷺ »[6] .

جـ – وكانت المرحلة الثالثة نزول جبريل عليه السلام به من بيت العزة على

---

(١) الفرقان : ٣٢ / ٣٣ ، وانظر فى تفصيل هذه الحكم والأسرار : مناهل العرفان جـ ١ صـ ٤٦ – .

(٢) سورة البروج ٢١ / ٢٢ .

(٣) سورة البقرة ١٨٥ .

(٤) سورة القدر ١ .

(٥) سورة الدخان ٣ .

(٦) الاتقان جـ ١ صـ ٣٩ وما بعدها .

النبى ﷺ فترة رسالته مفرقا على ثلاث وعشرين سنة قال تعالى ﴿ **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** ﴾[1] ، وقد ذكر السيوطى رحمه الله الحكمة فى هذه التنزلات فقال : « قيل السر فى إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر من نزل عليه وذلك بإعلام سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم . . . وقال الحكيم الترمذى : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا تسليما منه للأمة ما كان أبرز لهم من الحظ بمبعث محمد ﷺ وذلك أن بعثة محمد ﷺ كانت رحمة فلما خرجت الرحمة بفتح الباب جاءت بمحمد ﷺ وبالقرآن فوضع القرآن ببيت العزة فى السماء الدنيا ليدخل فى حد الدنيا ووضعت النبوة فى قلب محمد وجاء جبريل بالرسالة ثم الوحى كأنه أراد تعالى ان يسلم هذه الرحمة التى كانت حظ هذه الأمة من الله إلى الأمة . . . ثم أضاف : فإن قيل ما السر فى نزوله منجما وهلا أنزل كسائر الكتب جملة ؟ قلنا هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة** ﴾ – يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله ﴿ **كذلك** ﴾ – أى أنزلناه كذلك مفرقا – ﴿ **لنثبت به فؤادك** ﴾ أى لنقوى به قلبك فإن الوحى يذا كان يتجدد فى كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل إليه ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ماتقصر عنه العبارة ، ولهذا كان أجود ما يكون فى رمضان لكثرة لقياه جبريل . . وقيل غير ذلك . قال السيوطى : ومنها حكمة أخرى لإنزال القرآن مفرقا فإنه أدعى إلى قبوله إذا أنزل على التدريج بخلاف ما لو نزل جملة واحدة فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس لكثرة ما فيه من الفرائض

---

(١) الإسراء ١٠٦ .

والمناهى ، ويوضح ذلك ما أخرجه البخارى عن عائشة قالت إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذ ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر ابدا ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبد »[1] .

٢ – وقد وردت فى السنة الصحيحة عدة أحاديث تبين كيفية نزول جبريل عليه السلام بالقرآن على النبى ﷺ ، ومن خلال هذه الأحاديث علمنا أن جبريل عليه السلام نزل على كيفيات ثلاث أحدها وهو قليل الصورة الملائكية العظيمة وقد حدثت مرتان الأولى فى أول الرسالة عند غار حراء والثانية فى ليلة المعراج يشير إلى الأول قوله تعالى ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين** ﴾[2] ، ويشير إلى الثانية قوله تعالى ﴿ **علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ماأوحى** ﴾[3] .

وثانيها وهو كثير الصورة البشرية حيث كان جبريل عليه السلام ينزل على صورة دحية الكلبى أحيانا ، وعلى صورة أعرابى غريب غير معروف ، وثالثها ان جبريل عليه السلام كان يأتيه فى مثل صلصلة الجرس أو دوى النحل وهذه أكثرها وأثقلها وأشدها على النبى ﷺ . قال السيوطى : وقد ذكر العلماء للوحى كيفيات منها : أن يأتيه الملك فى مثل صلصلة الجرس كما فى الصحيح ، وفى مسند أحمد عن عبد الله بن عمر : سألت النبى ﷺ : هل تحس بالوحى ؟ فقال أسمع صلاصل ثم اسكت عند ذلك فما من مرة

---

(١) انظر : الاتقان جـ ١ صـ٤١ / ٤٢ باختصار ومناهل العرفان جـ ١ صـ ٣٦ – ٤٠ وصـ ٤٦ .

(٢) التكوير : ٢٣ / ٢٤ .

(٣) النجم ٥ / ١٠ .

يوحى إلىّ إلا ظننت أن نفسى تقبض ، قال الخطابى : والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد ، وقيل هو صوت خفق أجنحة الملك والحكمة فى تقدمه أن يفرغ سمعه للوحى فلا يبقى فيه مكانا لغيره ، وفى الصحيح أن هذه الحالة أشد حالات الوحى عليه ، وقيل إنه إنما كان ينزل هكذا إذا أُنزلت آية وعيد أو تهديد ، الثانية : أن ياتيه فى صورة الرجل فيكلمه كما فى الصحيح « وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول زاد ابو عوانة فى صحيحه وهو أهون على[1] . أما الثالثة فهى صورة الملائكية كما سبق بيانه ، وهذه هى الكيفيات التى نزل بها القرآن أما الوحى بصفة عامة فله كيفيات أخرى منها النفث فى روع النبى ﷺ وقلبه ، ومنها أن يأتيه فى النوم[2] ورؤيا الأنبياء وحى ، ومنها أن يكلمه الله تعالى يقظة كما فى ليلة الإسراء أو نوما . يشير إلى ذلك كله قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه علىّ حكيم** ﴾[3] .

٣ – وقد نزل القرآن الكريم فى عدة مواطن أشهرها مكة والمدينة ولذلك نسب الكثير منه إلى مكة فسمى بالمكى والباقى منه إلى المدينة فسمى بالمدنى ، وجمهور العلماء على أن يسمى بالمكى ما نزل قبل الهجرة سواء نزل بمكة أو غيرها ، وأن يسمى بالمدنى ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو غيرها[4] ولما كانت الفترة المكية أطول زمنا وأكبر عبئا لأنها مرحلة التأسيس وبناء العقيدة فقد كان ما نزل بها أكثر ، ولما كانت الفترة المدنية أقل زمنا وأقل عبئا لأنها فترة الاستقرار وتطبيق التشريع والتكاليف كان ما نزل بها

---

(١) ، (٢) الاتقان جـ ١ صـ ٤٤ .

(٣) الشورى ٥١ .

(٤) انظر : الاتقان جـ ١ صـ ٩ .

من القرآن أقل مما نزل بمكة ، وتقريبا للأمر نقول : إذا كان القرآن الكريم ثلاثين جزءا فإن نسبة ما نزل منه بمكة ١٩ / ٣٠ وما نزل منه بالمدينة ١١ / ٣٠ ويتضح ذلك أيضا من عدد السور فإذا كان عدد سور القرآن الكريم ١١٤ فإن ما نزل بمكة من السور ٨٢ باتفاق العلماء وما نزل بالمدينة من السور ٢٠ باتفاق واختلف العلماء فى بقية السور الاثنتى عشرة وهى الفاتحة والرعد والرحمن والصف والتغابن والمطففين والقدر ، ولم يكن ، وإذا زلزلت ، والإخلاص ، والمعوذتين . فقد قيل إن بعض هذه السور مكى وقيل مدنى وهكذا[1] .

ويمتاز القرآن الكريم فى المرحلة المكية ببعض المميزات كما يمتاز فى المرحلة المدنية ببعض المميزات .

فمن أشهر ما يتميز به القرآن فى المرحلة المكية :

١ – التركيز على عقيدة التوحيد وتنزيه الله تعالى عن الشريك .
٢ – التركيز على الغيبيات ومنها اليوم الآخر ومشتملاته .
٣ – التركيز على مكارم الأخلاق .
٤ – قصص الأنبياء وأممهم السابقين .
٥ – وتتميز الآيات والسور بالقصر والجزالة والقوة والردع وقد استنبط العلماء مميزات أخرى للقرآن والسور المكية منها .
٦ – كل سورة فيها لفظ ﴿ **كلا** ﴾ مكية .
٧ – كل سورة فيها ﴿ **يأيها الناس** ﴾ مكية .
٨ – كل سورة فيها ﴿ **سجدة** ﴾ مكية .
٩ – كل سورة فيها قصة آدم وابليس مكية سوى البقرة .
١٠ – كل سورة فيها قصص الأنبياء فهى مكية سوى البقرة .

---

(١) علوم القرآن د / عبد الله شحاته صـ ٤٩ .

١١ – كل سورة فى أولها حروف التهجى فهى مكية سوى البقرة وآل عمران[1] .

أما مميزات القرآن فى المرحلة المدنية فأشهرها :

١ – التركيز على التشريع وأحكامه وبيان الحلال والحرام .
٢ – التركيز على الجهاد وأحكامه وما يتعلق بالغنائم والأسرى .
٣ – التركيز على النفاق والمنافقين كظاهرة جديدة فى المجتمع الإسلامى .
٤ – خطاب ومجادلة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام .
٥ – تفصيل الأخلاق الخاصة على كل المستويات .
٦ – الخطاب بيأيها الذين آمنوا .
٧ – وطول السور والآيات .
٨ – ورقة الأسلوب والألفاظ .

وقد ذكر السيوطى ضوابط هذه المميزات فقال : أخرج الحاكم فى مستدركه والبيهقى فى الدلائل والبزار فى مسنده من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : « ما كان يأيها الذين آمنوا أنزل بالمدينة وما كان يأيها الناس فبمكة » وهذا هو الغالب وليس دائما . . . وأخرج البيهقى فى الدلائل من طريق يونس بن بكير عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كل شىء نزل من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون فإنما أنزل بمكة ، وما كان من الفرائض والسنن فإنما نزل بالمدينة ، وقال الجعبرى : لمعرفة المكى والمدنى طريقان سماعى وقياسى ، فالسماعى ما وصل إلينا نزوله بأحدهما والقياسى كل سورة فيها يأيها الناس فقط أو كلا أو أولها حرف تهج سوى الزهراوين – البقرة وآل عمران والرعد – وفيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة فهى مكية ، وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية وكل سورة فيها فريضة أوحد فهى مدنية .

---

(١) المصدر السابق صـ ٥٤ .

وقال مكى : « كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية وزاد غيره سوى العنكبوت وفى كامل الهذلى : كل سورة فيها سجدة فهى مكية . . . . »[1] . وهكذا يقدم لنا السيوطى نقلا عن غيره من العلماء هذه الضوابط التى سبق أن أشرنا إليها فى هذه الفقرة ، وهى على كل حال ضوابط غالبة وليست قاطعة أو نهائية فقد تتخلف فى سور أخرى أو توجد فى سور أخرى وهكذا .

٤ - أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن :

اختلف العلماء فى أول ما نزل من القرآن على عدة أقوال أحدها وهو الصحيح والمشهور أن أول ما نزل من القرآن قوله تعالى ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ ، روى الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت : أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة رضى الله عنها فتزوده كمثلها حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال : اقرأ قال رسول الله ﷺ فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارىء ، فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : اقرأ فقلت : ما أنا بقارىء فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال : ﴿ **اقرأ باسم ربك** ﴾ الذى خلق حتى بلغ ما لم يعلم ، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره . . . الحديث . وهناك أحاديث أخرى تؤكد ذلك . والقول الثانى أن أول ما نزل هو اقرأ باسم ربك ونون والقلم ، قال أبو عبيدة فى فضائله

---

(١) انظر : الإتقان جـ ١ صـ ١٧ باختصار - وتصرف .

حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : « إن أول ما نزل من القرآن ﴿ **اقرأ باسم ربك ونون والقلم** ﴾ . والقول الثالث : أن أول ما نزل هو قوله تعالى ﴿ **يأيها المدثر قم فأنذر** ﴾ . وقد جمع بين هذين القولين بأن اقرأ أول ما نزل من القرآن والمدثر أول ما نزل من السور ، وقيل إن ﴿ **المدثر** ﴾ أول ما نزل بعد فترة الوحى بعد نزول ﴿ **اقرأ** ﴾ وقيل إن اقرأ أول ما نزل للنبوة والمدثر أول ما نزل للرسالة والإنذار ، وقيل عند ذلك . القول الرابع : أن أول ما نزل هو سورة الفاتحة . القول الخامس : أن أول ما نزل ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ وقد أخرج الواحدى من طريق الحسين بن واقد قال : سمعت علىّ بن الحسين يقول : أول سورة نزلت بمكة ﴿ **اقرأ** ﴾ وآخر سورة نزلت بها ﴿ **المؤمنون** ﴾ ويقال ﴿ **العنكبوت** ﴾ ، وأول سورة نزلت بالمدينة ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ وآخر سورة نزلت بها ﴿ **براءة** ﴾ واول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة ﴿ **النجم** ﴾ وقد اختلف العلماء أيضا فى آخر ما نزل من القرآن على عدة أقوال :

القول الأول : أن آخر ما نزل من القرآن من الآيات قوله تعالى ﴿ **يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة** ﴾[1] وآخر ما نزل من السور سورة براءة روى الشيخان عن البراء بن عازب قال : آخر آية نزلت ﴿ **يستفتونك** ﴾ وآخر سورة نزلت براءة .

الثانى : أخرج البخارى عن ابن عباس أن آخر آية نزلت آية الربا وروى البيهقى عن عمر مثله والمراد بها قوله تعالى : ﴿ **يايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا** ﴾[2] .

---

(١) سورة النساء ١٧٦ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٨ .

الثالث : عن ابن عباس قال : آخر شيء نزل من القرآن ﴿ **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله** ﴾[1] وكان بين نزولها وبين موت النبى ﷺ أحد وثمانون يوما . ولا تعارض بين الثانى والثالث لأنهما من آيات سورة البقرة وقد نزل هذا القسم منها دفعة واحدة .

الرابع : أن آخر ما نزل قوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾[2] .

الخامس : اخرج مسلم عن ابن عباس قال : آخر سورة نزلت ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ .

السادس : أخرج الترمذى والحاكم عن عائشة قالت : آخر سورة نزلت المائدة فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ، قال البيهقى يجمع بين هذه الاختلافات إن صحت بأن كل واحد أجاب بما عنده ، وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار : هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبى ﷺ وكل قاله بضرب من الاجتهاد وغلبة الظن ، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبى ﷺ فى اليوم الذى مات فيه أو قبل مرضه بقليل وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو . . .

ومن ذلك القول السادس أن آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾[3] فإنها نزلت بعرفة عام حجة الوداع وظاهرها إكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها ، وقد صرح بذلك جماعة منهم السدى فقال : لم ينزل بعدها

---

(١) البقرة ٢٨١ .
(٢) براءة : ١٢٨ .
(٣) المائدة ٣ .

حلال ولا حرام مع أنه ورد فى آية الربا والدين والكلالة أنها نزلت بعد ذلك ، وقد استشكل ذلك ابن جرير وقال : الأولى أن يتأول على أنه أكمل لهم دينهم بإقرارهم بالبلد الحرام وإجلاء المشركين عنه حتى حجة المسلمون لا يخالطهم المشركون ثم أيده بما أخرجه من طريق ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال كان المشركون والمسلمون يحجون جميعا فلما نزلت براءة نفى المشركون عن البيت وحج المسلمون لا يشاركهم فى البيت الحرام أحد من المشركين فكان ذلك من تمام النعمة ﴿ **وأتممت عليكم نعمتى** ﴾[1] والراجح مما سبق ذكره إن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق قوله تعالى فى صدر سورة اقرأ ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ وأن آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق قوله تعالى فى أواخر سورة البقرة ﴿ **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ . والله أعلم .

٥ – ومما يتصل بنزول القرآن أن نعلم أن منه ما نزل فى مناسبة خاصة ، ومنه ما نزل ابتداء بلا مناسبة ، وكلا النوعين واجب الاتباع والقبول لأن العلماء يقولون إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وقد أفاض العلماء القول وصنفوا التأليف فى معرفة وبيان أسباب النزول ، وممن اشتهر فى ذلك على ابن المدينى شيخ البخارى ، والواحدى ، والجعبرى ، وابن حجر ، والسيوطى ، وإنما اهتم العلماء بهذا الجانب لما يترتب على معرفته من فوائد تتعلق بصفة خاصة وأساسية بالأحكام الشرعية ، وقد عرض السيوطى وغيره بعض هذه الفوائد ونجملها فيما يلى قال : زعم زاعم أنه لا طائل تحت

---

(١) انظر : الإتقان جـ ١ صـ ٢٣ – ٢٨ باختصار وتصرف وكذلك : مناهل العرفان صـ ٨٦ – ٩٣ .

هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ وأخطأ فى ذلك بل له فوائد منها : معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب ، ومنها أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ماعدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعى وإخراجها بالاجتهاد ممنوع ، . . . ومنها الوقوف على المعنى وإزاله الإشكال قال الواحدى لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها فمن ذلك مثلا قوله تعالى ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾[1] فإنا لو تركنا ومدلول اللفظ لاقتضى أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفرا ولا حضرا وهو خلاف الإجماع فلما عرف سبب نزولها علم أنها فى نافلة السفر أو فيمن صلى بالاجتهاد وبأنه له الخطأ على اختلاف الروايات فى ذلك . . . ومن الآيات التى نزلت فى مناسبات ولكن حكمها يتعدى مناسبتها ويعم كل الناس : « آيات الظهار ، وآيات اللعان ، وحد القذف ولا يحل القول فى أسباب النزول إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها . . . . »[2] تلك نبذة عن معرفة أسباب النزول وفوائدها .

٦ – ومن تمام هذا البحث ونحن نتحدث عن نزول القرآن أن نتعرف إلى الأحرف السبعة التى نزل عليها أو بها القرآن الكريم ، وذلك أنه قد رويت عدة أحاديث صحيحة من طرق كثيرة بلغت حد التواتر أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، وقد اختلف العلماء إختلافا كبيرا فى بيان المراد من هذه الأحرف السبعة حتى بلغت آراؤهم فى ذلك نحو أربعين قولا ونحاول أن

---

(١) البقرة ١١٥ .

(٢) انظر : الإتقان جـ ١ صـ ٢٨ – ٣٤ بتصرف واختصار وانظر أيضا : مناهل العرفان جـ ١ صـ ٩٩ – ١٠٧ .

نقدم فى هذه الفقرة أهمها وأشهرها ثم نختار من بينها لأنها متداخلة متشابهة :
قال السيوطى : ورد حديث نزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة أبىّ بن كعب وأنس وحذيفة بن اليمان وزيد بن أرقم وسمرة بن جندب وسلمان ابن حدد وابن عباس وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعمرو بن أبى سلمة وعمرو بن العاص ومعاذ بن جبل وهشام بن حكيم وأبى بكرة وأبى جهم وابى سعيد الخدرى وابى طلحة الأنصارى وأبى هريرة وأبى أيوب فهؤلاء أحد وعشرون صحابيا ما منهم إلا رواه وقد نص أبو عبيد على تواتره ، وأخرج أبو يعلى فى مسنده أن عثمان قال على المنبر أذكر الله رجلا سمع النبى ﷺ قال : « إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قام ، فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك فقال وأنا اشهد معهم » وقد أورد الزرقانى رحمه الله طائفة من الأحاديث عن ابن عباس وعن عمر بن الخطاب . وعن أبى بن كعب وكلها فى الصحيحين أو أحدهما ثم بدأ السيوطى فى عرض الأقوال فى بيان المراد من الأحرف السبعة فقال : اختلف فى معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولا

أحدها : أنه من المشكل الذى لا يدرى معناه لأن الحرف يصدق لغة على حرف الهجاء وعلى الكلمة وعلى المعنى وعلى الجهة . . .

الثانى : أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بل المراد التيسير والتسهيل والسعة ولفظ السبعة يطلق على الكثرة . . .

الثالث : أن المراد بها سبع قراءات وتعقب بأنه لا يوجد فى القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل . . . .

الرابع : أن المراد بها الأوجه التى يقع بها التغاير ذكره ابن قتيبة قال : فأولها ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل ولا يضار كاتب بالفتح

والرفع ، وثانيهما ما يتغير بالفعل بعد ، بالمدة بلفظ الطلب والماضى وثالثها ما يتغير باللفظ مثل « ننشرها » « ننشزها » ورابعها ما يتغير بإبدال حرف قريب المخرج مثل : طلح منضود ، طلع ، وخامسها ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل : وجاءت سكرة الموت بالحق ، وسكرة الحق بالموت ، وسادسها ما يتغير بزيادة أو نقصان مثل « والذكر والأنثى » « وما خلق الذكر والأنثى » وسابعها ما يتغير بإبدال كلمة بأخرى مثل كالعهن المنفوش ، وكالصوف المنفوش . . . .

الخامس : قال أبو الفضل الرازى : الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه فى الاختلاف الأول اختلاف الاسماء من افراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث ، الثانى اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر ، الثالث وجوه الأعراب ، الرابع النقص والزيادة ، الخامس التقديم والتأخير ، السادس الإبدال ، السابع اختلاف اللغات كالإمالة والترقيق والتفخيم والإدغام والإظهار ونحو ذلك . . .

السادس : أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة نحو أقبل وهلم وتعال وعجل وأسرع وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة وابن جرير وابن وهب وخلائق ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء ، ويدل له ما أخرجه أحمد والطبرانى من حديث أبى بكرة أن جبريل قال يا محمد اقرأ القرآن على حرف قال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف قال : كل شاف كاف ما لم تخلط آية رحمة بأية عذاب نحو قولك تعال وأقبل وهلم واذهب وأسرع وعجل . وهذا هو الصحيح الذى نختاره من الأقوال السابقة واللاحقة لأنه يجمع بين التيسير والتخفيف والهجات والقراءات والمعانى والألفاظ وكان ذلك إبان النزول حين كانوا لا يقرءون ولا يكتبون ثم نسخ بزوال العذر وتيسر الكتابة والحفظ ومن أمثلة ذلك ما روى عن أبى بن كعب أنه كان يقرأ

« كلما أضاء لهم مشوا فيه » مروا فيه ، سعوا فيه ، وكان ابن مسعود يقرأ « للذين آمنوا انظرونا » امهلونا ، أخرونا . . . .

السابع : أن المراد سبع لغات هى أفصح لغات العرب وهى قريش وهوازن ومضر والمراد أن بعض ألفاظه بهذه اللغة وبعضه بتلك وجميعها موجود فيه لا أن كل لفظ يقرأ باللغات السبع . . .

الثامن : سبعة أصناف : أمر ونهى وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال . . .

التاسع : المراد بها : المطلق والمقيد والعام والخاص والنص والمؤول والناسخ والمنسوخ والمجمل والمفسر والاستثناء وأقسامه . . .

العاشر : المراد بها : الحذف والصلة والتقديم والتأخير والاستعارة والتكرار والكناية والحقيقة والمجاز والمجمل والمفسر والظاهر والغريب .

الحادى عشر : التذكير والتأنيث والشرط والجزاء والتصريف والإعراب والأقسام وجوابها والجمع والإفراد والتصغير والتعظيم واختلاف الأدوات . . .

الثانى عشر : المراد بها سبعة أنواع من المعاملات : الزهد والقناعة مع اليقين ، والحزم والخدمة مع الحياء ، والكرم والفتوه مع الفقر ، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف ، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا ، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة والشوق مع المشاهدة . . . .

الثالث عشر : المراد بها سبعة علوم : علم الإنشاء والإيجاد ، وعلم التوحيد والتنزيه وعلم صفات الذات وعلم صفات الفعل وعلم صفات العفو والعذاب وعلم الحشر والحساب وعلم النبوات . . . .

تلك أقوال ثلاثة عشر هى أشهر الخمسة والثلاثين والمختار من بينها هو

القول السادس أنها سبعة أوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة مثل : هلم ، تعال ، أقبل . . . قال ابن حبان فهذه خمسة وثلاثون قولا لأهل العلم واللغة فى معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف ، وهى أقاويل يشبه بعضها بعضا وكلها محتملة ، ويحتمل غيرها ، وقال المرسى هذه الوجوه أكثرها متداخلة ولا أدرى مستندها ولا عمن نقلت ولا أدرى لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر مع أنها كلها موجودة فى القرآن فلا أدرى معنى التخصيص ، ومنها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة وأكثرها معارضة حديث عمر وهشام ابن حكم الذى فى الصحيح ، فإنهما لم يختلفا فى تفسيره ولا أحكامه وإنما اختلفا فى قراءة حروفه ، وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة وهو جهل قبيح . . . ومما ينبغى التنبيه إليه أن المصاحف التى بين أيدينا هى مصحف عثمان الذى نسخه من مصحف أبى بكر الذى كتبه كتاب الوحى للنبى ﷺ وقد استقر فيه من الأحرف السبعة ما أجمع عليه الصحابة وحفظوه من قراءة النبى ﷺ لهم وقراءة جبريل عليه السلام عليه فى العرضة الأخيرة للقرآن فلا مجال بعد هذا لتغيير حرف استنادا إلى أن القرآن أنزل على سبعة أحرف فإنما كان ذلك كما عرفنا وقت التنزيل للتيسير لعدم القدرة أنذاك على الحفظ والكتابة ثم زال العذر واستقر الأمر والحمد لله رب العالمين ، وفى ذلك يقول السيوطى رحمه الله « ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة جامعة للعرضة الأخيرة التى عرضها النبى ﷺ على جبريل متضمنة لها لم تنزل حرف منها قال ابن الجزرى وهذا هو الذى يظهر صوابه ، وقال ابن جرير إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة وإنما كان جائزا لهم ومرخصا لهم فيه ، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك إجماعا شائعا وهم معصومون من الضلالة و لم يكن فى ذلك ترك واجب ولا فعل حرام ،

ولا شك أن القرآن نسخ منه فى العرضة الأخيرة بالفعل المبنى للمجهول فاتفق رأى الصحابة على أن كتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقر فى العرضة الأخيرة وتركوا ما سوى ذلك ، وأخرج ابن اشتة فى المصاحف وابن أبى شيبة فى فضائله من طريق ابن سيرين عن عبيدة السلمانى قال : القراءة التى عرضت على النبى ﷺ فى العام الذى قبض فيه هى القراءة التى يقرأها الناس اليوم »[1] .

✲✲✲

(١) انظر : الإتقان جـ ١ صـ ٤٥ - ٥٠ باختصار وتصرف ومناهل العرفان جـ ١ صـ ١٣٠ - ١٨٥ وتاريخ القرآن صـ ١٥ .

البحث الثالث

فى كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه

١ – كان العرب أمة أمية لا يعرف القراءة والكتابة منهم إلا القليل قال تعالى ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾[1] وكانت هذه الأمية التى شملت النبى ﷺ إحدى دلائل نبوته وصدق رسالته إذ كيف يأتى هذا الأمى بهذا البيان الرائع المعجز من القرآن الكريم وفى هذا يقول الله تعالى ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون** ﴾[2] . ومن هنا كان اعتماد العرب على الحفظ والمشافهة والرواية أكثر من الاعتماد على التدوين والكتابة ، وقد استمر الحال كذلك حتى عصر نزول القرآن ، فكان اعتماد الرسول ﷺ وأصحابه على الحفظ والمشافهة غير أن رسول الله ﷺ للمزيد من العناية بالقرآن اتخذ كتابا للوحى من هؤلاء القلائل النادرين الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة فبدأ هؤلاء يدونون كل ما أوحى به إلى النبى ﷺ من القرآن الكريم وبهذا ضموا إلى الحفظ فى الصدور التدوين فى السطور فاجتمع للقرآن الكريم طريقان للحفظ حفظه بالراوية والمشافهة وحفظه بالكتابة والتدوين . وكان هذا تشجيعا من النبى ﷺ وحثا منه على الكتابه وتعلمها والاهتمام بها فبدأ

---

(١) الجمعة ٢ .

(٢) العنكبوت ٤٨ / ٤٩ .

المسلمون الكتاب يتزايدون استجابة لتوجيه النبى ﷺ وأمر الله تعالى ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ وقد اتضح هذا أكثر فى غزوة بدر حيث كان على الأسير المشرك أن يعلم عشرة من المسلمين فدية لنفسه ، وهكذا أعلن الرسول ﷺ بعمله هذا أن القراءة والكتابة عديلان للحرية وهذا منتهى ما تصل إليه الهمم فى تحرير شعب أمى من رق الأمية . .[1] حتى قيل إن النبى ﷺ قد تعلم القراءة والكتابة فى أخريات حياته بعد أن قامت معجزة الأمية دليلًا على صدق رسالته وأدت دورها .

٢ – وقد اتخذ النبى ﷺ من بين أصحابه كتابا لكتابة الوحى ومنهم الخلفاء الراشدون الأربعة ومعاوية بن أبى سفيان ، وأبان بن سعيد ، وخالد بن الوليد ، وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ، وثابت بن قيس ، وأرقم بن أبى وحنظلة بن الربيع والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن ابى وقاص وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن رواحة ، وعبد الله بن سعد بن ابى السرح ، وشرحبيل بن حسنة والعلاء بن الحضرمى وعمرو بن العاص ، والمغيرة ابن شعبة ، ومبقيب بن ابى فاطمة الدوسى وحذيفة بن اليمان وحويطب ابن عبد العزى العامرى ، وكان ألزمهم للنبى ﷺ وأكثرهم كتابة له زيد بن ثابت وعلىّ بن أبى طالب ، ويظهر من الروايات أنه ﷺ كان يهتم بكتابة القرآن ، روى البخارى عن البراء قال : لما نزلت ﴿ **لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله** ﴾[2] قال النبى ﷺ : ادع لى زيدا وليجىء باللوح والدواة والكتف ثم قال : اكتب ﴿ **لايستوى القاعدون** ﴾ .

---

(١) انظر : مناهل العرفان جـ ١ صـ ٣٥٧ وتاريخ القرآن صـ ٦ .

(٢) النساء ٩٥ .

وكان هؤلاء الكتاب يكتبون القرآن الكريم فى العسب واللخاف والرقاع ، وأحيانا فى الحرير وقطع الأديم والأكتاف على عادة العرب بالكتابة على تلك الأشياء وكانت تطلق عليها الصحف ، وكانت تلك الصحف تكتب لرسول الله ﷺ وتوضع فى بيته قال محمد بن اسحق فى الفهرست : وكان القرآن مكتوبا بين يدى رسول الله ﷺ فى اللخاف والعسب وأكتاف الإبل ، وروى البخارى عن زيد بن ثابت أنه قال : تتبعت القرآن أجمعه من اللخاف والعسب وصدور الرجال[1] .

فهذا ما كتب لرسول الله ﷺ وحفظ فى بيته وهو كل القرآن وقد كان بعض الصحابة يكتب لنفسه ما تيسر له من الكتابة سواء كل القرآن أو بعضه ، وكان كل منهم يرتب لنفسه ترتيبا إما على حسب سمعه أو على حسب حفظه أو الأيسر له ، وكان بعضهم يفوته الكثير مما ينزل فى غيابه وقد يكتبه وقد لا يكتبه ، قال الزرقانى : وصفوة القول أن القرآن كان مكتوبا كله على عهد رسول الله ﷺ وكانت كتابته ملحوظا فيها أن تشمل الأحرف السبعة التى نزل عليها غير أن بعض الصحابة كان قد كتب بعض منسوخ التلاوة ، وبعض ما هو ثابت بخبر الواحد ، وربما كتبه غير مرتب ، ولم يكن القرآن على ذلك العهد مجموعا فى صحف ولا مصاحف عامة[2] .

٣ – ثم قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه بمشورة من عمر رضى الله عنه بعد أن استحر القتل بالقراءة والحفاظ فى حروب الردة ومعركة اليمامة قام بتكليف زيد بن ثابت رضى الله عنه بجمع القرآن ، وكان ذلك الجمع عبارة عن ضم ما كان محفوظا من العسب واللخاف والعظام فى بيت النبى ﷺ

---

(١) تاريخ القرآن صـ ٢٢ .

والعسب : جريد النخل ، واللخاف : الحجارة الرقيقة ، والرقاع القطع من الجلد أو الورق أو القماش ، والأديم : الجلد .

(٢) انظر : مناهل العرفان جـ ١ صـ ٢٤١ .

فى إطار واحد وخيط واحد أى جعل المتفرق مجتمعا ، فالقرآن كان مرتبا فى الصدور والحفظ ومجموعا بالكتابة فى قطع متفرقة وغير مرتبة فرتب زيد بن ثابت وجمع المتفرق طبقا للمحفوظ عن النبى ﷺ فى العرضة الأخيرة للقرآن ، جمع ذلك كله فى إطار واحد فصار مصحفا قال الإمام أبو عبد الله المحاسبى : فى كتاب فهم السنن ما نصه : « كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه ﷺ كان يأمر بكتابته ، ولكنه كان مفرقا فى الرقاع والأكتاف والعسب ، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله ﷺ فيها القرآن منتشرا فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء[1] وقد اختار أبو بكر لهذه المهمة رجلا حفظ القرآن ومهر فى كتابته للنبى ﷺ وشهد العرضة الأخيرة بالإضافة إلى مؤهلاته الأخرى التى ذكرها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى زيد « إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ . . وكان زيد رضى الله عنه يطابق المحفوظ فى الصدور مع المحفوظ عنده مع المخطوط فى صحف النبى ﷺ فجمع بين الحفظ والكتابة زيادة فى التوثق ومبالغة فى الاحتياط و لم يكن يقبل المحفوظ – رغم حفظه له – إلا بشهادة اثنين عدلين ، وقد حفظ أبو بكر الصديق ما جمعه زيد فى بيته ثم حفظه عمر ثم حفظته حفصة حتى طلبه عثمان لينسخ منه مصاحفه .

٤ – ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية فى عهد عثمان رضى الله ووقع من المسلمين الأعاجم لحن فى قراءة القرآن ووقع الاختلاف بين بعض الصحابة فى القراءة حتى كادوا يقتتلون قدم حذيفة بن اليمان من أذربيجان على عثمان رضى الله عنه وقال له أدرك الأمة قبل أن يقتتلوا كما فعلت الأمم السابقة فقرر

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٤٣ .

عثمان نسخ المصحف الأول مصحف أبى بكر بخط واحد فى عدة مصاحف يوزعها على الأمصار ويحرق ما سواها وجمع لذلك جمعا من الصحابة على رأسهم صاحب الجمع الأول زيد بن ثابت وقد اتفقت هذه اللجنة على الضوابط التى تم النسخ بها ومن أهمها : الاعتماد على النسخة الأولى ثم رسم الكلمة التى لا تختلف فيها القراءة بصورة واحدة والتى تختلف فيها القراءة برسم يحتمل وجوه القراءة ، وكان من الدستور الذى وضعه عثمان لهذه اللجنة أنه قال للثلاثة القريشين : عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم ففعلوا وأجمع الصحابة على ما فعلوا وأحرقوا ما سوى ذلك ، ثم رد عثمان النسخة الأولى نسخة أبى بكر من مصحف رسول الله ﷺ إلى حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها وأرسل من النسخ التى كتبتها اللجنة نسخة الى كل عاصمة من العواصم الإسلامية : مكة والكوفة ودمشق ومصر والبصرة وأبقى نسخة عنده فى المدينة وأمر بإحراق ما عداها من المصاحف الخاصة كمصحف على أو أبى أو ابن مسعود ، ووافقوا على ذلك وكان هذا بإجماع من الصحابة رضوان الله عليهم .

٥ – وقد استمرت العناية بالقرآن الكريم بعد عهد الصحابة رسما وكتابة وتنقيطا وتشكيلا وترقيما و . . والخ حتى إن بعض العلماء ألفا كتبا فى رسم المصاحف ، وفى كتابة المصحف العثمانى استقرت عدة قواعد لا يجوز تغييرها ولا الميل عنها لأنها أصبحت من خصائصه وتجتمع هذه القواعد فى ست :

١ – الحذف أى حذف حروف المد كالألف فى يأيها والياء فى أطيعون وأمثالها والواو فى لا يستون وأمثالها واللام إذا كانت مدغمة فى مثلها . . . . وهكذا .

٢ – الزيادة كزيادة الألف بعد واو الاسم المجموع مثل بنوا إسرائيل أولوا

الألباب . . . وفى نهاية الكلمات المنصوبة « الرسولا – الظنونا – السبيلا » .

٣ – الهمز أى كتابة الهمزة الساكنة بحرف حركة ما قبلها مثل « ائذن » .

٤ – والبدل وهو عبارة عن كتابة الواو بدل الألف فى الصلواة والزكوة وكتابة الياء بدلا منها فى : إلى وعلى وأنى .

٥ – الفصل والوصل : وذلك مثل وصل أن بلا مثل « ألا تخافوا » وتوصل كلمات نعما وكأنما ويكأن ونحوها وتفصل أن فى بعض المواضع منها « أن لا تعبدوا إلا الله ، ومن فى مثل من ما ملكت أيمانكم ، وعن فى مثل عن ما نتهوا عنه » .

٦ – قاعدة القراءتين أى أن الكلمة التى تقرأ على وجهين تكتب برسم أحدهما مثل « ملك ، يخدعون ، ووعدنا موسى ، تفدوهم ، فقد رسمت فى المصحف بلا ألف وتنطق أيضا بالألف .

وقد قال الجمهور إن قواعد الكتابة هذه توقيفية أخذتها لجنة عثمان عن كتاب الوحى عن رسول الله ﷺ فيجب إحترامها ولا تجوز مخالفتها . وقيل إنه اصطلاحى لا توقيفى وتجوز مخالفته والصحيح الأول ولذا بقى بحمد الله تعالى وحفظه كما هو إلى اليوم بلا تغيير ولا تبديل ، ولو فتح باب التغيير لتغير منه الكثير .

٦ – وقد امتدت يد التجويد والتحسين إلى المصحف العثمانى وتنوع هذا التجويد والتحسين والصقل بين عدة أمور نبينها فيما يلى :

أ – كان المصحف العثمانى غير منقوط فمثلا فتبينوا تكتب هكذا فتبينوا وذلك إنما كان بهدف الحفاظ على قراءتها فتثبتوا .

وخروجا من الاضطراب بين الناس نقطت الحروف وحفظت القراءات بشكل آخر ويقال إن أول من نقط حروف المصحف أبو الأسود الدؤلى ،

ثم تابعه فى ذلك نصر بن عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى بأمر من الحجاج بن يوسف فى خلافة عبد الملك بن مروان .

ب – وكان المصحف العثمانى غير مشكل أى ليست فيه حركات الإعراب المعروفة الفتحة والضمة والكسرة والسكون ، وكان الاعتماد على الحفظ والسليقة ، ولكن لما دخل فى الإسلام كثير من الأعاجم بدأ اللحن يتسرب وأصبحت الحاجة إلى الشكل ماسة فقام أبو الأسود الدؤلى رحمه الله بذلك ثم تابعه فى هذا كثير من الناس بأمر عبد الملك بن مروان وفى حكم هذا العمل قال النووى[1] رحمه الله « قال العلماء : ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه ، وأما كراهة الشعبى والنخعى النقط فإنما كرهاه فى ذلك الزمان خوفا من التغيير فيه وقد أمن ذلك اليوم فلا يمنع من ذلك لكونه محدثا فإنه من المحدثات الحسنة فلا يمنع منه كنظائره مثل تصنيف العلم وبناء المدارس والرباطات وغير ذلك[2] .

جـ – وكلما امتد الزمان بالناس ازدادت عنايتهم بتيسير الرسم القرآنى وقد اتخذ هذا التيسير أشكالا مختلفة ، فكان الخليل أول من صنف النقط ورسمه فى كتاب وذكر علله وأول من وضع الهمز والتشديد والروم والإشمام ، ولا يكاد أبو حاتم السجستانى يؤلف كتابه عن نقط القرآن وشكله حتى يكون رسم المصاحف قد قارب الكمال حتى إذا كانت نهاية القرن الثالث الهجرى بلغ الرسم ذروته من الجودة والحسن ، وأصبح الناس يتنافسون فى اختيار الخطوط الجميلة وابتكار العلامات المميزة ، حتى جعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها أو وسطها على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة .

---

(١) التبيان صـ ٢٨٠ .

(٢) انظر : مناهل العرفان جـ ١ صـ ٤٠٢ ومباحث فى علوم القرآن صـ ٩٠ – ٩٤ .

د – ومن المحدثات التى كرهها العلماء أول الأمر ثم انتهوا إلى إباحتها أو استحبابها أخيرا بدعة كتابة العناوين فى رأس كل سورة ووضع رموز فاصلة عند رءوس الآيات وتقسيم القرآن إلى أجزاء والأجزاء إلى أحزاب والأحزاب إلى أرباع والإشارة إلى ذلك كله برسوم خاصة ، وكما هى العادة عارض بعض العلماء فى أول الأمر هذه الخطوات وبخاصة اسماء السور وعناوينها ثم ما لبثوا أن قبلوا ذلك .

هـ – وقد أسهم الخطاطون فى تجويد المصاحف وتحسين كتابتها فظلوا يكتبون المصاحف بالخط الكوفى حتى أواخر القرن الرابع ثم حل محله خط النسخ فى أوائل القرن الخامس وفيه جميع النقط والحركات التى ما نزال نستخدمها حتى يومنا هذا .

و – ثم كانت الطباعة تأكيدا لعناية الله بكتابة وتسخير الناس لحفظه ، وقد ظهرت أول طبعة للقرآن فى البندقية سنة ١٥٣٠ م ثم توالى طبع القرآن بعد ذلك فى أوروبا عدة طبعات إلى أن ظهرت أول طباعة إسلامية سنة ١٧٨٧ فى سانت بتر سبورع بروسيا وهى التى قام بها مولاى عثمان وظهر مثلها فى قازان ثم فى طهران سنة ١٨٢٨ وفى تبريز سنة ١٨٣٣ ، وفى الهند ثم الآستانة سنة ١٨٧٧ م ثم كان الحدث العظيم السعيد حين ظهرت فى القاهرة طبعة أنيقة جميلة دقيقة لكتاب الله سنة ١٩٢٣ م تحت إشراف مشيخة الأزهر ، وقد تلقى العالم الإسلامى فى هذا المصحف بالقبول وأصبحت ملايين النسخ تطبع منه سنويا[1] ، ثم انتشرت هذه الطباعة والعناية فى كثير من الدول الإسلامية حتى قام خادم الحرمين بإنشاء مجمع ضخم فى المدينة المنورة لطبع الملايين من المصحف الشريف وتوزيعها فى شتى أرجاء العالم .

✲✲✲

---

(١) انظر : مباحث فى علوم القرآن صـ ٩٩ / ١٠٠ .

البحث الرابع

فى المحكم والمتشابه

قال الله تعالى ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾[1] . وأمام هذه الآية الكريمة وقف العلماء والمفسرون وقفة طويلة لمعرفة المحكم والمتشابه من آيات الله البينات واختلفوا فى بيان ذلك على ما سنبين فى هذا البحث .

١ – قال القرطبى : اختلف العلماء فى المحكمات والمتشابهات على أقوال عديدة ، فقال جابر بن عبد الله وهو مقتضى قول الشعبى وسفيان الثورى وغيرهما ، المحكمات من أى القرآن ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لأحد إلى علمه سبيل مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه ، قال بعضهم وذلك مثل وقت قيام الساعة وخروج يأجوج ومأجوج والدجال وعيسى ، ونحو الحروف المقطعة فى أوائل السور قلت : هذا أحسن ما قيل فى المتشابه ، وقد قدمنا أن الله تعالى أنزل القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء ، وقال أبو عثمان : المحكم فاتحة الكتاب التى لا تجزىء الصلاة إلا بها ، وقال محمد بن الفضل : سورة الأخلاص لأنه ليس فيها إلا التوحيد فقط ، وقد قيل القرآن كله محكم بقوله تعالى ﴿ **كتاب أحكمت**

---

(١) سورة آل عمران ٧ .

آياته ﴾[1] ، وقيل كله متشابه لقوله تعالى ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى ﴾[2] قلت : وليس هذا من معنى الآية فى شىء فإن قوله ﴿ كتاب أحكمت آياته ﴾ أى فى النظم والرصف وأنه حق من عند الله ومعنى ﴿ كتابا متشابها ﴾ أى يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وليس المراد بقوله ﴿ آيات محكمات ﴾ وآخر متشابهات هذا المعنى وإنما المتشابه فى هذه الآية من باب الاحتمال والاشتباه من قوله ﴿ إن البقر تشابه علينا ﴾[3] أى التبس علينا . أى يحتمل أنواعا كثيرة من البقر والمراد بالمحكم ما فى مقابلة هذا وهو ما لا التباس فيه ولا يحتمل إلا وجها واحدا وقيل إن المتشابه ما يحتمل وجوها ثم إذا ردت الوجوه إلى وجه واحد وأبطل الباقى صار المتشابه محكما . فالمحكم أبدا أصل ترد إليه الفروع ، والمتشابه هو الفرع ، وقال ابن عباس : المحكمات هى قوله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾ إلى قوله ﴿ ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾[4] وقوله فى بنى إسرائيل - الإسراء : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ إلى قوله ﴿ ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا ﴾[5] قال ابن عطية : وهذا عندى مثال أعطاه فى المحكمات ، وقال ابن عباس أيضا : المحكمات ناسخة وحرامه وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به ، والمتشابهات المنسوخات ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه ، وما يؤمن به ولا يعمل به ، وقال ابن مسعود وغيره : المحكمات الناسخات ، والمتشابهات المنسوخات وقاله : قتادة والربيع والضحاك ، وقال محمد

---

(١) سورة هود ١ .
(٢) سورة الزمر ٢٣ .
(٣) سورة البقرة ٧٠ .
(٤) سورة الأنعام ١٥١ - ١٥٣ .
(٥) سورة الإسراء ٢٣ - ٣٩ .

ابن جعفر : المحكمات هى التى فيها حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه ، والمتشابهات لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد ، وقاله مجاهد وابن إسحاق قال ابن عطية هذا أحسن الأقوال فى هذه الآية قال النحاس : أحسن ما قيل فى المحكمات والمتشابهات أن المحكمات ما كان قائما بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره نحو : ﴿ لم يكن له كفوا أحد ﴾ ﴿ وإنى لغفار لمن تاب ﴾[1] والمتشابهات نحو ﴿ إن الله يغفر الذنوب جميعا ﴾[2] يرجع فيه إلى قوله عز وجل ﴿ وإنى لغفار لمن تاب ﴾ وإلى قوله عز وجل ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾[3] ، قلت (القرطبى) : ما قاله النحاس يبين ما اختاره ابن عطية وهو الجارى على وضع اللسان ، وذلك أن المحكم اسم مفعول من أحكم والإحكام الإتقان ، ولا شك فى أن ما كان واضح المعنى لا إشكال فيه ولا تردد ، إنما يكون كذلك لوضوح مفردات كلماته وإتقان تركيبها ، ومتى اختل أحد الأمرين جاء التشابه والإشكال والله أعلم وقال ابن خويز منداد : للمتشابه وجوه ، والذى يتعلق به الحكم ما اختلف فيه العلماء أى الآيتين نسخت الأخرى كقول علىّ وابن عباس فى الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد أقصى الأجلين ، فكان عمر وزيد بن ثابت وابن مسعود وغيرهم يقولون وضع الحمل ويقولون : سورة النساء القصرى[4] نسخت أربعة أشهر وعشرا[5] ، وكان علىّ وابن عباس يقولان لم تنسخ ،

---

(١) طه ٨٢ .

(٢) الزمر ٥٣ .

(٣) النساء ٤٨ .

(٤) هى سورة الطلاق أى قوله تعالى ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعهن حملهن ﴾ الطلاق ٤ .

(٥) يشير إلى قوله تعالى ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ﴾ البقرة ٢٣٤ .

وكإختلافهم فى الوصية للوارث هل نسخت أم لم تنسخ ، وكتعارض الآيتين أيهما أولى أن تقدم إذا لم يعرف النسخ ولم توجد شرائطه كقوله تعالى﴿ **وأحل لكم ما وراء ذلكم** ﴾[1] يقتضى الجمع بين الأقارب من ملك اليمين ، وقوله تعالى ﴿ **وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف** ﴾[2] يمنع ذلك ، ومنه أيضا تعارض الأخبار عن النبى ﷺ وتعارض الأقيسة فذلك المتشابه وليس من المتشابه أن تقرأ الآية بقراءتين ويكون الاسم محتملا أو مجملا يحتاج إلى تفسير لأن الواجب منه قدر ما يتناوله الاسم أو جميعه ، والقراءتان كالآيتين يجب العمل بموجبها جميعا كما قرىء ﴿ **وامسحوا برءوسكم وأرجلكم** ﴾[3] بالفتح والكسر[4] هذا ما ذكره القرطبى وغيره من معانى المحكم والمتشابه وهى كما رأينا كثيرة ولكنها تدور حول معنيين رئيسيين الأول أن المحكم هو ما عرف المراد منه إما بالظهور أو بالتأويل ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة ، والثانى : ما اختاره ابن عطية والقرطبى والنحاس ومجاهد وابن إسحاق وغيرهم وهو أن المحكم ما كان قائما بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره ، والمتشابه ما ليس قائما بنفسه ويحتاج فى معرفته إلى الرجوع إلى غيره كما مر من الآيات .

ونحن مع هؤلاء العلماء فى اختيار هذا الرأى وترجيحه ، فالمحكم هو الواضح الصريح الظاهر المباشر الذى يعرفه كل الناس ولا يحتاج إلى بيان أو توضيح ولا يعتمد على غيره فى بيان معناه وهذا هو معظم القرآن الكريم وجملته كما قال تعالى ﴿ **هن أم الكتاب** ﴾ أما المتشابه فهو الغامض الذى

---

(١) النساء ٢٤ .

(٢) النساء ٢٣ .

(٣) المائدة ٦ .

(٤) انظر : القرطبى جـ ٤ صـ ٩ – ١٢ وتفسير ابن عطية جـ ٣ صـ ١٧ – ٢٠ والإتقان جـ ٢ صـ ٢ / ٣ .

لا يعرفه كل الناس ويحتاج المختصون فى معرفته إلى التأويل وإلى عوامل أخرى مساعدة ، وقد لا يصلون فيه إلى معنى واضح أو متفق عليه وذلك مثل فواتح السور المقطعة وآيات الصفات ، وليس مثل قيام الساعة أو علاماتها فهذا من الغيب الذى استأثر الله بعلمه ، ولسنا مع القرطبى وغيره فى القول بأن المحكم هو المتقن لأن الإحكام هو الإتقان لأن القول بهذا يعنى أن المتشابه غير متقن وحاشا لله أن يكون فى كلامه شيء غير متقن ، فالقرآن كله بمحكمه ومتشابهه متقن قال تعالى ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾[1] فالمحكم والمتشابه محكمان كما أن المحكم والمتشابه متشابهان أى يصدق كل منهما الآخر فى الإعجاز والتأييد والهداية كما قال تعالى ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى** ﴾[2] قال السيوطى : حكى ابن حبيب النيسابورى فى ذلك ثلاثة اقوال : أحدها : أن القرآن كله محكم لقوله تعالى ﴿ **كتاب أحكمت آياته** ﴾ الثانى : كله متشابه لقوله تعالى ﴿ **كتابا متشابها مثانى** ﴾ الثالث : وهو الصحيح انقسامه إلى محكم ومتشابه للآية المصدر بها والجواب عن الآيتين أن المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه ، وبتشابهن كونه يشبه بعضه بعضا فى الحق والصدق والإعجاز[3] . ومما يؤيد هذا ما قاله الزرقانى رحمه الله : « نحن إذا نظرنا فى هذه الآراء لا نجد بينها تناقصا ولا تعارضا بل نلاحظ بينها تشابها وتقاربا بيد أن الرازى صاحب الرأى الأقوى والأوضح لأن أمر الإحكام والتشابه يرجع فيما نفهم إلى وضوح المعنى المراد للشارع من كلامه وإلى عدم وضوحه ، وتعريف الرازى جامع مانع من هذه الناحية لا يدخل فى المحكم ما كان خفيا ولا فى المتشابه ما كان جليا لأنه استوفى وجوه الظهور والخفاء

---

(١) هود ١ .

(٢) الزمر ٢٣ .

(٣) الاتقان جـ ٢ صـ ٢ .

استيفاء تاما ؛ فالمحكم ما كانت دلاله راجحة وهو النص والظاهر ، أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل »[1] .

٢ – وبعد أن عرفنا المراد من المحكم والمتشابه نقف عند بيان أنواع التشابه وأسبابها ودرجاتها ، فما دام المتشابه هو الخفى فهل درجة الخفاء واحدة وما سبب هذا الخفاء هل لأنه من الغيب ؟ أو لأنه مما يصعب فهمه على كل الناس ؟ وهكذا .

وقد بين العلماء أن الخفاء يرجع إلى اللفظ فقط أو المعنى فقط أو إلى اللفظ والمعنى معا فتبين أن أقسام المتشابه ثلاثة ويندرج تحت كل منها فروع ولكل فرع أمثلته فى القرآن الكريم وإليك بيانها :

أ – الخفاء الذى يرجع إلى الألفاظ وأمثلته :

١ – الغرابة فى اللفظ المفرد كقوله تعالى ﴿ **وفاكهة وأبا** ﴾[2] فلفظ الأب فى الآية مفرد غريب لهذا كان من المتشابه لأن معناه خفى لا يعرفه إلا المتخصصون وهو ما ترعاه البهائم ، وقد سأل عمر عنه رسول الله ﷺ ، وقيل سأل أبا بكر فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم ؟ وروى أن رجلا سأل عمر عن قوله ﴿ **وأبا** ﴾ فلما رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرة – العصا – ، وعن أنس أن عمر قرأ على المنبر ﴿ **وفاكهة وأبا** ﴾ قال : كل هذا عرفناه فما الأب ؟ ثم رفض – ألقى – عصى كانت فى يده فقال : هذا لعمر الله هو التكلف ، فما عليك أن لا تدرى ما الأب ؟ اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب فاعملوا به ، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه[3] .

---

(١) انظر مناهل العرفان جـ ٢ صـ ١٧٠ / ١٧٢ .

(٢) عبس ٣١ .

(٣) انظر فتح القدير جـ ٥ صـ ٣٨٧ .

٢ – الخفاء بسبب الاشتراك فى اللفظ المفرد أى المفرد الذى له معان كثيرة كقوله تعالى ﴿ **فراغ عليهم ضربا باليمين** ﴾[١] فلفظ اليمين غير واضحة المعنى هنا لأنها تحتمل الذراع اليمنى أو القوة أو الحلف فوقع التشابه من هذا الاشتراك فى اللفظ ، وإن كانت كل المعانى صالحة لأن درجة الخفاء بسيطة وأى معنى منها مناسب .

٣ – الخفاء بسبب اختصار التركيب الفظى كقوله تعالى ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء** ﴾[٢] فإن خفاء المراد فيه جاء من ناحية إيجازه والأصل ﴿ **وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى لو تزوجتموهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء** ﴾ ومعناه أنكم إذا تحرجتم من زواج اليتامى مخافة أن تظلموهن فأمامكم غيرهن فتزوجوا منهن ما طاب لكم .

٤ – الخفاء بسبب البسط والإطناب فى التركيب اللفظى مثل قوله تعالى ﴿ **ليس كمثله شىء** ﴾[٣] فالكاف بمعنى مثل فتصبح الآية ﴿ **ليس مثل مثله شىء** ﴾ ، مع أن الكاف لو حذفت لكان المعنى أوضح ﴿ **ليس مثله شىء** ﴾ . ولكن الله سبحانه هو العليم بالسر والمراد فى ذلك .

٥ – الخفاء بسبب ترتيب اللفظ ونظمه كقوله تعالى ﴿ **الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما** ﴾[٤] فالخفاء جاء من تأخير ﴿ **قيما** ﴾ وهى حال من الكتاب وفصل بينهما بجملة ﴿ **ولم يجعل له عوجا** ﴾ ومن أمثلة الخفاء الراجع إلى الألفاظ الحروف المقطعة فى أوائل السور مثل : ألم ، طسم ، حم ، ق ، ن ، ونحوها .

---

(١) الصافات ٩٣ .

(٢) النساء ٣ .

(٣) الشورى ١١ .

(٤) الكهف ١ / ٢ .

ب – أما الخفاء الذى يرجع إلى المعنى فقط فأمثلته كثيرة منها ما يتعلق بيوم القيامة والجنة والنار والنعيم والعذاب والملائكة والجن وصفات الله تعالى وغير ذلك من الغيبيات وسر الخفاء فى ذلك أن هذه الأمور خارجة عن دائرة الحس وبالتالى يكون من الصعب فهمها فهما كاملا .

جـ – القسم الثالث الخفاء بسبب اللفظ والمعنى معا فمن أمثلته قوله تعالى : ﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى** ﴾[1] فقد جاء الخفاء هنا من جهة اختصار اللفظ والجهل بعادة العرب حينما يكونون محرمين حيث كان من عادتهم أن يأتوا البيوت من ظهورها فأهل الوبر يأتون من خلف الخباء وأهل المدر يفتحون فتحة من ظهر البيت وأنزل الله هذه الآية ليبين لهم أن تقوى الله ليست فى هذا ولا ذاك ولكنها فى التقوى والعبادة ، ولو بسط اللفظ وفهمت عادة العرب لذهب الخفاء كقولنا : وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها إن كنتم محرمين بحج أو عمرة كما هى عادتكم فى الجاهلية ولكن البر فى التقوى .

ومن هذا نعلم أن من المتشابه ما يمكن معرفته ، ومنه ما يمكن معرفته بصعوبة ، ومنه ما لا يمكن معرفته كما أشار الراغب فى مفردات القرآن وكان مما قال : المتشابه على ثلاثة أضرب : ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك ، وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام القلقة ، وضرب متردد بين الأمرين يختص بمعرفته بعض الراسخين فى العلم ويخفى على من دونهم وهو المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ، وإذا عرفت هذه الجهة عرفت أن الوقوف على قوله : وما يعلم تأويله إلا الله ووصله بقوله « والراسخون فى العلم » جائز وأن لكل واحد منهما وجها جسيما دل عليه

---

(١) البقرة ١٨٩ .

التفصيل المتقدم ، وهذا رأى الجمهور من العلماء وهناك من يرى أن المتشابه كله لا يمكن معرفته وأن الواجب التوقف فيه لأن الله تعالى امتدح الراسخين فى العلم لأنهم يؤمنون به بلا معرفة وذم الذين فى قلوبهم زيغ لأنهم يتتبعون المتشابه ويخوضون فيه ويؤولونه ﴿ **فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ وفى ذلك يقول السيوطى رحمه الله : « اختلف هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا الله على قولين منشؤهما الاختلاف فى قوله « والراسخون فى العلم » هل هو معطوف ويقولون حال ، أو مبتدأ خبره يقولون والواو للاستئناف وعلى الأول طائفة يسيره منهم مجاهد وهو رواية عن ابن عباس فأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس فى قوله « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم » قال أنا ممن يعلم تأويله ، وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد فى قوله « والراسخون فى العلم قال يعلمون تأويله ويقولون آمنا به » وأخرج بن أبى حاتم عن الضحاك قال : الراسخون فى العلم يعلمون تأويله ، لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ولا حلاله من حرامه ولا محكمه من متشابهة واختار هذا القول النووى فقال فى شرح مسلم إنه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته ، وقال ابن الحاجب إنه الظاهر وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصا أهل السنة فذهبوا إلى الثانى وهو أصح الروايات عن ابن عباس . .[1] ولسنا مع الرأى الأول الذى يدعى علم المتشابه كله ، ولا مع الرأى الثانى الذى يترك المتشابه كله ، ولكنا مع الرأى الوسط الذى يقسم المتشابه إلى ما لا يمكن معرفته مما استأثر الله عز وجل به كقيام الساعة

---

(١) انظر الإتقان جـ ٢ صـ ٣ .

ونحوه ، وما يمكن معرفته للمختصين والمجتهدين من أهل التأويل والعلم باللغة وأسرارها وهو المترددين السهل والصعب والباقى يعرفه كل الناس رغم غرابته كالأب ونحوه .

٣ – وإليك الآن نموذجين من نماذج المتشابه فى القرآن الكريم وبيان أقوال العلماء والقول الراجح فى كل منهما :

أ – فواتح السور الهجائية : افتتحت بعض سور القرآن الكريم بحروف هجائية بعضها حرف واحد مثل : ق ، ن ، ص ، وبعضها حرفان مثل حم ، طه ، يس ، وبعضها ثلاثة أحرف مثل : ألم ، ألر ، وبعضها أربعة أحرف مثل : المص ، ألمر ، وبعضها خمسة أحرف مثل كهيعص ، حم عسق ، ومن هذه الافتتاحيات ما جاء مرة واحدة فى سورة واحدة مثل : ق ، ن ، ص ، ومنها ما تكرر مثل حم ، طسم ، ألم ، ألر . وأمام تفسير هذه الحروف وقف العلماء حائرين فمنهم من توقف أمامها وقال : الله أعلم بمراده ، وهذا مما استأثر الله بعلمه ، ومنهم من قال فيها قولا وبعض هذه الأقوال غريب وشاذ وبعضها معقول ومقبول فمن هذا وذاك ما نقله السيوطى قال : ومن المتشابه أوائل السور والمختار فيها أيضا أنها من الأسرار التى لا يعلمها إلا الله تعالى أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبى أنه سئل عن فواتح السور فقال : إن لكل كتاب سرا وإن سر هذا القرآن فواتح السور ، وخاض فى معناها آخرون فأخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق أبى الضحى عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ ألم ﴾ قال : أنا الله أعلم ، وفى قوله ﴿ المص ﴾ أنا الله أفصل ، وفى قوله ﴿ ألر ﴾ انا الله أرى ، وأخرج من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس فى قوله « الم وحم ون قال : اسم مقطع ، وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : الر وحم ون حروف الرحمن مفرقة ، وأخرج أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال : الر من

الرحمن ، وأخرج عنه أيضا ﴿ المص ﴾ الألف من الله والميم من الرحمن والصاد من الصمد ، وأخرج أيضا عن الضحاك فى قوله ﴿ المص ﴾ أنا الله الصادق ، وقيل ﴿ المص ﴾ معناه المصور وقيل ﴿ المر ﴾ معناه أنا الله أعلم وأرفع حكاهما الكرمانى فى غرائبه ، وأخرج الحاكم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى ﴿ كهيعص ﴾ قال كاف هاد أمين عزيز صادق ، وأخرج ابن أبى حاتم من طريق السدى عن ابى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة وعن ابن مسعود وناس من الصحابة فى قوله ﴿ كهيعص ﴾ قال هو هجاء مقطع الكاف من الملك والهاء من الله ، والياء والعين من العزيز والصاد من المصور ، وأخرج عن محمد بن كعب مثله إلا أنه قال والصاد من الصمد ، وأخرج سعيد بن منصور وابن مردويه من طريق آخر عن سعيد عن ابن عباس فى قوله ﴿ كهيعص ﴾ قال كبير هاد أمين عزيز صادق وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله ﴿ كهيعص ﴾ قال : الكاف الكافى والهاء الهادى والعين العالم والصاد الصادق ، وأخرج من طريق يوسف بن عطية قال : سئل الكلبى فحدث عن ﴿ كهيعص ﴾ عن أبى صالح عن أم هانىء عن رسول الله ﷺ قال : كاف هادٍ أمين عالم صادق ، وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله ﴿ كهيعص ﴾ قال يقول : أنا الكبير أنا الهادى على أمين صادق وأخرج عن محمد بن كعب فى قوله ﴿ طه ﴾ الطاء من ذى الطول . . . إلى أن قال : وهذه الأقوال كلها راجعة إلى قول واحد وهو أنها حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة معهود فى العربية ، وقيل إنها الاسم الأعظم إلا أنا لا نعرف تركيبه . . . . وأخرج ابن جرير وغيره من طريق على ابن طلحة عن ابن عباس قال : ألم وطسم وص وأشباهها قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله وهذا يصلح أن يكون قولا ثالثا . . .

٤ – وقيل هى أسماء للقرآن كالفرقان والذكر . . . . .

٥ – وقيل هى أسماء للسور . . . .

٦ – وقيل هى فواتح للسور . . . .

٧ – وقيل هى تنبيهات كما فى النداء عده ابن عطية مغاير للقول بأنها فواتح والظاهر أنه بمعناه . . . .

٨ – وقيل إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التى هى أ ب ت ث فجاء بعضها مقطعا وجاء تمامها مؤلفا ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التى يعرفونها فيكون ذلك تقريعا لهم ودلالة على عجزهم أن ياتوا بمثله بعد أن يعلموا أنه منزل بالحروف التى يعرفونها وبينون كلامهم منها .

٩ – وقيل المقصود بها الإعلام بالحروف التى يتركب منها الكلام فذكر منها أربعة عشر حرفا وهى تصف جميع الحروف وذكر من كل جنس نصفه فمن حروف الحلق الحاء والعين والهاء ومن التى فوقها القاف والكاف ومن الحرفين الشفهيين الميم ، ومن المهموسة السين[1] ومن المجهورة الهمزة والميم واللام والعين والراء والطاء والقاف[2] ومن المطبقة الطاء والصاد ، ومن المستعلية القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة الهمزة واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ، ومن القلقلة القاف والطاء ، ثم إنه تعالى ذكر حروفا مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة وأربعة وخمسة لأن تراكيب الكلام على هذا النمط ولا زيادة على الخمسة .

١٠ – وقيل هى أمارة جعلها الله لأهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتابا

---

(١) والحاء والكاف والصاد والهاء ومن الشديدة الهمزة والطاء والقاف والكاف .
(٢) والياء والنون .

فى أول سور منه حروف مقطعة ثم قال فى نهاية هذا العرض : هذا ما وقفت عليه من الأقوال فى أوائل السور من حيث الجملة ، وفى بعضها أقوال آخر[1] . . . .

وقد رأينا من هذه الأقوال أن كثيرا منها يرجع إلى أسماء الله تعالى ولا دليل على ذلك ، لذا فإننا نرجح ما رجحه كثير من العلماء أن هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور إشارة من إشارات الإعجاز القرآنى كأن الله عز وجل يقول إن القرآن مؤلف من حروف مثل حروفكم ومع هذا تعجزون عن الإتيان بمثله فهذا دليل إعجازه وأنه من عند الله .

ب – صفات الله تعالى : من المتشابه أيضا آيات الصفات ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد نحو ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾[2] ﴿ **كل شىء هالك إلا وجهه** ﴾[3] ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾[4] ﴿ **ولتصنع على عينى** ﴾[5] ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾[6] ﴿ **والسموات مطويات بيمينه** ﴾[7] ، وأمام هذه الآيات وأمثالها من الأحاديث كقوله ﷺ « قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » وقف العلماء مترددين فى تفسيرها : هل تحمل على الحقيقة فيكون لله تعالى وجه ويد وعين و . . . الخ أما تحمل على المجاز ويكون المعنى ذات الله تعالى وعلمه وقدرته ونحو ذلك قال السيوطى : جمهور أهل السنة منهم السلف

---

(١) الإتقان جـ ٢ صـ ٨ – ١١ باختصار وتصرف .
(٢) سورة طه ٥ .
(٣) سورة القصص ٨٨ .
(٤) سورة الرحمن ٢٧ .
(٥) سورة طه ٣٩ .
(٦) سورة الفتح ١٠ .
(٧) سورة الزمر ٦٧ .

وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلا الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها أخرج أبو القاسم اللالكائى فى السنة من طريق قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة فى قوله تعالى ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ قالت : « الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به من الإيمان والجحود به كفر » وروايات أخرى مثلها ، وأخرج البيهقى عنه أنه قال : هو كما وصفه نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع ، وأخرج اللالكائى عن محمد بن الحسن قال : اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه وقال الترمذى فى الكلام على حديث الرؤية : المذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثورى ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم قالوا : نروى هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال : كيف ولا نفسر ولا نتوهم ، وذهبت طائفة من أهل السنة إلى أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى وهذا مذهب الخلف ، وكان إمام الحرمين يذهب إليه ثم رجع عنه فقال فى الرسالة النظامية : الذى نرتضيه دينا وندين الله به عقد اتباع سلف الأمة فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها ، وقال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها وإياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها واليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ، ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصدف عنها ويأباها ، واختار ابن برهان مذهب التأويل ، قال : ومنشأ الخلاف بين الفريقين : هل يجوز أن يكون فى القرآن شىء لم نعلم معناه أو لا ؟ بل بعلمه الراسخون فى العلم ، ونوسط ابن دقيق العيد فقال : إذا كان التأويل قريبا من لسان العرب لم ينكر أو بعيدا توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذى أريد به مع التنزيه قال : وما كان معناه من هذه الألفاظ ظاهرا مفهوما من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف كما فى قوله تعالى ﴿ **يا حسرتا على**

ما فرطت فى جنب الله ﴾[1] فنحمله - الجنب - على حق الله وما يجب له[2] . .

ثم مضى السيوطى يبين آراء السلف والخلف فى كل آية من آيات الصفات على حدة ويرجح من بينها ما يراه مناسبا ويرد على ما سواه فمن ذلك قوله : ومن ذلك اليد فى قوله تعالى ﴿ **لما خلقت بيدى** ﴾[3] ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾[4] ﴿ **مما عملت أيدينا** ﴾[5] ﴿ **أن الفضل بيد الله** ﴾[6] وهى مؤولة بالقدرة ، وقال السهيلى اليد فى الأصل كالبصر عبارة عن صفة الموصوف ، ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالأيدى مقرونة مع الأبصار فى قوله ﴿ **أولى الأيدى والأبصار** ﴾ فلم يمدحهم بالجوارح لأن المدح إنما يتعلق بالصفات لا بالجواهر قال : ولهذا قال الأشعرى إن اليد صفة ورد بها الشرع ، والذى يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة إلا أنها أخص ، والقدرة أعم كالمحبة مع الإرادة والمشيئة فإن فى اليد تشريفا لازما ، وقال البغوى فى قوله بيدى فى تحقيق الله التثنية فى اليد دليل على أنها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة ، وإنما هما صفتان من صفات ذاته ، وقال مجاهد : اليد ههنا صلة وتأكيد كقوله ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ قال البغوى : وهذا تأويل غير قوى لأنها لو كانت صلة لكان لإبليس أن يقول : لإن كنت خلقته فقد خلقتنى ، وكذلك فى القدرة والنعمة لا يكون لآدم فى الخلق مزية على إبليس ، قال ابن اللبان فإن قلت : فما حقيقة اليدين

---

(١) سورة الزمر ٥٦ .
(٢) انظر الإتقان جـ ٢ صـ ٦ .
(٣) ص ٧٥ .
(٤) سورة الفتح ١٠ .
(٥) سورة يس ٧١ .
(٦) سورة الحديد ٢٩ .

فى خلق آدم ؟ قلت الله أعلم بما أراد ، ولكن الذى استثمرته من تدبر كتابه أن اليدين استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله ولنورها القائم بصفة عدله ، ونبه على تخصيص آدم وتكريمه بأن جمع له فى خلقه بين فضله وعدله ، قال : وصاحبة الفضل هى اليمين التى ذكرها فى قوله ﴿ **والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى** ﴾[1] ونحن مع رأى السلف وأهل السنة القائلين بالتفويض والتسليم مع التنزيه الكامل لله عز وجل عن التشبيه والتمثيل ، ومن المشهور فى ذلك قول العلماء : رأى السلف أسلم ، ورأى الخلف – التأويل – أعقل . والله أعلم .

٤ – ويبقى بعد ذلك أن نعرف الحكمة من وجود المتشابه فى القرآن الكريم وذلك أن القرآن أنزل للبيان والهداية والإرشاد وذلك يقتضى أن يكون واضحا محكما لا خفيا متشابها فما الحكمة من هذا المتشابه ؟ وللإجابة عن هذا نقول : إن كان المتشابه مما استأثر اللهبعلمه ففى ذلك حكم عديدة منها : رحمة الله بنا فنحن بضعفنا لا نطيق معرفة كل شيء .

ومنها : الابتلاء والأختبار فى الإيمان بالغيب والتسليم به .

ومنها : إقامة الدليل على عجز الإنسان وجهالته مهما عظم علمه واستعداده .

ومنها : الحث على النظر والتأمل والاجتهاد .

وإن كان المتشابه مما يمكن معرفته ففى ذكره عدة حكم :

منها : تحقيق إعجاز القرآن والاستدلال على بلاغته .

ومنها : تيسير حفظ القرآن والمحافظة عليه .

---

(١) انظر : الإتقان جـ ٢ صـ ٧ / ٨ .

ومنها : زيادة الثواب والأجر فى كثرة البحث والتأمل والاجتهاد .

ومنها : زيادة العلوم واتساع المعارف لأن معرفة المتشابه تتطلب علوم كثيره .

ومنها : استخدام الأدلة العقلية والتنويه بمكانة العقل ومنزلته . إلى غير ذلك من الحكم والفوائد يقول السيوطى رحمه الله : إن قيل ما الحكمة فى إنزال المتشابه ممن أراد العباده البيان والهدى ؟ قلنا : إن كان مما يمكن علمه فله فوائد منها : الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه ، فإن استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب ومنها ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات إذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره ، وإن كان مما لا يمكن علمه فله فوائد منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ ، وإن لم يجز العمل بما فيه ويقامة الحجة عليهم لأنه لما نزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وإفهامهم دل على أنه نزل من عند الله وأنه الذى أعجزهم عن الوقوف[1] . . . . ثم قال حكاية عن الإمام الرازى : لوقوع المتشابه فيه فوائد منها : أنه يوجب مزيد المشقة فى الوصول إلى المراد وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب ومنها أنه لو كان القرآن كله محكما لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد وكان بصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب وذلك مما ينقر أرباب سائر المذاهب . . . . ومنها أن القرآن إذا كان مشتملا على المتشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات وترجيح بعضها على بعض ، وافتقر فى تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة . . . . ومنها أن القرآن دعوة للخواص والعوام ، وطبائع العوام تنفر فى أكثر الأمر عن درك

---

(١) الإتقان جـ ٢ صـ ١٢ / ١٣ ومناهل العرفان جـ ٢ صـ ١٧٨ - ١٨١ .

الحقائق . . . فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب مألوفهموه وتخيلوه ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح . . . .[1] .

وهكذا لا يخلو وجود المتشابه – كالمحكم – فى القرآن الكريم من حكم وفوائد عديدة عرفنا بعضها ويبقى الأعظم والاكثر فى علم الله تعالى وهذا سر كما عرفنا من أسرار الاعجاز .

٥ – علمنا مما سبق عن المحكم والمتشابه أن المحكم هو الأعم الأغلب وهو أم الكتاب وهو مناط التكليف والمسئولية والعمل ، وأن المتشابه قليل ونادر وهو مناط الإيمان والتسليم والتفويض ، ولذا لا يجوز الخوض فيه ولا الجدال حيث لا طائل تحته ، وقد ذم الله تعالى من يخوضون فيه ويتتبعونه ويصرون على تأويله وجعل قلوبهم زائغة ومريضة ﴿ **فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾ مع أن حقيقته والمراد به لا يعلمها إلا الله ، وقد يعلم بعض ذلك الراسخون فى العلم ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به** ﴾ وكلا النوعين المحكم والمتشابه من القرآن على درجة واحدة من الإيمان لأن الجميع كلام « كل من عند ربنا » . وهنا نتساءل : هل يعنى ما سبق أن للمحكم مزيه على المتشابه ؟ أو ليس له مزيه لأن الإيمان بالجميع مطلوب ؟ وقد أورد السيوطى رحمه الله هذا التساؤل ونقل الاجابة عنه فقال : أورد بعضهم سؤالا وهو أنه هل للمحكم مزية على المتشابه أو لا ؟ فإن قلتم بالثانى فهو خلاف الإجماع أو بالأول فقد نقضتم أصلكم فى أن جميع كلامه سبحانه وتعالى سواء وأنه منزل بالحكمة ، وأجاب أبو عبد الله الفكرباذى بأن المحكم كالمتشابه من وجه ويخالفه من وجه ، فيتفقان فى أن الاستدلال بهما لا يمكن إلا بعد معرفة

---

(١) الإتقان جـ ٢ صـ ١٢ / ١٣ ومناهل العرفان جـ ٢ صـ ١٧٨ – ١٨١ .

حكمة الواضع وأنه لا يختار القبيح ، ويختلفان فى أن المحكم بوضع اللغة لا يحتمل إلا الوجه الواحد فمن سمعه أمكنه أن يستدل به فى الحال ، والمتشابه يحتاج إلى فكرة ونظر ليحمله على الوجه المطابق ، ولأن المحكم أصل والعلم بالأصل أسبق ولأن المحكم يعلم مفصلا والمتشابه لا يعلم إلا مجملا[1] ومن هذا تتبين مزية المحكم عن المتشابه فى البيان والوضوح والعمل والتكليف والاحتجاج والتفصيل ، وفيما سوى ذلك فكلاهما قرآن محكم متقن معجز واجب الإيمان به . والله أعلم .

❁❁❁

(١) الإتقان جـ ٢ صـ ١٢ .

البحث الخامس

فى الناسخ والمنسوخ

١ – يطلق النسخ فى اللغة على معنيين أحدهما إزالة الشىء وإعدامه كقوله تعالى ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول الله ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يقلى الشيطان ثم يحكم الله آياته** ﴾[١] قال ابن عطية والنسخ فى هذه الآية الإذهاب . كما تقول : نسخت الشمس الظل[٢] .

أى أذهبته وأزالته . الثانى : نقل الشىء وتحويله مع بقائه فى نفسه يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾[٣] والمراد به نقل الأعمال إلى الصحف ومن الصحف إلى غيرها قال الواحدى : وأكثر المفسرين على أن هذا الأستنساخ من اللوح المحفوظ فإن الملائكة تكتب منه كل عام ما يكون من أعمال بنى آدم فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه[٤] والمقصود هنا هو المعنى الأول الإذهاب والإزالة كالنواسخ المعروفة فى النحو « كان وأخواتها وإن وأخواتها » اللاتى تغير وتزيل بدخلوها حكم المبتدأ والخبر .

أما فى اصطلاح العلماء فترجع معظم التعاريف إلى معنى واحد مشهور هو « رفع الحكم الشرعى بدليل شرعى » فمثلا كان الحكم الشرعى للمرأة

---

(١) سورة الحج ٥٢ .

(٢) تفسير ابن عطية جـ ١٠ صـ ٣٠٧ .

(٣) سورة الجاثية ٢٩ .

(٤) انظر فتح القدير جـ ٥ صـ ١١ .

المتوفى زوجها أن تعتد سنة بدليل شرعى هو قوله تعالى ﴿ **والذين يتوفون منكم ويزرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج** ﴾[1] فنسخ ذلك الحكم الشرعى ورفع بحكم شرعى آخر وهو أن تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام وذلك بدليل شرعى جديد هو قوله تعالى ﴿ **والذين يتوفون منكم ويزرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** ﴾[2] .

وهكذا كما سنعرف بعد وفى بيانه معانى النسخ يقول السيوطى : يرد النسخ بمعنى الإزالة ومنه قوله تعالى ﴿ **فينسخ الله ما يلقى الشيطان** ﴾ وبمعنى التبديل ومنه قوله تعالى ﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آية** ﴾[3] وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد وبمعنى النقل من موضع إلى موضع ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه قال : وهذا الوجه لا يصح أن يكون فى القرآن ، وأنكر على النحاس اجازته ذلك محتجا بأن الناسخ فيه لا يأتى بلفظ المنسوخ ،وأنه إنما يأتى بلفظ آخر ، وقال السعيدى : يشهد لما قال النحاس قوله تعالى ﴿ **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون** ﴾ وقال : ﴿ **وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم** ﴾[4] ومعلوم أن ما نزل من الوحى نحو ما جميعه فى أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ[5] كما قال تعالى ﴿ **فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون** ﴾[6] فالناسخ هو المزيل والمنسوخ هو المزال وكلاهما من الله تعالى .

٢ – ولهذا العلم ومعرفة أهمية كبرى لأنه يتعلق بالأحكام والتكاليف

---

(١) سورة البقرة ٢٤٠ .

(٢) سورة البقرة ٢٣٤ .

(٣) سورة النحل ١٠١ .

(٤) سورة الزخرف ٤ .

(٥) انظر : الأتقان جـ ٢ صـ ٢٠ .

(٦) سورة الواقعة ٧٨ / ٧٩ .

الشرعية ، ومن هنا اهتم به العلماء وأفرده بعضهم بالتأليف قال السيوطى : أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو داود السجستانى ، وأبو جعفر النحاس ، وابن الأنبارى ومكى وابن العربى وآخرون ، قال الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ ، وقد قال على لقاض : أتعرف الناسخ والمنسوخ ؟ قال لا ، قال هلكت وأهلكت[1] وقال الزرقانى : إن معرفة الناسخ والمنسوخ ركن عظيم فى فهم الإسلام وفى الأهتداء إلى صحيح الأحكام خصوصا إذا ما وجدت أدلة متعارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها وناسخها من منسوخها . . . والإلمام بالناسخ والمنسوخ يكشف النقاب عن سير التشريع الإسلامى ويطلع الإنسان على حكمة الله فى تربيته للخلق وسياسته للبشر وابتلائه للناس ، مما يدل دلالة واضحة على أن نفس محمد النبى لا يمكن أن تكون المصدر لمثل هذا القرآن ولا المنبع لمثل هذا التشريع ، إنما هو تنزيل من حكيم حميد[2] . . ومن خير ما ألف فى هذا العلم رسالة الدكتوراه التى أعدها أستاذنا المرحوم الدكتور مصطفى زيد بعنوان « النسخ فى القرآن الكريم » .

٣ – ولوجود النسخ فى القرآن الكريم والأحكام الشرعية حكم كثيرة يأتى فى مقدمتها التيسير والتخفيف والتدرج ومراعاة ظروف الناس والوقائع والأحوال ، وذلك أن الحكم قد يشرع أولا لغاية هى الردع والزجر والإستئصال حتى إذا استقر الأمر وتحقق الزجر جاء التخفيف والتيسير ، أو يكون الغرض مثلا التربية على الصعب والتدريب على القوة والشجاعة والثبات ، حتى إذا تحقق ذلك جاء التخفيف والتيسير وهكذا وقد يكون الأمر بالعكس فيبدأ الله تعالى بتشريع أحكام يسيرة تأليفا للقلوب وتدريبا

---

(١) انظر الإتقان جـ ٢ صـ٢٠ .

(٢) انظر مناهل العرفان جـ ٢ صـ ٧٠ باختصار .

للأبدان حتى إذا ألفوا وأعتادوا وشرع لهم ما هو أشد فيكون هذا التدرج تيسيرا ورحمة كما حدث فى تحريم الخمر . . . وهكذا كما سنرى بعد ، قال السيوطى : النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير وقد أجمع المسلمون على جوازه وأنكره اليهود ظنا منهم أنه بداء كالذى يرى الرأى ثم يبدوله ، وهو باطل لأنه بيان مدة الحكم كالأحياء بعد الإماتة وعكسه والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى وعكسه وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهى . . .[1] وقال الزرقانى : أما حكمته سبحانه فى أن نسخ بالإسلام الأديان كلها فترجع إلى أن تشريعه أكمل تشريع يفى بحاجات الإنسانية فى مرحلتها التى انتهت إليها بعد أن بلغت أشدها واستوت . . .وأما حكمة الله فى أنه نسخ بعض أحكام الاسلام ببعض فترجع إلى سياسة الأمة وتعهدها بما يرقيهاويمحصها . . . وأما الحكمة فى نسخ الحكم بمساو له فى صعوبته أو سهولته فالابتلاء والاختبار ليظهر المؤمن فيفوز والمنافق فيهلك . . وأما الحكمة فى بقاء التلاوة مع نسخ الحكم فتسجيل تلك الظاهرة الحكيمة ظاهرة سياسية الإسلام للناس حتى يشهدوا أنه هو الدين الحق وأن نبيه نبى الصدق . . . وأما النسخ التلاوة مع بقاء الحكم فحكمته تظهر فى كل آية بما يناسبها وإنه لتبدو لنا حكمة رائعة فى مثال مشهور من هذا النوع وهو ما روى عن عمر بن الخطاب وأبى عن كعب رضى الله عنهما أنهما قالا : كان فيما أنزل من القرآن « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما والبتة نكالا من الله » اى كان هذا النص آية تتلى ثم نسخت تلاوتها وبقى حكمها معمولا به إلى اليوم والسر فى ذلك أنها كانت تتلى أولا لتقرير حكمها ردعا لمن تحدثه نفسه أن يتلطخ بهذا العار الفاحش ، حتى إذا ما تقرر هذا الحكم فى النفوس نسخ الله تلاوته لحكمة أخرى هى الإشارة إلى شناعة هذه الفاحشة وبشاعة

---

(١) الأتقان جـ ٢ صـ٢١ .

صدورها من شيخ وشيخة حيث سلكها مسلك ما لا يليق أن يذكر فضلا عن أن يفعل وسار بها فى طريق يشبه طريق المستحيل الذى لا يقع كأنه قال : نزهوا الأسماع عن سماعها والألسنة عن ذكرها فضلا عن الفرار منها والتلوث برجسها[1] فالحكم كلها أو فى معظمهما ترجع إلى التيسير والتخفيف والابتلاء والحفظ .

٤ – وللنسخ مجالات يقع فيها ويظهر وهى مجالات الأحكام والتكاليف الشرعية كما ظهر من تعريفه فيما سبق ، وهذا يخرج من النسخ ما أدخله فيه بعض العلماء وليس منه ، لأن من العلماء من عمم مفهوم النسخ حتى جعله يشمل ويدخل فى العموم والخصوص والإطلاق والتقييد وهذا غير صحيح والصحيح أن النسخ لا يكون إلا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر . يقول السيوطى : « لا يقع النسخ إلا فى الأمر والنهى ولو بلفظ الخبر ، أما الخبر الذى ليس بمعنى الطلب فلا يدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد ، وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل فى كتب النسخ كثيرا من آيات الأخبار والوعد والوعيد »[2] .

٥ – والنسخ أقسام وأنواع فمنه ما نسخ قراءة وحكما ، ومنه ما نسخ حكما وبقى قراءة ، ومنه ما نسخ قراءة وبقى حكما وإليك بيان ذلك وأمثلة منه :

أ – أما نسخ فيه الحكم والتلاوة معا فقد أجمع عليه علماء المسلمين ومثلوا له بما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها فى عدد الرضعات قالت : « كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخن بخمس معلومات ، وتوفى رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن » وهو حديث

---

(١) انظر مناهل العرفان جـ ٢ صـ ٩٠ – ٩٣ بتصرف .

(٢) انظر : الإتقان جـ ٢ صـ ٢١ ومناهل العرفان جـ ٢ صـ ١٠٨ .

صحيح ، فهذا منسوخ تلاوة حيث لا يوجد فى القرآن الكريم آية تنص على أن عدد الرضعات المحرم عشر كما أنه منسوخ حكما لأن جمهور العلماء من الأئمة يقول بالخمس وما دونها ولا يزيد عن ذلك إلا الفرق الشاذة وبما أن الحديث صحيح فليس أمام العلماء إلا القول بأن النص نسخ تلاوة وحكما .

ب – وما ما نسخ حكما وبقى تلاوة فمثل آية المعتدة من وفاة الزوج وهو قوله تعالى ﴿ **والذين يتوفون منكم ويزرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج** ﴾ حيث تنص الآية على أن عدة الوفاة عام ثم نسخ هذا الحكم بقوله تعالى ﴿ **والذين يتوفون منكم ويزرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** ﴾ فأصبح حكم عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرا ، ولكن مع نسخ الحكم السابق وهوالعام بقيت الآية تتلى فى القرآن الكريم .

ج – وأما ما نسخ تلاوة وبقى حكما فمثل رجم الزانى والزانية فهو باق ومعمول به أما الآية التى جاءت به فقد نسخت ولم تعد تتلى من القرآن وهى « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » وقد روى أنها كانت آية من سورة الأحزاب وأن سورة الأحزاب قبل النسخ كانت قريبة فى حجمها وعدد آياتها من سورة البقرة مما يدل على أن هناك نسخا آخر فى سورة الأحزاب وليس آية الرجم فقط .

د – وقد يكون النسخ ببدل كما يشير إلى ذلك قوله تعالى ﴿ **أما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾[1] وقد يكون بغير بدل كما يشير إليه قوله تعالى ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾[2]

---

(١) سورة البقرة ١٠٦ .

(٢) سورة الرعد ٣٩ .

فمثال الأول قوله تعالى ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا وأصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شيء قدير** ﴾[1] ففى الآية الكريمة أمر للمسلمين أن يعفوا ويصفحوا عن الكافرين ولا يقاتلونهم ، ثم نسخ ذلك بالإذن بالجهاد والقتال فى قوله تعالى ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾[2] . . . ثم شددالله على المسلمين فى الخروج والنفير لقتال الكافرين فقال : ﴿ **إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير** ﴾[3] .

هـ – ومثال النسخ بلا بدل الأمر بتقديم الصدقة عند التحدث مع النبى ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة** ﴾[4] ثم نسخ ذلك فى قوله ﴿ **أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله** ﴾[5] حيث لم تحمل الآية الثانية بدلا عن الحكم السابقة فى الآية الأولى .

و – وقد يكون البدل أخف من المنسوخ وقد يكون أثقل منه فمنه الأول نسخ تحريم الأكل والشرب والجماع بعد النوم فى ليل رمضان إلى الحكم بإباحة ذلك إلى مطلع الفجر قال تعالى ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون**

---

(١) سورة البقرة ١٠٩ .
(٢) سورة الحج ٣٩ .
(٣) سورة التوبة ٣٩ .
(٤) سورة المجادلة ١٢ .
(٥) سورة المجادلة ١٣ .

أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالأن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم وكلوا أو اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾[1] .

ومثال الثانى – البدل الأثقل – تحريم الخمر وحد الزنا وفرض صوم رمضان بدل عاشوراء . . . كما قد يكون البدل مساويا مثل نسخ التوجه إلى بيت المقدس فى الصلاة بالتوجه إلى الكعبة فى قوله تعالى : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره** ﴾[2] .

ز – وقد يكون النسخ بعد القيام بالحكم والامتثال به كما مر من الأمثلة وقد يكون قبل التمكن منه وامتثاله كنسخ وجوب الوصية للوالدين فى قوله تعالى ﴿ **كتب عليكم إذا حضرأحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتيقن** ﴾[3] فجمهور العلماء على نسخ هذا الحكم بوجوب الوصية للوالدين والأقربين قبل حضور الموت وذلك لوجود آيات المواريث ، وبعض العلماء لا يوافق على اعتبار هذا نسخا إلا بعد اختصار أحد المكلفين وتمكنه من الوصية والبعض يضيف إلى ذلك أن يوصى فعلا والصحيح الأول لأن مثل ذلك وقع فى السنة النبوية كما هو معروف فى أحاديث الإسراء والمعراج الصحيحة حيث فرض الله تعالى الصلاة خمسين ثم خففها قبل التمكن والامتثال إلى خمس صلوات فى اليوم والليلة . وفى هذه الأنواع يقول السيوطى رحمه الله النسخ أقسام أحدها نسخ المأمور به قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى ، الثانى نسخ مما كان شرعا

---

(١) سورة البقرة ١٨٧ .

(٢) سورة البقرة ١٤٤ .

(٣) سورة البقرة ١٨٠ .

لمن قبلنا كآية شرع القصاص والدية أو كان أمر به أمرا إجماليا كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة وصوم عاشوراء برمضان ، وإنما يسمى هذا نسخا تجوزًا ، الثالث ما أمر به لسبب ثم يزول هذا السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بإيجاب القتال ، وهذا فى الحقيقة ليس نسخا بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى ﴿ **أو ننسأها** ﴾ فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفى حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا الضعف ما نهج به كثيرون من أن الآية فى ذلك منسوخة بآية السيف وليس كذلك بل هى من المنسأ بمعنى أن كل أمر ورد يجب امتثاله فى وقت ما لعله تقتضى الحكم بل ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ إنما النسخ الإزالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله . . . وهناك تقسيمات أخرى للنسخ منها ما قاله مكى : الناسخ أقسام : فرض نسخ فرضا ولا يجوز العمل بالأول كنسخ الحبس للزوانى بالحد ، وفرض نسخ فرضا ويجوز العمل بالأول كآية المصاهرة ، وفرض نسخ ندبا كالقتال كان ندبا ثم صار فرضا ، وندب نسخ فرضا كقيام الليل نسخ بالقراءة فى قوله ﴿ **فاقرءوا ما تيسر من القرآن** ﴾[1] . ثم انتقل إلى تقسيم آخر [2] .

٦ - وللنسخ شروط وضوابط يأتى فى مقدمتها النقل الصحيح عن النبى ﷺ بأن هذه الآية نسخت تلك الآية ، والتعارض بين الحكمين بحيث لا يمكن الجمع بينهما ، وكذلك معرفة المتقدم من الحكمين المتأخر منهما حيث لابد من وجود فاصل بينهما ومعرفة كل منهما حتى يعرف الناسخ والمنسوخ . قال الزرقانى : لابد فى تحقق النسخ من أمور أربعة :

١ - أن يكون المنسوخ حكما شرعيا .

---

(١) سورة المزمل ٢٠ .

(٢) انظر الإتقان حـ ٢ صـ٢١ .

٢ – أن يكون دليل رفع الحكم دليلا شرعيا .
٣ – أن يكون هذا الدليل الرافع متراخيا عن دليل الحكم الأول غير متصل به كاتصال القيد بالمقيد والتأقيت بالمؤقت .
٤ – أن يكون بين ذينك الدليلين تعارض حقيقى ، تلك أربعة لابد منها لتحقيق النسخ باتفاق جمهرة الباحثين ، وثمة شروط اختلفوا فى شرطيتها منها .
١ – أن يكون ناسخ القرآن قرآنا وناسخ السنة سنة .
٢ – كون النسخ مشتملا على بدل للحكم المنسوخ .
٣ – كون الناسخ مقابلا للمنسوخ مقابلة الأمر للنهى والمضيق للموسع .
٤ – كون الناسخ والمنسوخ نصين قاطعين[1] . . .

وقد أشار السيوطى رحمه الله إلى ذلك نقلا عن ابن الحصار فقال : إنما يرجع فى النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابى يقول آية كذا نسخت كذا ، قال : وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر ، قال : ولا يعتمد فى النسخ . قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر فى عهده ﷺ ، والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأى والإجتهاد قال : والناس فى هذا بين طرفى نقيض فمن قائل لا يقبل فى النسخ أخبار الآحاد العدول ومن متساهل يكتفى فيه بقول مفسر أو مجتهد والصواب خلاف قولهما »[2] .

٧ – ما سبق بيانه فى نسخ القرآن بالقرآن وهنا يرد سؤال : هل ينسخ القرآن بالسنة النبوية أولا ؟ وهل تنسخ السنة النبوية بالقرآن أولا ؟ وفى

---

(١) انظر مناهل العرفان جـ صـ٧٦ .
(٢) انظر : الاتقان جـ ٢ صـ ٢٤ .

الإجابة عن هذين السؤالين اختلف العلماء .

ففى نسخ القرآن بالسنة النبوية أجازه مالك وأبو حنيفة وأصحابه وجمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة واحتجوا بأن السنة النبوية وحى لقوله تعالى ﴿ **وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى** ﴾[1] فجاز وقوع النسخ بين وحى وآخر . ومنع ذلك الشافعى وأحمد وأكثر أهل الظاهر واحتجوا بأن وظيفة الرسول ﷺ بيان القرآن لا نسخه قال تعالى ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾[2] والراجح الأول ولكن بشرط أن تكون السنة النبوية الناسخة من المتواتر الذى يجعله قطعيا كالقرآن أما لو كانت أقل من ذلك فلا يجوز لأنها تكون ظنية والظنى لا ينسخ القطعى ، وقد استشهد المثبتون لنسخ القرآن بالسنة بعدد من الآيات والأحاديث منها أن آية ﴿ **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾[3] تشمل المحصن وغير المحصن وجاءت السنة النبوية فأخرجت المحصن من ذلك وأثبتت فى حقه الرجم ، والواقع أن ذلك ليس نسخا وإنما هو تخصيص . .وأما نسخ السنة النبوية بالقرآن فجماهير العلماء على إثباته ووقوعه ونفاه الشافعى فى أحد قوليه وشرذمة قليلة من أصحابه ، واحتج القائلون بجواز ذلك أن كلا منهما وهى فكما جاز نسخ القرآن بالقرآن والقرآن بالسنة جاز نسخ السنة بالقرآن ، كما احتجوا أيضا بوقوع ذلك فى مناسبات عدة منها : أن استقبال بيت المقدس لم يعرف إلا من السنة والذى نسخة وأمر بالتوجه إلى الكعبة هو القرآن الكريم – كما مر . ومنها أن الأكل والشرب والجماع كان محرما فى ليل رمضان بعد النوم وهذا من السنة ثم نسخ بالقرآن فى قوله تعالى

---

(١) سورة

(٢) سورة النحل ٤٤ .

(٣) سورة النور ٢ .

﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم** ﴾ الآية ، ومنها أن النبى ﷺ كان قد أبرم صلح الحديبية مع المشركين ، وكان من شروطه أن من جاءه من المشركين مسلما يرده عليهم ثم نسخ القرآن ذلك بقوله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعونهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن** ﴾[1] . . الخ[2] .

ومعلوم مما سبق أنه كما ينسخ القرآن بالقرآن وكما ينسخ القرآن بالسنة وتنسخ السنة بالقرآن فإن السنة تنسخ بالسنة أيضا إلا ما كان منها متواترا فلا ينسخ بالآحاد على الصحيح ، ومن أمثلة نسخ السنة بالسنة قول النبي ﷺ « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها » ومنه النهى عن ادخار لحوم الأضاحى ثم الإذن فيه وغير ذلك كثير . . . والله أعلم .

❁❁❁

---

(١) سورة الممتحنة : ١٠ .

(٢) انظر تفصيل ذلك فى مناهل العرفان جـ ٢ صـ ١٤٠ .

البحث السادس

فى إعجاز القرآن

١ – القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للنبى ﷺ أيده الله عز وجل بها وأثبت بها نبوته وصدق رسالته وتحدى به الإنس والجن كما أنه المعجزة الباقية إلى يوم القيامة لآن ما سواه قد انتهى أثره وتأثيره بانتهاء وقته ووفاة النبى ﷺ ، وهو المعجزة الشاملة التى تشمل الحس والعقل وتخاطب القلب والفؤاد وتحاور اللسان ، وتبهر الأبصار ، وتشنف الأسماع ، كما أنه المعجزة المتعددة المجالات من إعجاز لغوى إلى إعجاز بلاغى إلى إعجاز تشريعى إلى إعجاز علمى الى إعجاز تاريخى . . إلى غير ذلك من الوجوه التى لا تحصى ولا تعد ، وهو المعجزة العجيبة التى أدهشت الجن حتى قالوا ﴿ **إنا سمعنا قرآنا عجبا** ﴾ وبهرت الإنس حتى قال قائلهم « إن له الحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه » وهو الذى لا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء ، وكتاب هذا شأنه ومعجزة هذه مكانتها جديرة بالبحث فيها والتعرف على بعض أسرارها يقول الباقلانى : « الذى يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن أن نبوة نبينا عليه السلام بنيت على هذه المعجزة ، وإن كان قد أيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة إلا أن تلك المعجزات قامت فى أوقات خاصة وأحوال خاصة وعلى أشخاص خاصة ، ونقل بعضها نقلا متواترا يقع به العلم وجودا وبعضها مما نقل نقلا خاصا إلا أنه حكى بمشهد من الجمع العظيم أنهم شاهدوه ، فلو كان الأمر على خلاف ما حكى لأنكروه أولًا نكره بعضهم فحل محل المعنى الأول وإن لم يتواتر أصل النقل

فيه ، وبعضها مما نقل من جهة الآحاد وكان وقوعه بين يدى الآحاد ، فأما دلالة القرآن فهى عن معجزة عامة عمت الثقلين وبقيت بقاء العصرين ولزوم الحجة بها فى أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حد واحد ، وإن كان قد يعلم بعجز أهل العصر الأول عن الإتيان بمثله وجه دلالته فيغنى ذلك عن نظر مجدد فى عجز أول العصر عن مثله ، وكذلك قد يغنى عجز أهل هذا العصر عن الإتيان بمثله عن النظر فى حال أهل العصر الأول »[1] . . .

٢ – ولأهمية معرفة إعجاز القرآن فقد ألف فى ذلك علماء كثيرون قال السيوطى : أفرده بالتصنيف خلائق منهم الخطابى والرمانى والزملكانى والإمام الرازى وابن سراقة والقاضى أبو بكر الباقلانى قال ابن العربى : ولم يصنف مثل كتابه « يعنى كتابه » إعجاز القرآن ، ومنهم الجاحظ والجرجانى وحديثا الرافعى والعقاد وسيد قطب وغيرهم .

٣ – والإعجاز مصدر أعجز : جعله غير قادر قال علماء اللغة : أعجز فلان : سبق فلم يدرك ، أعجز الشيءُ فلانا فاته ولم يدركه ، ويقال أعجزه فلان وصيره عاجزا ، وهكذا نقول اعجز القرآن الثقلين وسبقهم فلم يدركوه وصيرهم عاجزين عن الإتيان بمثله ، والمعجزة : أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبى تأييدا لنبوته ، وما يعجز البشر أن يأتوا بمثله[2] . وهكذا القرآن . وقد عرف العلماء إعجاز القرآن بأنه « إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به »[3] وقال السيوطى : « اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة ، وهى إما حسية وإما عقلية ، وأكثر معجزات بنى إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم ، وأكثر معجزات

---

(١) انظر : إعجاز القرآن هامش الاتقان جـ ١ صـ ٨ / ٩ .

(٢) انظر : المعجم الوسيط جـ ٢ صـ ٥٨٥ مادة عجز .

(٣) انظر : مناهل العرفان جـ ٢ صـ ٢٢٧ .

هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ، ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذووا البصائر كما قال ﷺ « ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى فارجو أن أكون أكثرهم تابعا » أخرجه البخارى قيل إن معناه أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة فى أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه . . . . ولا خلاف بين العقلاء أن كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك »[1] .

٤ – وقد تردج القرآن الكريم فى التحدى وإثبات عجز الخلق عن الإتيان بمثله ، فتحداهم أولا أن يأتوا بمثله ، فلما ثبت عجزهم تحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله ، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بمثل سورة منه فعجزوا فثبت عجزهم من جميع الوجوه قال السيوطى : ولما جاء به النبى ﷺ إليهم وكانوا أفصح الفصحاء ومصافع الخطباء وتحداهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى : ﴿ **فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين** ﴾[2] ثم تحداهم بعشر سور منه فى قوله تعالى ﴿ **أم يقولون إفتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أنزل بعلم الله** ﴾[3] ثم تحداهم بسورة فى قوله ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله** ﴾[4] ثم

---

(١) انظر الإتقان جـ ٢ صـ ١١٦ / ١١٧ .

(٢) سورة الطور ٣٤ .

(٣) سورة هود ١٣ / ١٤ .

(٤) سورة يونس ٣٨

كرر فى قوله ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله** ﴾[1] فلما عجزوا عن معارضة والإتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم بإظهار العجز وإعجاز القرآن فقال ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾[2] وقد كان هذا التحدى لقوم برعوا فى الكلام وفنونه وآتاهم الله تعالى من الفصاحة والبلاغة ما لم يؤت غيرهم فتحداهم فيما نبغوا فيه كما هى سنته تعالى فى التحدى كما حدث من قبل مع موسى الذى نبغ قومه فى السحر فأعجزهم فيه ، ومع عيسى الذى نبغ قومه فى الطب فأعجزهم فيه ، ولما لم يجد أساطين البلاغة والفصاحة من العرب سبيلا إلى هذا التّحدى سلكوا أساليب أخرى من العناد والمكابرة وبدأوا يتقولون على رسول الله ﷺ وكتابه الأكاذيب والأباطيل فمرة يقولون إنه سحر ، وأخرى يقولون إنه شعر ، وثالثة يقولون إنه أساطير الأولين ورابعة إنما يعلمه بشر من الأعاجم . . . الخ ثم رضوا بتحكيم السيف فى أعناقهم ولجأوا إلى القتال ، ومما يؤكد ذلك ما روى عن ابن عباس أنه قال : جاء الوليد بن المغيرة إلى النبى ﷺ فقرأ عليه القرآن[3] فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا تأتى محمد لتعرض لما قاله ، قال قد علمت قريش أنى من أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له ، قال : وماذا أقول ، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى نقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة

---

(١) سورة البقرة ٢٣ .

(٢) سورة الإسراء ٨٨ .

(٣) فى رواية أخرى أنه قرأ عليه من سورة فصلت إلى أن بلغ قوله تعالى ﴿ **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** ﴾ فخاف الوليد وقال : كفى كفى . . .

وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وإنه ليحطم ما تحته ، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال : فدعنى حتى أفكر ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره[1] وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله تعالى ﴿ **ذرنى ومن خلقت وحيدا . وجعلت له مالا ممدودا . وبنين شهودا . ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد . كلا إنه كان لآياتنا عنيدا . سأرهقه صعودا . إنه فكر وقدر . فقتل كيف قدر . ثم قتل كيف قدر . ثم نظر . ثم عبس وبسر . ثم أدبر واستكبر . فقال إن هذا إلا سحر يوثر . إن هذا إلا قول البشر** ﴾[2] .

٥ – وما دام قد ثبت الإعجاز بعجز الإنس والجن عن الإتيان بشىء من مثله ولو صغيرا ، فهل ذلك راجع إلى نظمه وأسلوبه ؟ أو إلى بلاغته وفصاحته ؟ أو إلى محتواه ومضمونه ؟ أو إلى أخباره وتاريخه ؟ أو إلى غير ذلك ؟ اختلف العلماء فى هذا اختلاف كبيرا ونحن نعرض جانبا من هذا الاختلاف ثم نرجح ما نراه أقرب إلى الصواب . قال السيوطى : لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا ﷺ وجب الاهتمام بمعرفة وجه الأعجاز وقد خاض الناس فى ذلك كثيرا فبين محسن ومسىء ، فزعم قوم أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة الذات وأن العرب كلفت فى ذلك ما لا يطاق وبه وقع عجزها وهو مردود لأنه ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدى به . . . وزعم النظام أن إعجازه بالصرفة أى أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدروًا لهم لكن عاقهم أمر خاجى فصار كسائر المعجزات ، وهذا قول فاسد بدليل ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله** ﴾ فإنه يدل على عجزهم مع

---

(١) انظر : الإتقان جـ ٢ صـ ١١٧ وفتح القدير جـ ٥ صـ ٣٢٨ .

(٢) سورة المدثر ١١ – ٢٥ .

بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره ، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة إعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله ، وأيضا فيلزم من القول بالصرفة زوال الإعجاز بزوال زمان التحدى وخلو القرآن من الإعجاز وفى ذلك خرق لإجماع الأمة أن معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن قال القاضى أبو بكر ومما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وإنما يكون بالمنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره فى نفسه قال : وليس هذا بأعجب من قول فريق منهم إن الكل قادرون على الإتيان بمثله وإنما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به ، ولا بأعجب من قول آخرين إن العجز وقع منهم ، وأما من بعدهم ففى قدرتهم الإتيان بمثله ، وكل هذا لا يعتد به ، وقال قوم وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلة و لم يكن ذلك من شأن العرب ، وقال آخرون ما تضمنه من الأخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها ، وقال آخرون ما تضمنه من الأخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا** ﴾[1] ﴿ **ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول** ﴾[2] [3] . فتحصل من ذلك عدة آراء فى بيان سبب إعجاز القرآن نجملها فيما يلى :

١ – أنه كلام الله القديم .

---

(١) سورة آل عمران ١٢٢ .

(٢) سورة المجادلة ٨ .

(٣) انظر : الإتقان جـ ٢ صـ ١١٨ / ١١٩ وإعجاز القرآن بهامش الإتقام جـ ١ صـ ٤٧ وما بعدها إلى صـ ٧٢ .

٢ – أن الله صرفهم عن الإتيان بمثله .
٣ – عدم العلم بوجوه ترتيبه .
٤ – الاخبار بالغيب .
٥ – الاخبار عن السابقين .
٦ – الاخبار عما يدور فى النفوس ، وهناك أقوال أخرى .
٧ – النظم والتأليف والترصيف غير المألوف من قبل .
٨ – الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من العيوب .
٩ – التأليف الخاص به لا مطلق التأليف .
١٠ – النظم وصحة المعانى وتوالى الفصاحة .

وهذه الوجوه الأربعة الأخيرة قريبة من بعضها حيث ترجع كلها إلى الأسلوب والتركيب وهذا هو قول الجمهور وهو الرأى الصحيح الذى نرجحه ونختاره مع إضافة بعض الأسباب السابقة كالأخبار بالمغيبات والاخبار عما فى النفوس والأخبار عن قصص السابقين فلا مانع أن تكون لهذه الجوانب أسرار فى الإعجاز كما لا مانع أيضا من إضافة ما عرف حديثا بالإعجاز العلمى والإعجاز الطبى والإعجاز التشريعى . . الى غير ذلك ويبقى الإعجاز بعد كل ما عرفناه متضمنا لما لم نعرفه من الأسرار التى أودعها الله فيه والتى قد نعرف بعضها فيما بعد وقد لا نعرفه وصدق من قال لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء قال أبو حيان التوحيدى : سئل بندار الفارسى عن موضع الإعجاز من القرآن فقال هذه مسألة فيها حيف على المعنى ، وذلك أنه شبيه بقولك ما موضع الإنسان من الإنسان ، فليس للإنسان موضع من الإنسان بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته ، كذلك القرآن لشرفه لايشار إلى شىء منه إلا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه ومعجزة لمحاولة وهدى لقائله

وليس فى طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله فى كلامه وأسراره فى كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده[1] وقد رجح السيوطى وغيره هذا الرأس قال : قال ابن عطيه : الصحيح والذى عليه الجمهور والحذاق فى وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أى لفظة تصلح أن تلى الأولى وتبين لمعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جاء نظلم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة . . . وقال حازم فى منهاج البلغاء : وجه الاعجاز فى القرآن من حيث استمرت الفصاصة والبلاغة فيه من جميع أنحائها فى جميعه استمرار الا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر . . وقال المراكشى فى شرح المصباح : الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكير فى علم البيان وهو كما اختاره جماعة فى تعريفه « ما يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى وعن تعقيده ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال ، لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ، ولا مجرد تأليفها وإلا لكان كل تأليف معجزا ، ولا إعرابها وإلا لكان كل كلام معرب معجزا ، ولا مجردًا ، أسلوبه وإلا كان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا والأسلوب الطريق ، ولكان هذيان مسيلمة معجزا ، ولأن الإعجاز يوجد دونه أى الأسلوب في نحو ﴿ **فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا** ﴾[2] ، ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾[2] ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته ، ولأن مسيلمة وابن المقفع والمعرى وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع وتنفر منه

---

(١) انظر : الإتقان جـ ٢ صـ ١٢٠ .

(٢) انظر : الإتقان جـ ٢ صـ ١١٩ ، ومقدمة تفسير ابن عطية جـ ١ صـ ٥٩ / ٦٠ .

الطباع ويضحك منه فى أحوال تركيبه ، وبها أى بتلك الأحوال أعجز البلغاء وأخرس الفصحاء فعلى إعجازه دليل إجمالى وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أحرى ودليل تفصيلى مقدمته التفكير فى خواص تركيبه ونتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علما . . . »[1] وهناك تفاصيل أخرى يطول بنا ذكرها وعرضها وهى لا تخرج عما قاله ابن عطية عن جمهور العلماء وإن كان كل عالم يضيف جزئية وتذوقا جديدا فى كلمة أو جملة أو أسلوب أو آية . . الى أخر ذلك وخير من فصل هذا الكلام واطنب فى بيانه القاضى أبو بكر الباقلانى رحمه الله قال : والوجه الثالث أنه بديع النظم عجيب التاليف متناه فى البلاغة إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه ، والذى أطلقه العلماء هو على هذه الجملة ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التى أطلقوها[1] ثم أخذ فى نفصيل ما وعد به فى عدة صفحات تتضمن العديد من الأمثلة المقارنة بكلام العرب .

وللقاضى عياض رحمه الله كلام طيب فى هذا المجال يجمع ما سبق ويضيف إليه وذلك قوله فى كتابه « الشفا » : اعلم أن القرآن منطو على وجوه من الاعجاز وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه

أولها : حسن تأليفه والتئام كلمة وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشان ،

والثانى صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنها نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهى اليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ، قال وكل واحد من هذين النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته نوع أعجاز

---

(١) انظر إعجاز القرآن - بهامش الإتقان - جـ ١ صـ ٥١ وما بعدها .

على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها خلافا لمن زعم أن الأعجاز فى مجموع البلاغة ولأسلوب .

الوجه الثالث ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد .

الرابع ما أخبر به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده ﷺ على وجهه ويأتى به على نصه وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب . قال فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها ، ومن الوجوه فى إعجازه غير ذلك آى وردت بتعجيز قوم فى قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود ﴿ **فتمنوا الموت إن كنتم صادقين . ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين** ﴾[1] فما تمناه أحد منهم ، وهذا الوجه داخل فى الوجه الثالث ، ومنها الروعة التى تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته ، وقد أسلم جماعة منهم عند سماع آيات منه كما وقع لجبير بن مطعم أنه سمع النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : ﴿ **أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون .** ﴾ إلى قوله ﴿ **المسيطرون** ﴾[2] قال : كاد قلبى يطير ، قال وذلك أول ما وقر الإسلام فى قلبى ، وقد مات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف ، ثم قال ومن وجوه إعجازه كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه ، ومنها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده

---

(١) سورة البقرة ٩٤ / ٩٥

(٢) سورة الطور ٣٥ ٣٧

حلاوة وترديده يوجب له محبة . . . ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد فى كلمات قليلة وأحرف معدودة ، قال وهذا الوجه داخل فى بلاغته فلا يجب أن يعد فنا مفردا فى إعجازه قال : والأوجه التى قبله تعد فى خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة الأول فليعتمد عليها[1] وهكذا يذكر القاضى عياض تسعة أوجه من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم ثم يبين أن الأربعة الأولى هى فى حقيقة الاعجاز أما الخمسة الأخرى فهى من خصائص القرآن وفضائله ولا نوافقه على ذلك بل هذه وغيرها مما لم نعرفه من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم وستبقى وجوه أخرى لا يعلمها إلا الله وسيبقى إعجاز القرآن الكريم آية من آيات الله عز وجل لهذا الدين الحنيف ورسوله الكريم ﷺ . يقول الشيخ الزرقانى رحمه الله « علمنا من قبل أن القرآن يزيد على مائتى آية وستة آلاف آية ، وعلمنا اليوم أن حبل التحدى قد طال حتى صار بسورة ، وأن السورة تصدق بسورة الكوثر وهى ثلاث آيات قصار ، وأن مقدارها من آية أو آيات طويلة له حكم السورة ، وأن لأسلوب التنزيل سبع خواص لا توجد واحدة منها على كمالها فى أى كلام آخر . »[2] فيخلص لنا فى ضوء هذه الحقائق أن القرآن مشتمل على آلاف من المعجزات لا معجزة واحدة

---

(١) انظر : الاتقان جـ ٢ صـ ١٢٢ / ١٢٣ .

(٢) الخواص السبعة هى :

أ - مسحة القرآن اللفظية فإنها مسحة خلابة عجيبة .

ب - إرضاؤه العامة والخاصة فالجميع يحس جماله ويتذوق حلاوته .

ج - ارضاؤه العقل والعاطفة لأنه يخاطب القلب والعقل معا .

د - جودة سبك القرآن وإحكام سرده فهو مترابط الألفاظ والتراكيب .

هـ - براعته فى تصريف القول وثروته فى أفانين الكلام .

و جمعه بين الإجمال والبيان والإيجاز والاطناب .

ز اقتصاده فى اللفظ مع الوفاء بالمعنى [انظر المناهل جـ ٢ صـ ٢٠٥ - ٢٢٠ .

كما يبدو لبعض السذج والسطحيين وإذا أضفنا إلى هذا ما يحمل القرآن من وجوه الاعجاز التالية تراءت لنا معجزات متنوعة شتىء تجل عن الإحصاء والتعداد وسبحان من يجعل من الواحدة كثرة ومن الفرد أمة »[1] .

٦ – والحكمة من إعجاز القرآن الكريم والتحدى به إثبات نبوة محمد ﷺ ورسالته وتأييد صدقه فى دعوته ، وهى الحكمة من سائر المعجزات غير أن إعجاز القرآن يزيد على ذلك البقاء والاستمرار إلى قيام الساعة ليكون دليلا دائما بعد وفاة النبى ﷺ على خلود رسالته واستمرار دعوته وأن الإسلام الذى جاء به هو دين الله إلى أن تقوم الساعة ، وعلى كل الناس أن يؤمنوا به وأن يسعوا إليه ويدينوا الله به قبل أن يأخذهم أخذ عزيز مقتدر يقول الشيخ الزرقانى رحمه الله : إن حكمة الله البالغة قضت أن تكون معجزة الإسلام باقية بجانبه تؤيده وتعززه إلى قيام الساعة حتى لا يكون لأحد عذر فى ترك هذا الدين الأخير الذى هو خاتمه الأديان والشرائع لذلك اختار سبحانه أن تكون معجزة الإسلام شيئا يصلح للبقاء فكانت دون سواها كلاما يتلى فى أذن الدهر وحديثا يقرأ على سمع الزمان . . .[2] .

٧ – المقدار الذى يقع فيه الإعجاز : اختلف العلماء فى القدر المعجز من القرآن الكريم هل هو كل القرآن ؟ أو بعض ؟ أو سورة منه ؟ أو آية بمقدار سورة ؟ والذى عليه جمهور العلماء أن الإعجاز يقع بمقدار أقصر سورة منه وهى سورة الكوثر فسورة الكوثر معجزة وما يساويها من آيات القرآن معجز وقيل : إن الأقل من ذلك أيضا معجز لقوله تعالى ﴿ **فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين** ﴾[3] والذى نراه ونعتقده أن القرآن الكريم معجز

---

(١) انظر مناهل العرفان جـ ٢ صـ ٢٣٢ .

(٢) السابق جـ ٢ صـ ٢٣٣ .

(٣) سورة الطور ٣٤ .

فى جملته وتفاصيله فكله معجز والسورة الواحدة منه ولو قصيرة معجز والجملة الواحدة منه معجزة بل والكلمة الواحدة فى اختيارها دون غيرها وفى موضعها الذى وضعت فيه معجزه ، والحروف الهجائية رغم أنها حروف مقطعة إلا أنها معجزة فى معانيها واختيار الافتتاح بها حيث لا يعلم سر ذلك إلا الله رب العالمين ، وفى ذلك يقول السيوطى « اختلف فى قدر المعجز من القرآن ؛ فذهب بعض المعتزلة إلى أنه متعلق بجميع القرآن . . . وقال القاضى : يتعلق الإعجاز بسورة طويلة كانت أو قصيرة تشبثا بظاهر قوله « بسورة » وقال فى موضع آخر يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة ، قال : فإذا كانت آية بقدر حروف سورة وإن كانت كسورة الكوثر فذلك معجز ، قال : ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة فى أقل من هذا القدر ، وقال قوم لا يحصل الإعجاز بآية بل يشترط الآيات الكثيرة وقال آخرون يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله ﴿ **فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين** ﴾ قال القاضى ولا دلالة فى الآية لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته فى أقل من كلمات سورة قصيرة[1] وبعد فالقرآن الكريم من أى ناحية أتيته لا نرى فيه إلا أنوار متبلجة ، وأدلة ساطعة على أنه كلام الله ، ولا يمكن أن تجد فيه نكتة من كذب ولا وصمة من زور ، ولا لطخة من جهل ، وصدق الله العظيم ﴿ **وإنه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[2] .

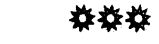

---

(١) انظر : الإتقان جـ ٢ صـ ١٢٣ .

(٢) سورة فصلت ٤١ / ٤٢ .

البحث السابع

فى الفضائل والآداب الخاصة بالقرآن

نعرض فى هذا البحث إلى بعض ما ورد عن القرآن الكريم فى السنة النبوية من بيان فضائله وفضائل حفظه وتلاوته وتعلمه وتعليمه ، والآداب التى ينبغى مراعاتها ممن يحفظ القرآن أو يتدارسه أو يتعلم أحكامه أو يعلمها لعلنا بذلك نعرف جانبا يجب معرفته وأدبا ينبغى التأدب به .

١ - فمن فضائل تلاوة القرآن وحملته :

قال الله تعالى ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور . ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكورًا** ﴾[١] .

- وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٢] .

- وعن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة ، الكرام البرره ، والذى يقرأ القرآن وهو يتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران[٣] .

- وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ

---

(١) سورة فاطر ٢٩ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة[1] ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمره لا ريح لها وطعمها طيب حلو ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر[2] .

– وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اقرأوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصاحبه[3] .

– وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولا م حرف وميم حرف[4] .

– وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها[5] .

– وقارىء القرآن أفضل من غيره ولذا يقدم للإمامة على غيره فقد ثبت عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى[6] .

قال النووى : واعلم أن المذهب الصحيح المختار الذى عليه من يعتمد من العلماء أن قرآءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار ،

---

(١) التفاحة .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

(٥) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

(٦) رواه مسلم .

وقد تظاهرت الأدلة على ذلك[1] .

٢ – ولتعلم القرآن الكريم وتعليمه آداب يبتغى مراعاتها نجملها فيما يلى :

أولا : أن ينبغى المعلم والمتعلم من ذلك وجه الله تعالى ومرضاته .

ثانيا : أن لا يقصدا به توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا .

ثالثا : أن يعملا على العمل بما يعلمان ويتعلمان فقد روى عن الإمام على كرم الله وجهه أنه قال : « يا حملة القرآن أو قال يا حملة العلم اعملوا به فإنما العالم من عمل به علم ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم ، يخالف عملهم علمهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم ، يجلسون حلقا يباهى بعضهم بعضا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله تعالى[2] .

رابعا : التخلق بمكارم الأخلاق .

خامسا : الرفق بالمتعلم والإحسان إليه .

سادسا : بذل النصيحة والتوجيه والإرشاد كلما أمكن ذلك .

سابعا : أن يأخذه بالتدريج حتى لا يمل أو يكره ذلك .

ثامنا : الطهارة والسواك وصلاة ركعتين قبل الدرس وفى آداب حامل القرآن يقول النووى رحمه الله : ومن آدابه أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالا للقرآن ، وأن يكون مصونا عن وذىء الإكتساب شريف النفس مرتفعا على الجبارة

---

(١) التبيان صـ ٢٨ .

(٢) السابق صـ ٤٢ .

والجفاة من أهل الدنيا متواضعا للصالحين وأهل الخير والمساكين وأن يكون متخشعا ذا سكينة ووقار ، فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس مفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون[1] .

تاسعا : أن يحذر كل الحذر من اتخاذ للقرآن وسيلة للتكسب فقد جاء عبد الرحمن بن شبيل رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلو فيه » .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ « اقرؤوا القرآن من قبل أن يأتى قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه » .

عاشرا : أن يحافظ على تلاوته ويكثر منها بحيث يختمه كل سبع ليال أو كل عشر ليال أو كل شهر أو كل شهرين ختمه ولا يقل عن ختمه فى ثلاث لما روى عن رسول الله ﷺ : « لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث »[2] .

وينبغى أن تكون قراءته فى الليل أكثر لقوله تعالى ﴿ **من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين** ﴾[3] .

حادى عشر : أن يتعهده بالقراءة والحفظ مخافة النسيان لما روى عن

---

(١) التبيان صـ ٧٣

(٢) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وقال الترمذى حديث حسن صحيح

(٣) سورة آل عمران ١١٣ : ١١٤

أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : تعاهدوا القرآن فوالذى نفس محمد بيده له وأشد تفلتا من الإبل فى عقلها[1] .

ثانى عشر : يستحب أن تكون القراءة فى مكان نظيف طاهر كالمسجد ونحوه .

ثالث عشر : ويستحب عند القراءة استقبال القبلة .

رابع عشر : ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم بسم الله الرحمن الرحيم .

خامس عشر : الخشوع والتدبر والسكينة والوقار .

سادس عشر : وأن تكون قراءته ترتيلا كما أمر الله تعالى وهو التأنى فى القراءة وترجيع الجمل والآيات .

سابع عشر : الدعاء أثناء القراءة فإذا مر بآية رحمة سأل الله من فضله ، وإذا مر بأيه عذاب استعاذ بالله منه وإذا مر بآية فيها تنزيه وتسبيح سبح الله تعالى .

ثامن عشر : أن تكون القراءة على ترتيب المصحف العثمانى .

تاسع عشر : والقراءة من المصحف أفضل من القراءة من القلب لأن النظر فى المصحف عبادة مطلوبة فتجتمع القراءة والنظر .

العشرون : والقراءة فى جماعة أفضل من القراءة منفردا .

الحادى والعشرون : رفع الصوت بالقراءة إذا أمن الرياء .

الثانى والعشرون : تحسين الصوت بالقراءة مع عدم الخروج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط حتى زاد حرفا أو أخفاه فهو حرام .

---

(١) متفق عليه .

٣ – وفى القرآن الكريم أربع عشرة سجدة يستحب السجود عندها سواء كان ذلك فى الصلاة أو خارجها وهذا بيانها :

أ فى سورة الأعراف قوله تعالى ﴿ **إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** ﴾ الآية ٢٠٦ .

ب – فى سورة الرعد قوله تعالى ﴿ **ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال** ﴾ الآية١٥ .

ج – فى سورة النحل قوله تعالى : ﴿ **ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ الآية ٤٩ / ٥٠ .

د – فى سورة الاسراء قوله تعالى : ﴿ **قل آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا . ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا . ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا** ﴾ الآيات ١٠٧ / ١٠٨ / ١٠٩ .

هـ – فى سورة مريم قوله تعالى ﴿ **أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا وإجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** ﴾ الآية ٥٨ .

و – فى سورة الحج قوله تعالى ﴿ **ألم تر أن الله يسجد له فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن له فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء** ﴾ الآية ١٨ .

وقوله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾ الآية ٧٧ .

ز – فى سورة الفرقان قوله تعالى ﴿ **وإذا قيل اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجدوا لما تأمرنا وزادهم نفورا** ﴾ الآية ٦٠ .

ح – فى سورة النمل قوله تعالى : ﴿ **ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء هو السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم** ﴾ الآيتان ٢٥ / ٢٦ .

ط – فى سورة السجدة قوله تعالى ﴿ **إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون** ﴾ الآية ١٥ .

ى – فى سورة فصلت قوله تعالى : ﴿ **ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون . فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون بالليل والنهار وهم لا يسأمون** ﴾ الآيتان ٣٧ / ٣٨ .

ك – فى سورة النجم قوله تعالى ﴿ **أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولا تبكون . وأنتم سامدون ، فاسجدوا لله واعبدوا** ﴾ الآيات ٥٩ – ٦٢ .

ل – فى سورة الانشقاق قوله تعالى : ﴿ **فما لهم لا يؤمنون . وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون** ﴾ الآيتان ٢٠ / ٢١ .

م – فى سورة العلق قوله تعالى ﴿ **كلا لا تطعه واسجدوا واقترب** ﴾ الآية ١٩ .

وأما سجدة سورة (ص) وهى قوله تعالى ﴿ **وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب** ﴾ الآية ٢٤ فمستحبة وليست من عزائم السجود .

ويسمى هذا السجود سجود التلاوة ويشترط فيه ما يشترط فى الصلاة

من الطهارة من الحدث والنجاسة وستر العورة واستقبال القبلة .

٤ – تلك كانت الآداب الخاصة بمعلم القرآن ومتعلمه ، ثم هناك آداب أخرى لكل المسلمين مع القرآن الكريم وقد جمعها النووى فى كتابه التبيان وإليك بيانها :

قال النووى قال العلماء رحمهم الله : النصحية لكتاب الله تعالى هى الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله ، لا يشبهه شيء من كلام الخلق ، ولا يقدر على مثله الخلق بأسرهم ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته ، وتحسينها والخشوع عندها ، وإقامة حروفه فى التلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاغين ، والتصديق بما فيه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتناء بمواعظه ، والتفكر فى عجائبه ، والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه ، وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه والدعاء إليه وإلى ما ذكرناه من نصيحته ، وقد أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن العزيز على الإطلاق وتنزيه وصيانته ، وأجمعوا على أن من جحد منه حرفا مما أجمع عليه أو زاد حرفا لم يقرا به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر ، قال الإمام الحافظ أبو الفضل القاضى عياض رحمه الله « اعلم أن من استخف بالقرآن أو المصحف أو بشيء منهما أو سبهما أو جحد حرفا منه أو كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم أوخبر ، أو أثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته وهو عالم بذلك أو يشك فى شيء من ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين .

ويحرم تفسيره بغير علم ، والكلام فى معانيه لمن ليس من أهلها . . .

ويحرم المراء فى القرآن والجدال فيه بغير حق . . .

ويجوز التداوى بالقرآن قراءة ورقية وتعوذا من الحسد . .

٥ –ومن السور والآيات التى ورد فى فضل قراءتها فى أوقات مخصوصة

أحاديث صحيحة نقدم لك ما يلى :

أ – كثرة تلاوة القرآن كله فى رمضان وفى العشر الأواخر منه بخاصة ، وفى ليال الوتر ليصادف ليلة القدر ، وكذلك فى العشر الأوائل من ذى الحجة وفى يوم عرفة وفى يوم الجمعة وبعد الصبح وفى الليل . . .

ب – وينبغى المحافظة على قراءة : يس والواقعة والملك كل ليلة .

ج – ومن السنة قراءة سورتى السجدة والإنسان فى صلاة الصبح يوم الجمعة وقراءة سورتى الجمعة أو الأعلى والغاشية فى صلاة الجمعة ، وسورتى ق واقتربت ، أو الأعلى والغاشية فى صلاة العيد ، والأعلى والكافرون والإخلاص فى صلاة الوتر .

د – وتستحب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها .

هـ – وعند النوم تستحب قراءة آية الكرسى والإخلاص والمعوذتين وآخر سورة البقرة .

و – وإذا استيقظ من النوم قرأ آخر آل عمران من أول « إن فى خلق السموات والأرض . . . الى آخرها .

ز – ويقرأ على المريض أو رقيته الفاتحة والإخلاص والمعوذتين وينفث فى يديه ويمسح بهما ما أستطاع من جسده وجسد المريض .

٦ – وهذه محرمات يجب معرفتها :

أ – تحرم المسافرة بالمصحف إلى أرض العدو إذا خيف وقوعه فى أيديهم .

ب – ويحرم بيعه إلى الذمى .

ج – ويجب على الولى صيانته من المجنون والطفل غير المميز مخافة انتهاك حرمته .

د – ويحرم على الجنب مس المصحف وحمله وقراءة القرآن وعلى المحدث مسه وحمله كما يحرم ذلك على كل من الحائض والنفساء إلا عند ضرورة التعليم .

القسم الثانى

ردود على المطاعن ودحض للمفتريات

الفصل الأول

الغزو الفكرى ماضيه وحاضره

إن عداوة اليهود والمشركين ، ومن على شاكلتهم من المبشرين والمستشرقين للاسلام والمسلمين قائمة منذ فجر التاريخ ، فقد عادوا رسالات الله التى جاءت كلها بالاسلام ، وتآمروا على رسل الله الذين حملوا اليهم هذه الرسالات ، وقتلوا الأنبياء الداعين للاسلام ، وعبدوا العجل وغيره من الأصنام ، وآمنوا بالجبت والطاغوت ، واتبعوا ما تتلو الشياطين وحرفوا كلام الله تعالى وبدلوه ، وكتبوه بأيديهم واشتروا به ثمنا قليلا ، وكفروا بأنعم الله تعالى الظاهرة والباطنة ، وبذلوا قولا غير الذى قيل لهم ، وعصوا أوامر الله تعالى واعتدوا على حدوده وحرماته ، وظل حالهم كذلك حتى بعث الله تعالى خاتم النبيين والمرسلين محمدا صلى الله عليه وسلم فازدادت عداوتهم وأفصحوا عن حقدهم ، فكانوا – رغم علمهم به – أول كافر به ، ولم يكتفوا بكفرهم ، بل شنوا على المؤمنين به حملات العداء والتشهير ، ووضعوا أيديهم في أيدى المشركين والنصارى لمهاجمة الاسلام ورسوله وكتابه وكل من آمن به ، وصدق الله العظيم : ﴿ **لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾[1] .

وفى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تشير الى ماقام به اليهود والنصارى ضد الاسلام ورسوله وأصحابه ، من كفرهم به ، وصد الناس عن الإيمان به ، ومحاولات تشويهه والنيل منه ، وشن الحروب على أهله ،

---

(١) سورة المائدة : ٨٢ .

ونقض العهود معهم ، وتدبير المؤامرات ضدهم ، وخيانة الآمانات الى غير ذلك ، يقول الله تعالى : ﴿ **ولما جاءهم رسول مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون** ﴾[1] ويقول : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾[2] ، فهذا عن كفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن ، أما عن صدهم عن سبيل الله وعن الايمان فمنه قوله تعالى : ﴿ **ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين امنوا سبيلا . أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا** ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ **قل ياأهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء ومالله بغافل عما تعملون** ﴾[4] وأما عن تلبيس الحق بالباطل فيقول الله تعالى : ﴿ **يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون** ﴾[5]

---

(١) سورة البقرة : ١٠١ .

(٢) سورة البقرة : ٨٩ ، قال السيوطى : أخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد أبو عكرمة عن ابن عباس أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ماكانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر ابن البراء وداود بن سلمة : يامعشر اليهود ، اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه ، فقال سلام بن مشكم أحد بنى النضير : ماجاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكر لكم ، فأنزل الله : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله** . . ﴾ الآية : لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى . هامش المصحف الشريف بتفسير الشيخ حسنين مخلوف .

(٣) النساء : ٥١ /٥٢ .

(٤) آل عمران : ٩٩ .

(٥) آل عمران : ٧١ .

بل حاولوا مع المسلمين أن يردوهم الى الكفر بعد الايمان ، وفى سبيل ذلك كان بعضهم يدخل الاسلام أول النهار ويكفر آخره ليحذو حذوه المسلمون ، يقول الله تعالى : ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفار حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق** ﴾[1] وقال سبحانه : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وكفروا آخره لعلهم يرجعون** ﴾[2] .

روى ابن اسحق عن ابن عباس قال : قال عبد الله بن الصيف وعدى بن زيد والحارث بن عوف بعضهم لبعض : تعلوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعون عن دينهم فأنزل الله فيهم : ﴿ **ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل** ﴾ الى قوله﴿ **واسع عليم** ﴾[3] .

هذا قليل من كثير مما كان عند اليهود والنصارى من العداوة للاسلام والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

وقد استمرت هذه العداوة تتنامى وتتضاعف بمرور السنين حتى لبست أثوابا جديدة فى العصر الحديث ، وتجلت فيما يعرف الآن : بالغزو الفكرى الذى يصوب سهامه المسمومة الى أغلى مايعتز به المسلمون من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، يقول الدكتور دراز رحمه الله : « ومن تتبع أنواع المجادلات التى حكاها القرآن عن الطاعنين فيه رأى أن نسبتهم القرآن الى تعليم البشر كانت هى أقل الكلمات دورانا على ألسنتهم وأن أكثرها ورودا فى جدلهم هى نسبته الى نفس صاحبه ، وهذا الرأى هو الذى يروجه

---

(١) البقرة : ٩ ، ١٠ .

(٢) آل عمران : ٧٢ .

(٣) لباب النقول فى أسباب النزول - السيوطى - هامش المصحف الشريف تفسير الشيخ حسنين مخلوف .

الملحدون اليوم باسم « الوحى النفسى » زاعمين أنهم بهذه التسمية جاءوا برأى علمى جديد وماهو بجديد ، وإنما هو الرأى الجاهلى القديم لايختلف عنه فى جملته ولا تفصيله ،وهكذا كان الالحاد فى ثوبه الجديد صورة منسوخة بل ممسوخة من الماضى فى أقدم أثوابه ، وكان غذاء هذه الافكار المتحضرة فى العصر الحديث مستمدا من فتات الموائد التى تركتها تلك القلوب المتحجرة فى عصور الجاهلية الأولى ﴿ **كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم** ﴾[1] .

وقبل أن نتناول هذه السهام الحديثة نقف وقفة قصيرة مع هذا الغزو الحديث نتعرف من خلالها على تاريخه وأهدافه وأنواعه أساليبه .

تاريخ الغزو الفكرى : .

عرفنا أن الحملة على الاسلام ومصادره قديمة ، منذ بزغت شمسه ، أما الغزو فى ثوبه الجديد ، فقد بدأ بعد فشل الحروب الصليبية ، وذلك أن الصليبين لما خسروا المعارك الحربية ضد الاسلام وأهله ، لم يتمكنوا من الاحتفاظ ببيت المقدس ، وفكروا فى حروب أخرى للقضاء على الاسلام الذى هو سر قوة المسلمين ومصدر توجيههم فلجأوا منذ ذلك الوقت الى الغزو الفكرى ، يقول غاردنر : لقد خاب الصليبيون فى انتزاع القدس من أيدى المسلمين ليقيموا دولة مسيحية فى قلب العالم الاسلامى . . . ثم يقول : والحروب الصليبية لم تكن لانقاذ هذه المدينة بقدر ماكانت لتدمير الاسلام . أما ليفونيان فيرى – وهو على حق – أن الحروب الصليبية كانت أعظم مأساة نزلت بالصلات بين المسلمين والنصارى فى الشرق الأدنى ، لقد أحب الصليبيون أن ينتزعوا القدس من أيدى المسلمين بالسيف ليقيموا

---

(١) البقرة : ١١٨ ، وأنظر : النبأ العظيم – د / محمد عبد الله دراز ص ٦٧ هامش .

للمسيح مملكة فى هذا العالم ، أنهم لم يستطيعوا أن يقيموا تلك المملكة ، ولكنهم تركوا بعدهم العداوة والبغضاء ، خابت دول أوربا فى الحروب الصليبية الأولى من طريق السيف ، فأرادت أن تثير على المسلمين حربا صليبية جديدة من طريق التبشير .[1] ، وكان « ريمون لل » الأسبانى أول من تولى هذا الغزو التبشيرى ، فقد استطاع فى عام ١٢٩٩م أن يحصل على اذن من الملك يعقوب صاحب أرغونية ليبشر فى مساجد برشلونة محتميا بالسلطة المسيحية فى أسبانيا ، ثم جال فى بلاد الاسلام وناقش علماء المسلمين فى بلاد كثيرة[2] .

وظلت عمليات التبشير تتنامى وتتكاثر وتتكون لها جمعيات ومؤتمرات عالمية كما يذكر ذلك « أدوين بلس » فى كتابه « ملخص تاريخ التبشير » من مثل مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦ برئاسة « زويمر » وكتابه « العالم الاسلامى اليوم » ومؤتمر « ادنبرج » التبشيرى سنة ١٩١٠ ، ومؤتمر لكنو التبشيرى فى الهند سنة ١٩١٢[3] .

أما عن الاستشراق وهو الجناح الثانى من أجنحة الغزو الفكرى ، فقد بدأ منذ دقت جيوش الفتح الاسلامى أبواب أوربا ، وتحققت لهم السيادة العالمية فى شتى المجالات ، فبدأ الأوربيون الذين كانوا غارقين فى ظلام العصور الوسطى يبحثون عن أسباب نهضة المسلمين ، وبدأ بعض رجال الكنيسة يدرسون اللغة العربية والعلوم الاسلامية ، وزادت هذه الدراسات وكثر الاهتمام بها فى أعقاب فشل الحروب الصليبية ، ولما قامت النهضة الاوربية ، وتفتحت أنظار الأوربيين الى استعمار البلاد العربية والاسلامية – هذا هو

---

(١) انظر : التبشير والاستعمار ، خالدى وفروخ ص ١١٥ .

(٢) السابق : ص ١١٥ .

(٣) انظر : اجنحة المكر الثلاثة – عبد الرحمن حبنكه ص ٢٨ - ٥٤ .

الجناح الثالث للغزو – كثر اهتمام الأوربيين بالدراسات الشرقية « الاستشراقية » فشجعوا عليها وفتحوا لها أقساما خاصة فى جامعاتهم ، وبدأوا يعقدون المؤتمرات والجمعيات ، وينشرون التقارير والمجلات ، وبدأت هذه الأعمال الاستشراقية تحقق ثمارها ونتائجها فى مهاجمة الاسلام وتشويهه والنيل منه ، فالتقت فى ذلك مع التبشير وأعمال المبشرين ، وتضافرت معها ، ومن أشهر المستشرقين : المستشرق الانجليزى جب ، والفرنسى ماسينيون ، والانجليزى مرجليوث ، والمجرى جولد زيهر ، والألمانى بروكلمان ، وغيرهم كثيرون .[1] .

ويذكر الدكتور محمد البهى أن الغزو الفكرى بدأ بعد الحروب الصليبية ، وذلك أن الاحتكاك فى هذه الحروب على مدى قرنين جعل الصليبيين يقفون على أمرين هما : عقيدة الاسلام فى قوتها وضعف المسلمين فى مجتمعهم ، وسعة مايملكون من ثروة فى بلادهم فبدأوا بعد الفشل فى الحرب يعدون أنفسهم ويرسمون خططهم انتهازا لزيادة ضعف المجتمع الاسلامى وتفككه ، والاستفادة من ثروته ، وأعقب هذا الاتصال الاقتصادى نفوذ سياسى ثم استعمار عسكرى منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين ، وقد استخدم هذا النفوذ السياسى والعسكرى للتنفيس عن الهزيمة الصليبية فى الحروب الماضية ، وعن الحقد الصليبى على بقاء بيت المقدس فى ظل السيادة الاسلامية يقول : .

فكيف يستمر للغرب نفوذه السياسى على الشرق الاسلامى ؟ .

وكيف يبقى تخلف المسلمين ؟ .

وكيف تنفس النفس الصليبية عن حقدها ؟ .

---

(١) أنظر : التبشير والاستعمار ص١١٥ وأجنحة المكر الثلاثة ص ١١٥ ، وأنظر أيضا الفكر الاسلامى الحديث ص ٤٤٧ – ٤٥٢ .

ليس له – الغرب هنا طريق آخر لتحقيق هذه الغاية سوى تناول « مادة التوجيه » المحلية وجعلها غير صالحة ، ولم يكن هناك فى توجيه الشرق الاسلامى سوى « الاسلام » والتراث الاسلامى الذى خلفه المسلمون فى شرح اسلامهم ، فافساد الاسلام والتراث الاسلامى اذن غرض أول للمستعمر الغربى .[1] وهذا ماسنبينه فى الفقرة التالية .

أهداف الغزو الفكرى : .

لاتختلف أهداف الغزو الحديث عن مؤامرات الماضين ومكائدهم فهى كلها تدور حول النيل من الاسلام وتشويه حقائقه ورموزه الكبيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وصد الناس عن الايمان به والدخول فيه ، وافساد من تم اسلامهم بالتنصير أو التشكيك والالحاد وبذلك وغيره يتم القضاء على الاسلام واستغلال أهله وأرضه ، يقول الدكتور عبد الحليم محمود : ولقد غزانا الغرب فى العصور الحديثة بكل ما يملك بالسلاح والقلم ، وقد كانت مهمة القلم فى هذا المجال واسعة متنوعة ، فقد تناول كتابهم الاسلام عقيدة وتشريعا وأخلاقا وتاريخا محاولين أن يزيفوا الحقائق فى كل ميدان من ميادين الدين ، وحاولوا أن يقللوا من شأن الاسلام ومن شأن العرب وحاولوا بكل ما أوتوا من وسائل فى الدعاية أن يبعثوا فى النفوس روح التحلل والفساد الأخلاق . . . ثم يقول : « ان الغربيين يريدون بكل وسيلة القضاء على الاسلام كقوة لها ذاتيتها وأصالتها ومنهجها فى الحياة وهم يستعملون من أجل ذلك كل الوسائل .[2] .

ويقول الدكتور البهى : « فافساد الاسلام والتراث الاسلامى اذن غرض

---

(١) الفكر الاسلامى الحديث ص ١٦ .

(٢) القرآن والنبى ص ٢٠ ، ٣٩٦ .

أول للمستعمر الغربى ، واختار وسيلته لذلك فيما أبرزوه من المفارقة بين الغرب والشرق من تقدم الأول وتأخر الثانى ، وابتدأ العلم وابتدأت الدراسة هناك تبحث عن أسباب هذه المفارقة وتركزت الأسباب أخيرا فى المقابلة بين المسيحية والاسلام . المسيحية دين المتقدمين ، والاسلام دين المتخلفين .[1] .

ويضيف الشيخ محمود شاكر : « لم يكن غرض العدو أن يقارع ثقافة بثقافة ، أو أن ينازل ضلالا بهدى ، أوأن يصارع باطلا بحق ، أو أن يمحو أسباب ضعف بأسباب قوة ، بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك فى ميدان الثقافة فى العالم الاسلامى جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة ، وينصب فى أرجائه عقولا لاتدرك الا مايريد لها هو أن تدرك ، ولا تبصر الا مايريد لها هو أن تبصر ، ولا تعرف الا مايريد لها هو أن تعرف ، فكانت جرائمه فى تحطيم أعظم ثقافة انسانية عرفت الى هذا اليوم كجرائمه فى تحطيم الدول واعجازها مثلا بمثل ، وقد كان ما اراد الله أن يكون ، وظفر العدو فينا بما كان يبغى ويريد .[2] .

ومن هذا يتبين أن الهدف الرئيسى لأئمة الغزو الفكرى وقياداته هو القضاء على الاسلام وأصوله وتراثه ، وهناك أهداف أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية كالحيلولة دون وحدة الأمة الاسلامية ، ونهب خيراتها وثرواتها وبذر بذور التفرق والقومية بين صفوفها ، ولكنا اذا أمعنا النظر فى هذه الأهداف وجدناها ترجع فى حقيقتها الى الهدف الرئيسى الدينى : « وهو القضاء على الاسلام وعلى كل مايقويه ويحفظه » وقد أحصى هذه الأهداف اجمالا وتفصيلا الأستاذ عبد الرحمن حسن فقال : « وأخطر أهدافهم فى الأمة

---

(١) الفكر الاسلامى الحديث ص ١٧ .

(٢) مقدمة الظاهرة القرآنية ص ١٢ .

الاسلامية تحويل المسلمين عن دينهم وتقطيع أوصال جماعتهم الانسانية الكبرى ، وبثها الى وحدات صغرى متقاطعة متنافرة متدابرة يقاتل بعضها بعضا ، ولتحقيق ذلك لجأ الغزاة الى الأعمال الجزئية الآتية : .

١ – التشكيك بصحة رسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم .
٢ – انكار كون القرآن كتابا منزلا من عند الله .
٣ – أن الاسلام ليس دينا سماويا ولكنه ملفق من اليهودية والنصرانية .
٤ – التشكيك فى صحة الحديث النبوى .
٥ – التشكيك بقيمة الفقه الاسلامى .
٦ – التشكيك فى قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمى .
٧ – تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضارى واضعاف ثقتهم فيه .
٨ – اضعاف روح الاخاء الاسلامى ببث الأفكار القومية والنعرات العصبية[1] .

وسائل الغزو الفكرى : .

إتخذ الغزاة من الوسائل كل مايؤدى أويساعد على تحقيق أهدافهم جملة وتفصيلا ، ولم يتركوا وسيلة تساعد على تحقيق هدف ولو جزئى الا استعملوها ولذلك نجدهم تارة يستخدمون السلاح ، وأخرى يستخدمون السلام ، وحينا يستخدمون العلم ، وتارة يستخدمون الطب ، وأخرى يستخدمون المساعدات الاقتصادية بأشكالها المختلفة من مساعدات غذائية الى مساعدات كسائية ، الى مساعدات نقدية كمعاشات ومرتبات شهرية أو مكافئات سنوية ، وفى مناسبات كثيرة يكون الكذب والباطل واثارة الشبهات والضلالات وسيلتهم لتحقيق تلك الأهداف أو بعضها ، بل ان ذلك يكاد يكون الطابع العام مع كل الوسائل السابقة ، يقول الشيخ محمود شاكر :

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة ص ٩٤ – ٩٧ .

« وميادين معركة الثقافة والعقل ميادين لا تعد بل تشمل المجتمع كله فى حياته وفى تربيته ، وفى معايشه ، وفى تفكيره وفى عقائده ، وفى آدابه وفى فنونه وفى سياسته ، بل كل ماتصبح به الحياة حياة انسانية كما عرفها الانسان منذ كان على الأرض ، والأساليب التى يتخذها العدو للقتال فى معركة الثقافة أساليب لاتعد ولاتحصى لأنها تتغير وتتبدل ، وتتجدد على اختلاف الميادين وتراحبها وكثرتها ، وأسلحة القتال فيها أخفى الأسلحة » .[1] .

ويفصل الدكتوران خالدى وفروخ هذه الوسائل ويعددانها ويبينان أن العدو لم يترك واحدة منها ، ولم يفوت مناسبة الا واستخدمها فمادامت الغاية واضحة والهدف محددا نحو الاسلام فقد سلكوا كل السبل الشريفة وغير الشريفة لتحقيق هذه الغاية يقولان : « ولقد استخدم المبشرون جميع الطرق فى سبيل التبشير ، واستغلوا جميع المناسبات ، فصناعة التطبيب والتعليم والوعظ ، ونقل الكتب من لغة الى لغة كلها يجب أن توجه توجيها يفيد التبشير . . والمبشرون مجمعون على أن جميع الوسائل – مهما كانت – يجب أن تستغل فى سبيل التبشير ، حتى أعمال البر يجب أن تستغل استغلالا بحتا ، ومن ذلك قولهم – كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير ويجب أن يبقيا كذلك ، أما أعمال الاحسان فيجب أن تستعمل بحكمة كيلا تذهب فى سبيلها ، يجب أن تعطى الأموال أولا للبعداء عن الكنيسة ثم تقل تدريجيا كلما اقترب أولئك من الدخول فى الكنيسة . . « وكان المبشرون يتخذون من زيارة المسجونين ومن العمل فى المستشفيات وسيلة الى التبشير . . كما لجأوا الى الرشوة يفسدون بها ضمائر الذين يستميلونهم ، واتخذوا سماسرة يجلبون لهم الذين كانوا يرضون أن يبدلوا دينهم ، وكانوا يدفعون عن رأس عشرة قروش ذهبا . . . »[2] .

---

(١) مقدمة الظاهرة القرآنية ص١١ .

(٢) التبشير والاستعمار ص٤٨ – ٥٠ .

أما الدكتور البهى فيبين أن أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين ومستعمرين اتخذوا لتحقيق أهدافهم فى القضاء على الاسلام وإضعافه وإضعاف أهله وسيلتين أساسيتين هما : .

١ – خلق جيل جديد من أبناء المسلمين يكون تابعا لهم متحدثا باسمهم ، متشبعا بثقافتهم ، مقتنعا بأهدافهم ، راضيا بسيادتهم واحتلالهم .

٢ – قيام الغربيين بالتركيز فى تشويه الاسلام والسخرية من المسلمين يقول رحمه الله : « وسائل الاستعمار لاضعاف المسلمين فى اسلامهم تنحصر فى توجيه الفكر الاسلامى نحو تحقيق هذه الغاية ، وقد برز هذا التوجيه فى صورتين تنم كلتاهما عن هذه الغاية : .

الصورة الأولى : .

قيام بعض مفكرى المسلمين بحركة تقدمية فى الاسلام ، تبغى تقرير سلطة المستعمر وتثبيت ولايته على المسلمين من الوجهه الاسلامية . . .

الصورة الثانية : .

قيام بعض الغربيين الأريين المسيحيين بابراز الخلافات المذهبية ، وتأكيد الفجوات والثغرات بين طوائف المسلمين وشعوبهم من الوجهه الشعبية ، أو الجغرافية ، أو نظام الحكم . . . مع شرح كثير من مبادىء الاسلام شرحا يشوهها وينحرف بها عن أهدافها الأصلية وذلك كله بالاضافة الى تمجيد القيم المسيحية والحضارة الغربية والنظام السياسى ، والسلوك الفردى للشعوب الغربية .[1] .

وهذا الذى حصره الدكتور البهى فى هاتين الصورتين لايختلف عما ذكره

---

(١) الفكر الاسلامى الحديث ص٢٨ .

العلماء السابقون من وسائل متعددة بل يتفق معه تماما ، وكل ماهنالك من فرق أن السابقين فصلوا الوسائل ، والدكتور البهى جمعها فالطب والتعليم والمساعدات والزيارات والاعلام والثقافة والبر والاحسان و . . .و . . . كل ذلك ينتهى الى احدى هاتين الصورتين والهدف النهائى هو : القضاء على الاسلام وتنصير أهله ، او اضعاف شأنه ومكانته عند أهله وغيرهم بما يثيرونه حوله من شبهات وأباطيل وسيقوم بذلك أحد شخصين أو هما معا اما مسلم ضعيف الاسلام صنعه الاستعمار على هواه ، واما كافر حاقد لايريد بالاسلام وأهله خيرًا كالمبشرين والمستشرقين ، ومن هذا يتبين لنا أن أعداء الاسلام سلكوا كل الوسائل واتخذوا كل الأساليب ، واستغلوا كل المناسبات ووجهوا كل الخطط ، وقضوا على الأساليب المضادة لتحقيق أهدافهم الخبيثة فى القضاء على الاسلام وأهله .

أنواع الغزو الفكرى : .

يتخذ الغزو الفكرى صورا وأشكالا بعضها واضح مكشوف تحت عنوان خبيث هو تحقيق الاصلاح والتقدم الحضارى ، وبعضها خفى حتى لايثير أية مشكلة تتعلق بقوانين البلاد وأمنها وتقاليد أهلها ، فمن ذلك : .

أ – الاستشراق والتبشير : .

وهما جناحان لطائر واحد فكلاهما يصب فى الآخر ويدعمه ويسانده ، فالاستشراق هو الجانب النظرى والعلمى والتبشير هو الجانب العملى والحركى [1] ، ولكنهما يسعيان لغاية واحدة ويتعاونان فى الوصول الى هدف واحد وكلاهما يستخدم خطط الآخر وأساليبه ويتبادلانها ، ولهذا

---

(١) أنظر : الفكر الاسلامى الحديث ص١٨ .

النوع مراكز عديدة يتحرك من خلالها لتحقيق الهدف المشترك منها : .

١ – أجهزة التعليم من مدارس ومعاهد وجامعات .

٢ – الجمعيات والمراكز الثقافية .

٣ – الأندية الرياضية والاجتماعية .

٤ – المنشآت الطبية والدوائية .

٥ – الملاجىء وجمعيات التكافل الاجتماعى .

٦ – الكنائس وتحركاتها التبشيرية .

ب – الاستعمار العسكرى والاقتصادى والسياسى :

حيث يغرق الدول الفقيرة بديون تكبلها ثم يتدخل فى شئونها الداخلية والخارجية بدعوى حفظ مستحقاته وديونه ، وقد يلجأ الى الاستعمار العسكرى واقامة القواعد الدائمة ، ثم يعمل على بث أفكاره ومبادئه بين أبناء تلك الشعوب عن طريق حكامها أو عن طريق الأقلام المريضة للعملاء الذين يصنعهم أو يشتريهم من أهل تلك البلاد .

جـ – الماسونية والصهيونية : .

وهى حركات سرية عنصرية أستخدمت الشيوعية والاستعمار فى هدم الأديان والقيم الدينية والسيطرة على الشعوب النامية والتخطيط لقيادة العالم والاستيلاء على مقدرات الأمم .

د – عملاء الاستعمار من الوطنيين : .

وهؤلاء يروجون للأفكار الدخيلة سواء منها ماينتمى الى المعسكر الشرق أو المعسكر الغربى ، ومن هؤلاء من يدعو الى ترك اللغة الفصحى ، وتشجيع العامية[1] ، ومنهم من يدعو الى تغيير الأحكام الشرعية لأنها قاسية ولم تكن

---

(١) أنظر : التبشير والاستعمار ص٢٢٤ .

صالحة للتطبيق[1] ، الى غير ذلك . .

هـ – تلاميذ المستشرقين والمبشرين : .

ممن درسوا على أيديهم أو تتلمذوا على أفكارهم ، ولم ينالوا الشهادات العالمية العالية من ماجستير ودكتوراه الا بعد ترديد هذه الافكار والاقتناع بها والدفاع عنها . . .[2] .

و – انشاء ومساندة الفرق الضالة المرتدة عن الاسلام : .

فقد ظهر فى القرن الماضى بعض من ادعى النبوة وحرف الاسلام وشوه العقيدة وأفسد العبادة وغير القيم والأخلاق فغذاهم الاستعمار وساعدهم ووقف الى جانبهم حتى أثمرت دعواتهم الباطلة فرقا تضم جماعات من الناس مثل : البابية والبهائية والقاديانية وغيرها من الحركات التى ادعت زورا وبهتانا أنها حركات تجديد واصلاح فى الاسلام والمسلمين .[3] .

---

(١) أنظر : التشريع الجنائى الاسلامى ص١٢ وما بعدها .

(٢) أنظر : مقدمة رد مفتريات على الاسلام ، د / عبد الجليل شلبى ص١٢ – ١٤ والفكر الاسلامى الحديث ص١٩ ، ١٩٥ .

(٣) أنظر : الفكر الاسلامى الحديث ص١٧ .

الفصل الثانى

مطاعن الغزاة فى القرآن الكريم

أـــ لماذا الطعن فى القرآن ؟ .

من المعلوم أن القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذى تولى حفظه بنفسه كما قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1] ، وهو معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبرى التى تحدى بها الانس والجن الى يوم الدين : ﴿ **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾[2] وهو مادة الاسلام ومصدره الأعظم فى العقيدة والعبادة والتشريع والأخلاق والمعاملات وجميع نظم الحياة قالى تعالى : ﴿ **ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **مافرطنا فى الكتاب من شيء** ﴾[4] . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر نزوله بالأحكام والاجابة عن الأسئلة . والفصل فى الخلافات والأوامر والنواهى والحلال والحرام وشئون العباد . وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعون اليه – مستعينين بالسنة النبوية – فى كل ماينزل بهم أو يطرأ عليهم ، وكذلك سار التابعون والأئمة المجتهدون والمفسرون والمحدثون والفقهاء والمتكلمون ، والخلفاء والوزراء والفلاسفة

---

(١) الحجر ٩ .

(٢) الاسراء ٨٨ .

(٣) الاسرء ٩ .

(٤) الانعام ٣٨ .

والعلماء . . . وهكذا كان القرآن الكريم – ومايزال – مرجع الاسلام والمسلمين فى كل شيء اما بالنص عليه أو بالفهم والاجتهاد فى ضوئه ، ونظرا لهذه المكانة السامية والمنزلة الكبرى لكتاب الله تعالى كان القرآن الكريم مستهدفا من قبل الغزاة على اختلاف أجناسهم ووسائلهم ، فسلطوا حربهم فى الدرجة الأولى عليه ، ووجهوا معظم سهامهم المسمومة اليه ، لأنه كما ذكرنا أساس الاسلام ، فاذا قضى عليه – وهذا مستحيل – قضى على الاسلام ، وفى ذلك يقول « جون تاكلى : « يجب أن نستخدم كتابهم – القرآن الكريم – وهو أمضى سلاح فى الاسلام ضد الاسلام نفسه لنقضى عليه تماما ، يجب أن نرى هؤلاء الناس – المسلمين – ان الصحيح فى القرآن ليس جديدا ، وأن الجديد فيه ليس صحيحا »[1] ونحو ذلك من الأقوال التى سنتعرف عليها فى الفقرات القادمة .

ب – بداية الطعن فى القرآن : .

يردد الغزاة من أعداء الاسلام اليوم مارددده أجدادهم من أعداء الاسلام فى الماضى منذ فجر الدعوة الاسلامية ، ومع البدايات الأولى لنزول القرآن الكريم فى مكة على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد حكى القرآن الكريم ماقاله المشركون واليهود والنصارى على القرآن الكريم وعلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا إن هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض إنه كان غفورا رحيما** ﴾[2] فالآيات تبين أن المشركين وإضرابهم من الكافرين ادعوا ظلما وزورا وبلا بينة ان القرآن من

---

(١) التبشير والاستعمار .٤ وكتابنا : فى التشريع الاسلامى ص٦١ .

(٢) الفرقان : ٤ – ٦ .

صنع محمد وكذبه ، وساعده فى ذلك آخرون [1] ، وادعوا مرة أخرى أن القرآن من أساطير الآولين يملى على محمد ويكتبه صباحا ومساء ، وقد رد الله تعالى عليهم فى آيات أخرى بما أفحمهم وبين لهم أنه من عند الله ووحيه ، وقوله تعالى : ﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين** ﴾[2] .

فالآيات تبين أن المشركين ادعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يفترى القرآن الكريم ويختلقه كما ادعوا أن شخصا أعجميا يساعده فى ذلك [3] فرد الله تعالى عليهم بأن القرآن من تنزيله عز وجل ولكنهم يجهلون ، وقد نزله الله تعالى بوحيه ليثبت المؤمنين ويهدى ويبشر المسلمين ، وأما ادعؤهم أن شخصا أعجميا يساعده فينقضه الواقع ويبطله البيان فكيف بأعجمى لايكاد يبين يعلم محمدا هذا البيان العربى الحكيم المبين ؟ وقوله تعالى : ﴿ **واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لايهدى القوم الظالمين . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون** ﴾[4] .

---

(١) قيل قوم من اليهود ، وقيل عبيد كانوا للعرب من الفرس أحدهم : أبو فكيهة مولى الحضرميين ، وجبر ، ويسار ، وعداس وغيرهم . أنظر : تفسير ابن عطية ج١١ ص٥ .

(٢) النحل : ١٠١ - ١٠٢ .

(٣) قيل أنه : بلعام ، وقيل يعيش ، وقيل جبر ويسار وقيل سلمان وهذا ضعيف . أنظر تفسير ابن عطية ج٨ ص ٥١٠ .

(٤) الصف ٦ - ٨ .

وقوله تعالى : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين . بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين . واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أن كنتم مؤمنين** ﴾[1] .

هكذا كان موقف أجداد الغزاة المعاصرين - من المشركين واليهود والنصارى - من القرآن الكريم ابان نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم ، وظل الأمر كذلك حتى نشر الله تعالى الاسلام وأقام دولته ومكن له فى الأرض ، وسمع دوى القرآن الكريم أرجاء المعمورة ، وقامت المساجد فى القرى والمدن وعقدت مجالس العلم ومدارسة فى كل مكان ، ونشأت علوم كثيرة لخدمة القرآن .

وبعد دهر نبتت نابتة الشيطان فى أهل كل دين ، وجاءوا بالمراء والجدل وشققوا الكلام بالرأى والهوى ، وعندئذ نجم الخلاف وانتهى الخلاف الى الجرأة ، وأفضت الجرأة يوما الى رجل فى أواخر دولة بنى أمية يقال له « الجعد بن درهم » وكان شيطانا خبيث المذهب تلقى مذهبه عن رجل من أبناء اليهود يقال له « طالوت » فكذب القرآن فى اتخاذ ابراهيم خليلا ، وفى تكليم موسى ، والى هذا وشبهه وكان من قوله « إن فصاحة القرآن غير معجزة ، وان الناس قادرون على مثلها وأحسن منها . . ولم تكد دولة بنى العباس ترسى قواعدها حتى دخلت بعض العقول الى فحص اعجاز القرآن ، فقام بالأمر كهف المعتزلة ولسانها « النظام » فأتاه من قبل الرأى والنظر[2]

---

(١) البقرة ٨٩ - ٩١ .

(٢) مقدمة الظاهرة القرآنية ص ٤٠ .

واستمر الأمر كذلك الى أن تبنى المعتزلة فتنة القول « بخلق القرآن » فى زمن الخليفة المأمون « الذى أيدهم وتبنى وجهه نظرهم ومبادئهم التى منها تقديم التحسين العقلى على الشرعى . ومما زاد كثرة الفتن أمر المأمون بترجمة التراث الروحى للثقافات الأخرى من فارسية ويونانية .[1] يقول الدكتور عبد الحليم محمود : « ومهما تحدث المتحدثون عن الازدهار والقوة والمجد فى عصر المأمون ، ومهما قالوا من أنه العصر الذهبى للأمة الاسلامية ، فانه مع ذلك عصر يتسم بسيئتين : .

الأولى : دخول المأمون فى النزاع الذى كان بين علماء المسلمين فى مسألة « خلق القرآن » ، لقد دخل المأمون فى هذا النزاع بقوة الدولة رغبة ورهبة ، لقد دخل متحيز لفئة منكلا بالفئة الأخرى ، لقد تحيز للمعتزلة وهم قوم حكموا أهواءهم فى الدين ، وحسبوا أن مايقولونه هم حكم العقل ...

الثانية :أنه برغم موقف جمهور المسلمين الحاسم من التراث الروحى للأمم الأخرى ، وبرغم معارضتهم الشديدة للغزو الفكرى ، فان المأمون تحداهم تحديا سافرًا ، آمرا بترجمة التراث الروحى والأخلاق للأمم الأخرى يونانية كانت أو فارسية أو غيرهما[2] .

ثم تتابعت العصور على ذلك الجدل فى القرآن وعلى ماهو أشنع منه حتى أفضينا به فى العصر الحديث الى أقبح الشناعة يوم فرض الاستعمار الغربى الغازى على مدارسنا منهجا من الدراسة يضعف دراسة اللغة العربية ، وينحيها رويدا رويدا ، ويشجع العامية ويدعو اليها حتى يقطع الصلة بين الأمة وكتابها العزيز ، فيصبع كتابا غير مفهوم ، فيهجره الناس ، كما فعل المشركون من

---

(١) وكان ذلك سنة ٢١٢ أنظر : كتاب دول الاسلام - الذهبى ج١ ص ١٣٠ ، وأنظر فى أبطال القول بخلق القرآن : شرح العقيدة الطحاوية ص١٧٣ــ ١٧٦ ، ص٢٩٨ .
(٢) القرآن والنبى ص١٤٨ــ ١٥٢ .

قبل ﴿ **وقال الرسول يارب إن قومى إتخذوا هذا القرآن مهجورا** ﴾[1] وبهجر القرآن وعدم القدرة على فهمه يكون قد تم القضاء على المصدر الأعظم للاسلام وبالتالى يتم القضاء على الاسلام .

وقد سلك الغزاة الجدد فى سبيل القضاء على القرآن كل السبل والوسائل ، ولكن كان الله تعالى – ومايزال – لهم ولأمثالهم بالمرصاد ففشلت كل محاولاتهم ، وضلت جميع وسائلهم ، وبقى القرآن الكريم وسيبقى الى يوم الدين كما أنزله الله تعالى قويا عزيزا محفوظا ، ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[2] ﴿ **بل الذين كفروا فى تكذيب والله من ورائهم محيط . بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ** ﴾[3] .

ماذا يقول الغزاة عن القرآن الكريم ؟

قال الغزاة عن القرآن الكريم كلاما كثيرا – ومازالوا يقولون – منه مايتعلق بنزوله ، ومنه مايتعلق بموضوعاته ، ومنه ماينصب على اعجازه ، ومنه مايعود الى معانيه وأحكامه ، ومنه مايتعلق باللغة ، وبالعلم ، وبالتاريخ ،ومنه مايتعلق بالتشريع والأخلاق ، ومنه مايتعلق بالنظم والنظريات ومعنى هذا أنهم لم يتركوا سبيلا الى النيل من القرآن الكريم الا سلكوه ، ولم يجدوا وسيلة لتحقيق هدفهم الا أخذوا بها وسعوا اليها ، ونحن فى هذه الفقرة نعرض نماذج مختلفة ومتعددة من أقوالهم ، ثم نقوم فى الفصل الثالث ان شاء الله بتفنيدها واحدة واحدة .

١ – **قالوا** : ان القرآن ليس وحيا من عند الله ، ولكنه من عند محمد ،

---

(١) سورة الفرقان : ٣٠ .
(٢) سورة الحجر ٩ .
(٣) سورة البروج ١٩ــ ٢٢ .

فهو من نوادر الأعمال الانسانية ، وتأليف كتاب مافى نهاية البلاغة والفصاحة لايعد معجزة[1] ، يقول موريس بوكاى - وهو يعقد موازنة بين الانجيل والقرآن : « ومرة أخرى تفرض الموضوعية أن نشير الى ادعاء هؤلاء الذين يقولون - بدون أى أساس - أن محمدا مؤلف القرآن[2] ويقول المستشرق « نيكلسون » : والقارئون للقرآن من الأوربيين لاتعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه - وهو محمد - وعدم تماسكه فى معالجة المعضلات ، وهو نفسه لم يكن على علم بهذه المتعارضات ، كما لم تكن حجر عثرة فى سبيل صحابته الذين نقل ايمانهم الساذج القرآن على أنه كلام الله[3] وتقول الموسوعة الروسية[4] : « كتب القرآن فى زمن الخليفة الثالث عثمان (٦٤٤ــ ٦٥٦) ونظر اليه المسلمون نظرة تقديس ، ويبدو من الدراسات التى بين أيدينا أن القرآن ظل يتحور ويتطور حتى بداية القرن الثامن ، على أن تحليل مواضيع القرآن قد دلت على أن بعض اجزائه ترجع الى زمن محمد ، وبعضها الآخر لابد من ارجاعها الى أزمان متأخرة أو متقدمة » وهكذا لم يكتف الغزاة بنسبة القرآن الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وانما نسبوه الى غيره ممن لحقوا به أو سبقوه .

٢ - **وقالوا** : ان القرآن مقتبس من التوراة والانجيل ، اقتبسه محمد ، فأكثر القضايا الشرعية فيه مقتبسة من كتاب التوراة ، وجميع القصص فيه

---

(١) الباكورة الشهية فى الروايات الدينية لطائفة من المبشرين والمستشرقين ص١٨٣ والإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى ص٥١١ .

(٢) الكتب المقدسة والمعارف الحديثة - ص١٠٥ ، وانظر : رد مفتريات على الاسلام ص٢٣٢ .

(٣) الصوفية فى الاسلام نيكلسون - ترجمة نور الدين شريبة ص٨١٧ وانظر الفكر الإسلامى الحديث ص ١٦٨ ،١٧٧ ومابعدها .

(٤) الموسوع الروسية ج٢٨ ص٩٦٤ ، انظر : كتابنا دراسات فى الثقافة الاسلامية ص٢١٦ .

ماعدا قصتى صالح وهود مقتبس من التوراة ، فاذا نسخنا من القرآن كل ماهو مقتبس من التوراة ومن الشرائع والسير لايبقى فيه الا مالايستحق الذكر ، واستشهد بعضهم على ذلك بمثل ماورد فى القرآن الكريم من قصص الأنبياء والوصايا كالتى فى سورة الأنعام والتى فى سورة الإسراء[1] ، فمثلها موجود فى التوراة ، وأكدوا ذلك بأن القرآن اعترف بهذا فى قوله ﴿ **وانه لفي زبر الأولين . أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل** ﴾[2] ومن القائلين لذلك الخورى الحداد ، وقد عرض الأستاذ محمد عزة دروزة أقواله التى منها : « أن الدعوة المحمدية كانت فى العهد المكى كتابية انجيلية توراتية مسيحية يهودية وان القرآن نسخة عربية من الكتب السماوية السابقة المنزلة على الأنبياء السابقين ومقتبس منها ، وأنه كتابى توراتى انجيلى يهودى نصرانى فى موضوعه ومصادره وقصصه وجدله . . . »[3] .

ولم يكتفوا بنسبة الاقتباس هذه الى النبى صلى الله عليه وسلم بل اضافوا عليها كذبا آخر حيث نسبوا إلى النبى ﷺ التحريف فى اقتباسه واتباع الهوى والنفس فى النقل ، يقول الدكتور البهى عنهم : « والاسلام الذى وضعه « محمد » تأثر فيه بالتعاليم الدينية السابقة عن تعاليم اليهودية والمسيحية ، وبالأخص مسيحية الكنيسة السريانية . . . ثم ان محمدا فى اقتباسه من المسيحية ، حرف الفهم فيما اقتبسه ، لأنه حكم نفسه ومنزلته وقيمته الانسانية فى فهمها ، فقد أنكر ألوهية المسيح متأثرا بنفسه كانسان ، ولم يرق هو فى تصور نفسه الى منزلة عيسى حتى يتصور أنه « اله » كما كان عيسى »[4] .

---

(١) آيات الأنعام : ١٥١ــ ١٥٣ ، وآيات الاسراء من الآية ٢٣ الى الآية ٣٩ .
(٢) الشعراء ١٩٦ / ١٩٧ .
(٣) القرآن والمبشرون ص٩٤ ، الاسلام فى مواجهة الاستشراق ص٥٣٩ ورد مفتريات ص٩٣ .
(٤) الفكر الاسلامى الحديث ص١٦٨ .

٣ - **وقالوا** : ان القرآن ليس معجزا ، ويمكن أن يحاكى ويؤتى بمثله ، لأنه كلام بشر صيغ فى أعلى وأرفع الأساليب العربية بلاغة وفصاحة[١] ومنهم من اعتبر الإعجاز فى هذا المجال فقط - مجال الفصاحة والبلاغة والنظم وذلك يرجع الى عبقرية محمد لا الى أن القرآن معجز فى ذاته ، يقول الخورى الحداد : « إن المسلمين يلتمسون اليوم للقرآن الشمول من كل وجه ، ويحاولون أن يجدوا فيه إعجازا الهيا فى العقيدة ، وإعجازا الهيا فى الشريعة ، وإعجازا الهيا فى الفلسفة ، وإعجازا الهيا فى العلم الحديث وفاتهم جميعا أن تاريخ الأسلام يجهل مثل هذا التفكير ومثل هذه المحاولات وأن القدماء انما أجمعوا على أن اعجاز القرآن هو فى نظمه ، ثم قام الخورى بعد ذلك بالطعن فى نظم القرآن ونقض رأى القدماء فى اعجازه ليخلص من ذلك الى أن القرآن ليس معجزا .[٢] وهكذا يدعى الخورى كذبا أن القدماء أجمعوا على أن الاعجاز القرآنى فى النظم فقط ، ثم نقض ذلك كما أنكر مايذكره المسلمون فى الماضى والحاضر من تعدد جوانب الاعجاز فى القرآن الكريم وعدم توقفها أو اقتصارها على النظم ، وهو يرمى من وراء ذلك الكذب والانكار أن ينتهى الى أن القرآن ليس معجزا .

٤ - **وقالوا** : إن القرآن قد حرف وبدل ، واستدلوا لذلك بمثل قوله تعالى : ﴿ **ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾[٣] وقوله تعالى : ﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون** ﴾[٤] وادعوا أن جزءا من القرآن قد ضاع

---

(١) الاسلام فى مواجهة الاستشراق ص ١٠ .

(٢) القرآن والمبشرون ص٣٢٨ .

(٣) البقرة ١٠٦ .

(٤) النحل ١٠١ .

من سورة الأحزاب كان مكتوبا فى ورقة فأكلها جدى ، كما ذكر تيمو ثاوس أسماء سور لأساس لها من كتاب الله وهى سور الخلع والحفد والنورين ، وقد أخذ هذه الأسماء من أدعية قنوت[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

٥ - **وقالوا** : إن آيات القرآن يناقض بعضها بعضا فى اللفظ ، أو فى المعنى ، وضربوا لذلك أمثلة - لأساس لها من الصحة كما سيتبين بعد - كقولهم إن الآية ١٥ من سورة يونس - وهى قوله تعالى : ﴿ **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع الا مايوحى الى ، انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم** ﴾[3] ـ تتناقض مع الآية ١٠١ من سورة النحل - وهى قوله تعالى : ﴿ **واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون** ﴾[4] - والآية ١٠٦ من سورة البقرة - وهى قوله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير** ﴾[5] - تتناقض مع الآية ٢٧ من سورة الكهف - وهى قوله تعالى :﴿ **وأتل ماأوحى اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا** ﴾[6] - والآية ٩ من سورة الحجر - وهى قوله تعالى : ﴿ **انا نحن نزلنا الذكر وانا له**

---

(١) كقوله صلى الله عليه وسلم « نشكرك ولانكفرك ونخلع وتترك من يكفرك ، اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد » . . .

(٢) رد مفتريات على الاسلام ص٢ ١٠ .

(٣) يونس ١٥ .

(٤) النحل ١ ١٠ .

(٥) البقرة ٦ ١٠ .

(٦) الكهف ٢٧ .

لحافظون ﴾[1] – تتناقض مع الآية ٣٩ من سورة الرعد – وهى قوله تعالى : **﴿ يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾**[2] .

وهكذا : الآية ٤ من سورة السجدة تتناقض مع الآية ٤ من سورة المعارج والآية ١ من سورة البلد مع الآية ٣ من سورة التين ، والآية ٤٤ من سورة الزمر والآية ٤ من سورة السجدة مع الآية ٣ من سورة يونس ، والآيتان ١٣ ، ١٤ من سورة الواقعة تتناقضان مع الآيتين ٣٩ / ٤٠ من سورة الواقعة ، والآية ٨٥ من سورة الحجر تتناقض مع الآية ٧٢ من سورة التوبة ، والآية ٢٧٤ من سورة البقرة تتناقض مع الآية ٢٨ من سورة التوبة ، والآية ٤٧ من سورة الاحزاب تتناقض مع الآية ٦٥ من سورة الأنفال ، والآية ٢٠ من سورة آل عمران تتناقض مع الآية ٨٩ من سورة النساء ، الى غير ذلك من الأمثلة[3] التى تتشابه جميعها فى القيام على أساس واحد وهو الجهل وعدم المعرفة ، أو العلم المكتوم بالحقد والكراهية أو هما معا . ومن التناقض فى المعانى مايقوله العقاد عن هؤلاء الأعداء : « قرآنا لبعضهم أخيرا كتابا عن الشيطان يلم فيه بصفة ابليس فى الاسلام ويستغرب فيه – من هذا الدين – أن يقول عن الله انه امر الملائكة بالسجود لآدم مع أنه الدين الذى اشتهر بغاية التشدد فى انكار الشرك وتكفير كل ساجد لغير الله . . . »[4] .

٦ – **وقالوا** :ان فى القرآن أخطاء كثيرة ، وأنه يتعارض مع العلم واستشهدوا

---

(١) الحجر ٩ .

(٢) الرعد ٣٩ .

(٣) رد مفتريات على الاسلام ص٣٧ .

(٤) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ص٢٧٦ .

لذلك بأمثلة منها : .

أ – ماذكره فردريك بلس من أن القرآن الكريم لم يفرق بين مريم والدة عيسى عليه السلام بين مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون ، يقول بلس : « خاطب القرآن مريم على لسان قومها بعد أن ولدت عيسى و لم يكن لها زوج بقوله ﴿ **ياأخت هارون ماكان أبوك إمرأ سوء وماكانت أمك بغيا** ﴾[1] ثم أنه قال : كيف تكون مريم أخت موسى التى عاشت قبل المسيح بألف وأربعماءة سنة هى أم المسيح »[2] .

ب – قول تيمو ثاوس : جاء فى القرآن فى سورة الكهف عند الحديث عن ذى القرنين قوله : ﴿ **حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما** ﴾[3] وعلق المجلس الملى القبطى على ذلك مستغربا ومستنكرا : « الشمس تغيب فى البئر » ! ! وقال البيضاوى إن الاسكندر الأكبر رآها ورأى طينها وماءها وناسا عرايا حولها . . .[4] .

ج – ومن الأخطاء التاريخية قولهم : جاء فى سورة القصص : ﴿ **إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** ﴾[5] ، وجاء فى سورة غافر : ﴿ **وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب** ﴾[6] وهذا خطأ لأن الملك احشويروش ملك

---

(١) مريم ٢٨ .
(٢) التبشير والاستعمار ص٤١ .
(٣) الكهف ٨٦ .
(٤) رد مفتريات على الاسلام ص١٢٨ .
(٥) القصص ٨ .
(٦) غافر ٣٦ .

الفرس الذى جاء ذكره فى سفر استير كان له وزير يهودى يسمى هامان ، وعاش هذا الملك بعد فرعون بنحو ألف سنة وهذا هو خطأ القرآن فى نظرهم[1] .

د – ومن الأخطاء اللغوية – فى زعمهم – رفع اسم إن كقوله ﴿ **إن هذان لساحران** ﴾[2] ، ونصب الفاعل فى قوله ﴿ **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما . . .** ﴾[3] ونصب المضاف اليه فى قوله : ﴿ **ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى** ﴾[4] .

الى مثل ذلك من الأمثلة [5] التى تدل على جهل كامل باللغة العربية وأسرارها .

هـ – ومما زعموه من الأخطاء التشريعية : عدم التسوية بين المرأة والرجل فى الميراث وغيره ، واباحة الطلاق وتعدد الزوجات ، وقطع يد السارق حيث يصبح السارق بعد قطع يده عالة على المجتمع ، وتحريم المطلقة على زوجها حتى تنكح زوجا آخر[6] .

و – وأخطاء أخلاقية منها : اباحة الكفر عند الاكراه كقوله :﴿ **من**

---

(١) رد مفتريات على الاسلام ص١٥٨ .
(٢) طه :٦٣ .
(٣) البقرة ١٢٤ .
(٤) هود ١٠ .
(٥) انظر ذلك فى : رد مفتريات على الاسلام ص١٦٩ وما بعدها .
(٦) السابق ص١٧٤ .

كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا ﴾[1] .

ز – ومن الاخطاء العلمية فى زعمهم – ما جاء فى سورة لقمان من قوله تعالى : ﴿ **وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم** ﴾[2] وقال رجال المجلس الملى القبطى ان هذا يتعارض مع العلم فقد أثبت العلم أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة فكيف يقول القرآن إنها راسية وثابتة[3] .

٧ – وهناك مطاعن أخرى تأخذ صفة العموم كقول دى بوى : جاء القرآن للمسلمين بدين ولم يجئهم بنظريات[4] وتلقوا فيه أحكاما ولم يتلقول فيه عقائد[5] . وماقاله مرجليوت وطه حسين عن الشعر الجاهلى ثم تطبيق ذلك على القرآن[6] بما يبين أنه صورة للبيئة وانطباع لها أكثر من الشعر الجاهلى المنتحل .

وهكذا نجد الهجوم الصليبى اليهودى على القرآن الكريم من شتى الجوانب ، فى أصله ونزوله ، وفى أصالته وتقليده ، وفى اعجازه وانسانيته ، وفى بلاغته وفصاحته ، وفى ألفاظه ومعانيه ، وفى صحته وخطئه ، وفى سلامته وتناقضه وفى أحكامه وتشريعاته ، وفى مضمونه ومحتواه ، ولكنه – كما سنبين فى الفقرات التالية ان شاء الله – هجوم هش ومعركة خاسرة ، وسهام طائشة مردودة الى نحور أصحابها من الغزاة الحاقدين أعداء القرآن والمسلمين .

---

(١) النحل ٦ ١٠٦ .

(٢) لقمان ١٠ .

(٣) رد مفتريات على الاسلام ص ١٣٠ .

(٤) يريد – كما يقول العلمانيون – ان الدين خاص بالآخرة أما شئون الحياة والسياسة والاقتصاد والمجتمع فلها أنظمتها الخاصة التى تختلف من بيئة لأخرى ومن شخص لآخر وفق المصالح والمنافع .

(٥) القرآن والنبى ص ١٠٠ .

(٦) الظاهرة القرآنية ص٥٦ وانظر : الفكر الاسلامى الحديث ص١٨٦ /١٨٧ .

الفصل الثالث

تفنيد المطاعن السابقة والرد عليها

فى هذا الفصل نذكر المطاعن السابقة حسب ورودها فى الفصل السابق لنناقش كلا منها ونقيم الأدلة على زيفها وبطلانها فى الفقرات التالية : .

أولا : قولهم أن القرآن بشرى من عمل محمد وليس وحيا .

والرد على ذلك من عدة جوانب : .

أ – أن القرآن الكريم كان الدليل الذى قدمه النبى صلى الله عليه وسلم للمشركين لاثبات نبوته وصدق دعوته ، فدل ذلك على أنه كلام غير عادى ، وليس من عند محمد اذ لو كان عاديا أو من عند محمد لما صح أن يكون دليلا لأنه لايخرج عن كلامهم ولابد أن يكون الدليل شيئا آخر ، وقد أحس المشركون بذلك لولا عنادهم واستكبارهم وفى ذلك يقول الشيخ محمود شاكر : « ولم يكن من برهانه ولا مما أمر به أن يلزمهم الحجة بالجدال حتى يؤمنوا انما هو اله واحد ، وأنه هو لله نبى ، بل طالبهم بأن يؤمنوا بما دعاهم اليه ، ويقروا له بصدق نبوته ، بدليل واحد هو هذا الذى يتلوه عليهم من قرآن يقرؤه ولا معنى لمثل هذه المطالبة بالاقرار لمجرد التلاوة الا أن هذا المقروء عليهم كان هو فى نفسه آية فيها أوضح الدليل على أنه ليس من كلامه هو ولا من كلام بشر مثله ، ثم أيضا لا معنى لها البتة الا أن يكون كان فى طاقة هؤلاء السامعين أن يميزوا تمييزا واضحا بين الكلام الذى هو من نحو كلام البشر والكلام الذى ليس من نحو كلامهم . ثم انتقل الى

قضية التنجيم[1] فى نزول القرآن الكريم وابتدائه قليلا متباعدا ثم تكاثره وتتابعه ليبين أن قليله ككثيره فى الدلالة على أنه موحى به ، ودليل على نبوه حامله صلى الله عليه وسلم ، يقول :« وكان هذا القرآن ينزل عليه منجما ، وكان الذى نزل عليه يوئذ قليلا كما نعلم ، فكان هذا القليل من التنزيل هو برهانه الفرد على نبوته ، واذن فقليل ما أوحى اليه من الايات يومئذ ، وهو على قلته ومافيه من المعانى التى تنامت وتجمعت فى القرآن جملة كما نقرؤه اليوم منطو على دليل مستبين قاهر يحكم له بأنه ليس من كلام البشر ، وبذلك يكون دليلا على أن تاليه عليهم – وهو بشر مثلهم – نبى من عند الله مرسل »[2] .

وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « مامن نبى الا وأوتى من الآيات مامثله أمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحى الى ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة »[3] فالقرآن هو آيته تعالى فى الأرض ، آيته المعجزة من الوجه الذى كان به معجزا للعرب ولكل البشر وللثقلين جميعا . ومن هنا كان حقا على كل عاقل ، وعلى كل بليغ ، وعلى كل متذوق وعلى كل فاهم أن يقر وأن يعترف حيث لامناص له عن ذلك بأن القرآن وحى الله ، وآيته لخلقه ولا دخل لأى بشرية فيه لامن محمد ولا من غيره ، يقول الشيخ شاكر : لقد فات بيان القرآن طاقة بلغاء الجاهلية وكانت له خصائص ظاهرة تجعل كل مقتدر بليغ مبين ، وكل متذوق للبلاغة والبيان لايملك الا الاقرارله بأنه من غير جنس مايعهده سمعه وذوقه ، وأن

---

(١) التنجيم أى نزول القرآن منجما أى مفرقا على دفعات على مدى ثلاثة وعشرين عاما مابين آيات الى سور حتى اكتمل نزوله قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقليل .

(٢) مقدمة الظاهرة القرآنية ص٢١ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٢ ص١٨٦ ، السراج الوهاج جـ١ ص١٢٦ .

مُبلغه الى الناس نبى مرسل ، وأنه لايطيق أن يختلقه أو يفتريه لأنه بشر لايدخل فى طوقه الا مايدخل مثله فى طوق البشر ، وأنه ان تقول غير ما أمر بتبليغه وتلاوته بان للبشر كذبه ، وحق عليه قول منزله من السماء سبحانه :﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾[1] .

ب – أن نزوله منجما – فى ثلاثة وعشرين عاما– على حسب الغايات الربانية ، ولأهداف التربوية – على الرغم من حاجة النبى صلى الله عليه وسلم لنزوله قبل ذلك أو فى وقت أسرع – دليل على أنه وحى يوحى ، يمضى حسب المشيئة الالهية وليس الأهداف والرغبات الشخصية ، وكم من مرة كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى حاجة ماسة لنزول الوحى فيتأخر عنه ، وكم من مرة نزل على غير مايحب ويتوقع ، يقول الدكتور دراز[2] : بل كان يأتى أحيانا على خلاف مايحبه النبى صلى الله عليه وسلم ويريده ، فيخطئه فى الرأى ، ويأذن له فى الشىء لايميل اليه ، فاذا تلبث فيه يسيرا تلقاه القرآن بالتعنيف الشديد ، والعتاب القاسى ، والنقد المر ، كقوله تعالى : ﴿ **يأيها النبى لم تحرم ماأحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم * قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم** ﴾[3] .

وقد وضح ذلك الدليل بشىء من التفصيل الأستاذ مالك بن نبى فى حديثه عن الخصائص الظاهرية للوحى وتطبيقها على القرآن . ومن هذه الخصائص التنجيم فقال : « يضم الوحى فى مجموعه ثلاثة وعشرين عاما ،

---

(١) الحاقة ٤٤ – ٤٧ .
(٢) النبأ العظيم : ص٢٥ .
(٣) التحريم : ١ /٢ .

فهو لايكون ظاهرة مؤقته أو خاطفة ، ولقد نزلت الآيات منجمة بين كل وحى ومايليه مدة انقطاع تتفاوت طولا وقصرا ، ولقد ينقطع الوحى مدة أطول مما ينتظره النبى وبخاصة عندما يلزمه أن يتخذ قرارا يعتقد أن من الواجب ألا يصدره قبل تصديق السماء عليه ، وأوضح مثال على ذلك موقفه ازاء قرار الهجرة فلقد غادر أصحابه مكة فارين بدينهم بينما كان يعتقد أنه لابد فيما يتعلق بشخصه ان ينتظر أمرا صريحا من الوحى ، ومثال آخر : عندما كان الأمر بالنسبة له يحتم اتخاذ قرار فى موقف محير مريب ، بينما ينتظر – على أحر من الجمر– وحى الله الحاسم ، ولقد تعرض النبى صلى الله عليه وسلم لمثل هذه الحيرة فى حادثة الإفك[1] التى لم يفصل فيها الوحى الا بعد شهر من الانتظار على مضض . . . [2] وهكذا كان ينزل القرآن الكريم وفق المشيئة الالهية ولتحقيق الغايات التربوية فى المناسبات والنوازل بالرسول والأمة فى مدى ثلاثة وعشرين عاما يعزز الجهود ويثبت الأفئدة ويواسى المصابين ويبشر الصابرين ، ويشد من أزر المجاهدين ، يقول مالك بن نبى : « وكلما كان الاسلام ينتشر فى ربا الحجاز ونجد كان الوحى يتنزل بالدرس الضرورى فى المثابرة والصبر والاقدام والاخلاص يلقنه أولئك الأبطال الأسطوريين ، أبطال الملحمة الخارقة . . . ولو أن القرآن كان قد نزل جملة واحدة لتحول سريعا الى كلمة مقدسة خامدة ، والى فكرة ميتة ، والى مجرد وثيقة دينية لامصدرا يبعث الحياة فى حضارة وليدة ، فالحركة التاريخية والاجتماعية والروحية التى نهض بأعبائها الاسلام لاسر لها الا فى هذا التنجيم[3] وفى هذا كله يقول الله تعالى : ﴿ **وقال الذين كفروا لولا**

---

(١) انظر الآيات من ١١– ٢٦ من سورة النور ، وانظر : لباب النقول فى أسباب النزول وتفسير ابن عطية جـ ١٠ ص٤٤٩– ٤٧٥ وعون البارى لحل أدلة صحيح البخارى جـ٤ ص ٢٢٠– ٢٣٧ وغيرها .

(٢) الظاهرة القرآنية ص ٢٢٠ ، والنبأ العظيم ص٢٤ .

(٣) الظاهرة القرآنية ص٢٢٢ .

أنزل عليه القرآن جملة واحدة ، كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾[1] .

جـ – الوحدة الكمية فى القرآن الكريم ، وهذا دليل آخر من أدلة الوحى وذلك أنه على الرغم من نزول القرآن منجما كما أشرنا من قبل ، الا أن بين آياته كلها وآيات السورة الواحدة ، والسورة مع السور الأخرى ترابطا وانسجاما لايستطاع لعبقرية بشرية ، ويعرض علينا الدكتور دراز نماذج متعددة من هذه الوحدة سواء منها فى القطعة الواحدة (الجملة) من القرآن مع غيرها منه ، أو فى السورة الواحدة مع آياتها أو فى السور جميعها مع بعضها البعض او فى القرآن كله من أوله الى آخره ، ونكتفى هنا بهذه الفقرة من كلامه فى هذا المعنى . يقول رحمه الله : « فان كنت قد أعجبك من القرآن نظام تأليفه البيانى فى القطعة منه حيث الموضوع واحد بطبيعته ، فهلم الى النظر فى السورة منه حيث الموضوعات شتى والظروف متفاوتة لترى من هذا النظام ماهو ادخل فى الاعجاب والاعجاز ، ألست تعلم أن ما امتاز به أسلوب القرآن من اجتناب سبل الاطالة والتزام جانب الايجاز – بقدر مايتسع له جمال اللغة – قد جعله هو أكثر الكلام افتنانا ، نعنى أكثره تناولا لشئون القول وأسرعه تنقلا بينها من وصف الى قصص الى تشريع الى جدل الى ضروب شتى ، بل جعل الفن الواحد منه يتشعب الى فنون ، والشأن الواحد فيه تنطوى تحته شئون وشئون ، أو لست تعلم أن القرآن – فى جل أمره – ماكان ينزل بهذه المعانى المختلفة جملة واحدة ، بل كان يتنزل بها آحاد مفرقة على حسب الوقائع والدواعى المتجددة ، وأن هذا الانفصال الزمانى بينها والاختلاف الذاتى بين دواعيها كان بطبيعته مستتبعا لانفصال الحديث عنها على ضرب من الاستقلال والاستئناف لايدع بينها منزعا للتواصل

---

(١) الفرقان ٣٢ /٣٣ .

والترابط ، ألم يكن هذان السببان قوتين متظاهرتين على تفكيك وحدة الكلام ، وتقطيع أوصاله ، اذا أريد نظم طائفة من تلك الآحاديث فى سلك واحد تحت اسم سورة واحدة . . . وسبب ثالث كان أجدر أن يزيد نظم السورة تفكيكا ، ووحدتها تمزيقا ، ذلك هو الطريقة التى اتبعت فى ضم نجوم القرآن بعضها الى بعض ، وفى تأليف وحدات السور من تلك النجوم ، وانها لطريقة طريفة سنريك فيها العجيبة الثالثة الكبرى التى خرجت بهذا التأليف القرآنى عن طبيعة التأليف الانسانى »[1] .

ويوضح الأستاذ مالك بن نبى هذا فيما عنون له بالخصائص الظاهرية للوحى وهى : التنجيم ، والوحدة الكمية فيقول : الوحى ظاهرة منجمة فهو فى أساسه متفاصل شأن مجموعة عددية ، وهذه الخاصة توحى الينا بفكرة الوحدة الكمية ، فكل وحى خاص يضم وحدة جديدة الى المجموعة القرآنية ، بيد أن هذه الوحدة القرآنية ليست ثابتة ، فهى لاتماثل الوحدة التى تزيد فى مجموعة الأعداد حين يضاف واحد الى ثلاثة أو أربعة أو خمسة ليؤدى الى الوحدة العددية التالية ، فان للوحى مقياسا متغيرا هو كميته أو سعته تلك السعة التى تتراوح بين حد أدنى هو الآية وحد أقصى هو السورة وتأمل هذه الوحدة يتيح لنا بعض الملاحظات المفيدة عن العلاقة بين الذات المحمدية والظاهرة القرآنية اذ هى تتناسب فى الزمن مع الحالة الخاصة التى سميناها« حالة التلقى » عند النبى ﷺ ولقد رأينا بصفة خاصة أن ارادته تنعدم مؤقتا اذ هو عاجز فى تلك اللحظات عن أن يغطى وجهه المحتقن المنفصد عرقا ، فعن هذه الذات العاجزة فجأة – وللحظات – تصدر وحدة التنزيل وفى هذة الذات الغارقة فى حالة لاشعورية تقريبا يطبع الوحى فجأة فقراته الوجيزة . . . هذه الوحدة تؤدى بالضرورة فكرة واحدة ، وأحيانا

---

(١) النبأ العظيم ص ١٥٠ــ ١٥٣ .

مجموعة من الفكر المنتظمة فى أسلوب منطقى يمكننا ملاحظته فى آيات القرآن ، ودراسة هذه الفكر فى ذاتها وفى علاقتها ببقية حلقات السلسلة تكشف عن قدرة خالقه ومنظمه لايمكن أن تنطوى عليها الذات المحمدية فى تلك الظروف النفسية الخاصة بحالة تلقيها الوحى ، بل حتى فى ظروفها الطبيعية . . .[1] . . » .

ويؤكد الدكتور دراز هذا المعنى بالنظر فى أى آية من آيات القرآن أو سورة من سوره فيقول : « أعمد الى سورة من تلك السور التى تتناول أكثر من معنى واحد ، وما أكثرها فى القرآن فهى جمهرته ، وتنتقل بفكرتك معها مرحلة مرحلة ، ثم ارجع البصر كرتين : كيف بدئت وكيف ختمت ؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت ؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت ؟ وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها اولاها لأخراها ، وانا لك زعيم بأنك لن تجد البتة فى نظام معانيها أو مبانيها ماتعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت فى نجم واحد أم فى نجوم شتى . . .[2] ، ثم يتعجب ويستنكر كيف يوجد بعد هذا النظام البديع والترتيب المعجز من يقول أنه بشرى ؟ وكيف يكون عاقلا أو فاهما بعد اطلاعه على هذا النسيج العجيب من يقول انه انسانى ؟ ومتى وأين وجدنا انسانا لديه مثل هذه القدرة على هذا العمل العظيم ؟ حاشا لله أن يكون من عند غير الله . يقول : « أى تدبير محكم ، وأى تقدير مبرم ، وأى علم محيط لايضل ولاينسى ولايتردد ولايتمكث كان قد أعد لهذه المواد المبعثرة نظامها وهداها فى ابان تشتيتها الى ماقدره لها حتى صيغ منها ذلك العقد النظيم ، وسرى بينها هذا المزاج العجيب ؟ سبحان الله . هل يمترى عاقل فى أن هذا العلم البشرى ، وأن هذا الرأى الآنف[3]

---

(١) الظاهرة القرآنية باختصار ص٢٢٣ .

(٢) النبأ العظيم ص١٥٤ .

(٣) أنف كل شيء أوله أى أن هذا الرأى مغرق فى البدائية والجهل .

البدائى الذى يقول فى الشىء : لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لقلت أو فعلت أوقدمت أو أخرت ، لم يك أهلا لأن يتقدم الزمان ويسبق الحوادث بعجيب هذا التدبير ، أليس ذلك وحده آية بينة على أن هذا النظم القرآنى ليس من وضع بشر ، وانما هو صنع العليم الخبير ؟ ؟ بلى .[1] ولو كان من عهد غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »[2] .

أما الأستاذ مالك بن نبى فيسوق أمثلة لهذه الوحدة الكمية منها الوحدة التشريعية فى سورة النساء ، والوحدة التاريخية فى سورة المنافقون .

د – ومن الأدلة على أن القرآن وحى الهى لاصنع بشرى ولا عمل محمدى أسلوب القرآن الكريم وصوره الأدبية العالية ، ذلك الأسلوب القرآنى الفريد المتميز الذى فاق جميع الأساليب العربية المعروفة وغير المعروفة ابان نزوله مما جعل أصحاب البلاغة وأساطين الفصاحة يتحيرون معه فلا هو شعر مثل أشعارهم ولا رجز ولا سجع ولا نثر ، انه غير ذلك كله وأعظم من كل ذلك الأسلوب الذى استحوذ على اعجاب الماضين والحاضرين ، وكل من يسمعه رغم التقدم العلمى الكبير الذى لم يعد يحفل بالصور والأساليب الأدبية والتعبير البيانى ، يقول الدكتور دراز : « أما الأسلوب القرآنى فانه يحمل طابعا لايلتبس معه بغيره ، ولا يجعل طامعا يطمع أن يحوم حول حماه ، بل يدع الأعناق تشرئب اليه ثم يردها ناكسة الأذقان على الصدور ، كل من يرى بعينين أو يسمع بأذنين اذا وضع القرآن بازاء غير القرآن فى كفتى ميزان ثم نظر باحدى عينيه ، أو استمع بإحدى أذنيه الى أسلوب القرآن ، وبالأخرى الى أسلوب الحديث النبوى[3] وأساليب سائر الناس ، وكان قد

---

(١) النبأ العظيم ص١٥٧ .

(٢) النساء ٨٢ .

(٣) رغم أن صاحبه صلى الله عليه وسلم قد أوتى جوامع الكلم .

رزق حظاما من الحاسة البيانية والذوق اللغوى فانه لامحالة سيؤمن معنا بهذه الحقيقة الجلية وهى أن أسلوب القرآن لايدانيه شيء من هذه الأساليب كلها ، ونحسب أنه بعد الايمان بهذه الحقيقة لن يسعه إلا الايمان بتاليتها استدلالا بصنعة ﴿ **ليس كمثلها شيء** ﴾ على صانع ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[1] .

وهكذا يؤكد أسلوب القرآن الفريد وتميزه العجيب وتفوقه على كل الاساليب أنه صنع الله ووحيه ، وليس للصنعة البشرية أى موضع فيه . يقول الاستاذ مالك بن نبى « إن القرآن يؤكد صراحة سمو بيانه الذى أعجز به العبقرية الأدبية فى عصره حين قذف فى وجوه معاصريه بهذا التحدى المذهل ﴿ **وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين** ﴾[2] . ولم يذكر التاريخ أن أحدا قد أجاب على هذا التحدى .

وبهذا يمكن أن نستخلص أنه قد ظل دون تعقيب ، وأن اعجازه الأدبى قد أفحم فعلا عبقرية ذلك العصر[3] ليس ذلك العصر فحسب بل جميع العصور وكل العبقريات والانس والجن الى يوم القيامة .

هـ – ودليل آخر على أن القرآن وحى الله لاعمل محمد وذلك هو مضمون الرسالة الذى احتواه القرآن الكريم فى وضوح وشمول وايجاز واطناب ، واجمال وتفصيل ، ذلك الشمول التام لمفردات الاسلام وكلياته من عقائد وعبادات وتشريع وأخلاق ومعاملات وقصص وحكم وأمثال وحلال وحرام وترغيب وترهيب وعلوم وتاريخ وأخبار ماضيه وحاضره

---

(١) الشورى ١١ ، والنبأ العظيم ص . ١٠ .

(٢) البقرة ٢٣ .

(٣) الظاهرة القرآنية ص٢٣٢ .

ومستقبله ، هذا كله وغيره لم يكن لنا أن نعرفه لولا حديث القرآن الكريم عنه ذلك الحديث القديم الجديد الذى لايشبع منه العلماء ولاتنقضى عجائبه ، يقول الأستاذ مالك بن نبى : « ان رحابة الموضوعات القرآنية وتنوعها لشىء فريد طبقا لتعبير القران نفسه ﴿ **مافرطنا فى الكتاب من شىء** ﴾[1] فهو يبدأ حديثه من ذرة الوجود المستوعة باطن الصخر والمستقرة فى أعماق البحار ، كقوله تعالى : ﴿ **يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير** ﴾[2] – الى النجم الذى يسبح فى فلكه نحو مستقره المعلوم – كقوله تعالى : ﴿ **لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون** ﴾[3] وهو يتقصى أبعد الجوانب المظلمة فى القلب الانسانى فيتغلغل فى نفس المؤمن والكافر بنظرة تلمس أدق الانفعالات فى هذه النفس وهو يتجه نحو ماضى الانسانية البعيد ، ونحو مستقبلها ، كما يعلمها واجبات الحياة ، وهو يرسم لوحة أخاذة لمشهد الحضارات المتتابع ثم يدعونا الى أن نتأمله لنفيد من عواقبه عظة واعتبارا ، وأن درسه الأخلاق لهو ثمرة نظرة نفسية متعمقة فى الطبيعة البشرية تصف لنا النقائص التى ينهى عنها وينفر منها ، والفضائل التى يدعو الى التآسى بها من خلال حياة الأنبياء ، أولئك الأبطال والشهداء فى سجل ملحمة السماء ، وعلى هذا الأساس يدفع القرآن المؤمن الى الندم الصادق حين يعده بالغفران ، أساس التربية الجزائية فى الأديان السماوية . . . [4] .

و – ودليل آخر على أن القرآن وحى من الله تعالى لا صنعة لأحد فيه

---

(١) الأنعام ٣٨ .

(٢) لقمان ١٦ .

(٣) يس : ٤٠ .

(٤) الظاهرة القرآنية باختصار ص ٢٣٧ .

ذلك الأثر البالغ والتأثير العميق الذى يتركه القرآن الكريم فى قلوب كل من يقرأه أو يستمع اليه ، والشواهد على ذلك كثيرة فى الماضى والحاضر مما يؤكد أن القرآن الكريم كان ومايزال وسيظل وراء اسلام آلاف والملايين ، ولولا العناد والاستكبار لآمن به كل من سمعه وفقه ما يدعو اليه . لقد بكى النجاشى حين استمع اليه من جعفر بن أبى طالب فى أعقاب الهجرة الى الحبشة ، وقال قولته المشهورة : « أن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة » وكان سببا فى اسلامه فور وصول كتاب النبى صلى الله عليه وسلم . . .[1] ولما قرأ النبى ﷺ بعضه على الوليد بن المغيرة – وهو الذى جاء لاغراء النبى ﷺ ببعض المغريات لعله يرجع عن دعوته – ارتد الى قومه وهو يقول : « والله لقد سمعت كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ، وان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وانه يعلو ولا يعلى عليه » وقال عتبة بن ربيعة لقومه بعد أن استمع من النبى ﷺ لجزء من سورة فصلت : ياقوم أطيعونى فى هذا الأمر اليوم ، وأعصونى فيما بعد ، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاما ماسمعت أذناى كلاما مثله ، وما دريت ماأرد عليه[2] ، وقال توماس كارليل فى كتابه « الأبطال » عن القرآن : « هذا صدى متفجر من قلب الكون نفسه » يقول مالك بن نبى فى تعليقه على ذلك : وفى هذه الصرخة الفلسفية نجد أكثر من فكرة جافة لمؤرخ ، نجد بعض مايشبه الاعتراف التلقائى لضمير انسانى سام بهت أمام عظمة الظاهرة القرآنية ، وان العقل الانسانى ليقف فعلا حائرا أمام رحابة القرآن وعمقه . . . ويضيف : أنه لو أتيح لأحد من الناس أن يقرأ القرآن قراءة واعية يدرك خلالها رحابة موضوعه ، فلن يمكنه أن يتصور الذات المحمدية الا مجرد واسطة لعلم غيبى مطلق . .[3] .

---

(١) خاتم النبيين جـ١ ص٤٩٦ .

(٢) خاتم النبيين جـ١ ص ٤٧٠ .

(٣) الظاهرة القرآنية ص٢٣٨ .

وهكذا يكون تأثير القرآن الكريم باعتراف الأعداء دليلا على أنه وحى وأنه غير بشرى .

ز – التحدى القائم الى يوم القيامة : فنحن نعلم أن الله تعالى تحدى العرب أن يأتوا بمثل القرآن إن كان بشريا أو كان محمد كاذبا فعجزوا ، فسهل عليهم الأمر وتحداهم أن يأتوا بعشر سور من مثله فعجزوا فسهل عليهم الأمر أكثر وتحداهم ان يأتوا بسورة واحدة من مثلة فعجزوا ، فثبت من ذلك أنه ليس من كلام البشر والا لاستطاعوا اليه سبيلا لتوفر كل الأسباب الدعية الى ذلك عندهم فعجزهم هذا المطبق دليل على أنه وحى يوحى ، يقول الشيخ شاكر : « ظل رسول الله ﷺ بمكة ثلاثة عشر عاما ، والمسلمون قليل مستضعفون فى أرض مكة ، وظل الوحى يتتابع وهو يتحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، ثم بعشر سور مثله مفتريات ، فلما انقطعت قواهم ، قطع الله عليهم وعلى الثقلين جميعا منافذ اللدود والعناد فقال : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾[1] وكذلك كان فكان هذا البلاغ القاطع الذى لامعقب له هو الغاية التى انتهى اليها أمر هذا القرآن ، وأمر النزاع فيه ، لابين رسول الله ﷺ وبين قومه من العرب فحسب ، بل بينه وبين الإنس والجن مجتمعين متظاهرين ، وهذا البلاغ الحق الذى لامعقب له من بين يديه ولا من خلفه هو الذى اصطلحنا عليه فيما بعد وسميناه « إعجاز القرآن »[2] . وإعجاز القرآن هذا هو دليل النبى ﷺ على صدق نبوته وعلى أنه رسول من الله يوحى اليه هذا القرآن ، وأن النبى ﷺ كان يعرف اعجاز القرآن من الوجه الذى عرفه منه سائر من آمن به من قومه العرب . . . الى أن يقول :

---

(١) الاسراء ٨٨ .

(٢) مقدمة الظاهرة القرآنية ص٢٤ وانظر أيضا النبدا العظيم ص٤٤ ، ٨٨ .

فالقرآن المعجز هو البرهان القاطع على صحة النبوة ، أما النبوة فليست برهانا على اعجاز القرآن .[1] .

حـ – ومن الأدلة على أن القرآن وحى الهى لاعمل بشرى أنه صحح العقائد الالهيه ، فقد كانت العقيدة فى الله قبل القرآن الكريم يشوبها الكثير من الشرك والانحراف عن التوحيد حتى جاء رسول الله ﷺ بالقرآن من عند الله فأبطل الباطل وأتم الناقص ، وأقام المعوج حتى استقامت عقيدة التوحيد كما لم تكن من قبل وذلك دليل على أن القرآن وحى من عند الله ، فلم يكن لمحمد ﷺ ولا لغيره لولا الوحى الالهى أن يقوم بذلك ، يقول الأستاذ العقاد رحمه الله : « فالله رب العالمين ، مالك يوم الدين ، لم يكن نسخة محرفة من صورة الله فى عقيدة من العقائد الكتابية بل كان هو الأصل الذى يثوب اليه من ينحرف عن العقيدة فى الاله كأكمل ماكانت عليه ، وكأكمل ماينبغى أن يكون ومن ثم كانت هذه العقيدة الالهية فى الاسلام مصححة متممة لكل عقيدة سبقتها فى مذاهب الديانات ، أو فى مذاهب الفلسفة ، ومباحث الربوبية ، فهى عقيدة كاملة صححت وتمت عقيدة الهند فى : الكارما والنرفانا[2] ، لأنها عقيدة فى خواء أو فناء مسلوب الذات لاتجاوب بينه وبين أبناء الحياة ، وهى عقيدة كاملة صححت وتممت عقيدة المعلم الأول أرسطو بين فلاسفة الغرب الأقدمين ، لأنه كان على خطأ فى فهم التجريد والتنزيه ، ساقه هذا الخطأ الى القول بكمال مطلق كالعدم المطلق فى التجرد من العمل والتجرد من الارادة ، والتجرد من الروح ، ودين يصحح العقائد الالهية ويتممها فيما سبقه من ديانات الامم وحضاراتها

---

(١) مقدمة الظاهرة القرآنية ص١٧ــ ١٨ باختصار .

(٢) صورتان من صور التنزيه للاله عند الهنود القدماء ، وهما بالمعانى الذهنية أشبه منهما بالكائنات الحية ، واحداهما ــ وهى النرفانا ــ الى الفناء أقرب منها الى البقاء ، انظر : حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ص٤٤ .

ومذاهب فلاسفتها – تراه من أين أتى ؟ ومن أى رسول كان مبعثه ومدعاه ؟ من صحراء العرب ، ومن الرسول الأمى بين الرسل المبعوثين بالكتب والعبادات ان لم يكن هذا وحيا من الله فكيف يكون الوحى من الله ؟ ليكن كيف كان فى أخلاد المؤمنين بالوحى الالهى حيث كان ، فما يهتدى رجل أمى فى أكناف الصحراء الى ايمان بالله أكمل من كل ايمان تقدم الا أن يكون ذلك وحيا من الله ، وانه لحجر على البصائر والعقول أن تنكر الوحى على هذه المعجزة العليا لأنه لايصدق عليها فى صورة من صور الحدس والخيال[1] .

اذا تصحيح العقيدة فى الله بهذا الشكل التوحيدى النقى الذى صحح اعوجاج العقائد السابقة وأتم نقصانها لايستطيعه شخص أمى من بيئة صحراوية ، ولا عبقرى من بيئة حضارية ، فلم يكن لهذا ولا ذاك أن يصل الى هذا الكمال الذى لم يعرف الا من القرآن الا عن طريق الوحى الالهى ، فنحصل من ذلك أن القرآن الذى صحح هذه العقائد الالهية لابد أن يكون وحيا ويستحيل أن يكون غير ذلك ، فالذى جاء به لم يسبق اليه ، ولن يلحق فيه ، ويضيف الدكتور دراز أن الاسلام والقرآن لم يصححا عقيدة التوحيد فحسب ، بل انه « يشرح حدود الايمان مفصلة ، ويصف لنا بدء الخلق ونهايته ، ويصف الجنة وأنواع نعيمها ، والنار وألوان عذابها كأنهما رأى العين ، حتى أنه ليحصى عدة الأبواب وعدة الملائكة الموكلة بتلك الأبواب . . . ثم يخبر عن مستقبل الاسلام فى نفسه ، وفى شخص كتابه ونبيه ، وعن مستقبل حزب الله وحزب الشيطان . . .[2] .

طـ – أمية النبى ﷺ ، وهذا دليل آخر على القضية التى نحن بصددها

---

(١) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ص٥٤ / ٥٥ .

(٢) انظر : النبأ العظيم ص ٤٠ ، ٤٢ .

وهى اثبات أن القرآن وحى الهى لاعمل بشرى محمدى . فقد كان رسول الله ﷺ بشهادة الجميع أميا لا يقرأ ولا يكتب فكيف لأمى لايعرف القراءة ولا االكتابة أن يؤلف مثل هذا الصرح العظيم بل أقل منه ملايين الدرجات ، هذا فضلا عما تضمنه القرآن الكريم من تاريخ الماضى السحيق الذى لايعرفه العلماء المتخصصون فكيف بالأميين ، وكذلك الاخبار عن المستقبل والعلماء لم يستوعبوا الحاضر بعد ، وما اشتمل عليه القرآن من حقائق علمية لم يعرفها المتخصصون منذ بضع سنوات ومازال بعضها غير معروف ، فكيف بأمى فى أمة أمية يعرف ذلك لو لم يكن وحيا ، والمتتبع لمؤتمرات الاعجاز العلمى فى القرآن الكريم يعرف الكثير من ذلك الذى أشار القرآن الكريم اليه منذ نزوله و لم يعرفه العلماء الا هذه الأيام ، وقد اندهش الكثيرون منهم لما وجدوا ذلك فى القرآن الكريم وآمن بعضهم ولولا الكبر والعناد لآمن الآخرون ، هذا بالاضافة الى مافى القرآن الكريم من الأحكام التشريعية العظيمة والأخلاق الفاضلة الكريمة ، من كل مايحفظ للانسانية أمنها وسلامتها وسعادتها ، فكيف بمحمد الأمى يعرف كل ذلك لو لم يكن القرآن الكريم وحيا الهيا ؟ يقول الدكتور دراز : « فلينظر العاقل هل كان هذا النبى الأمى صلوات الله عليه أهلا بمقتضى رسائله العلميه لأن تجيش نفسه بتلك المعانى القرآنية ؟ سيقول الجهلاء من الملحدين : نعم ، فقد كان له من ذكائه الفطرى ، وبصيرته النافذة مايؤهله لادراك الحق والباطل من الآراء ، والحسن والقبيح من الأخلاق ، والخير واالشر من الأفعال ، حتى لو أن شيئا فى السماء تناوله الفراسة أو تلهمه الفطرة ، أو توحى به الفكرة لتناوله محمد بفطرته السليمه وعقله الكامل ، وتأملاته الصادقة ، ونحن قد نؤمن بأكثر مما وصفوا من شمائله ﷺ ولكننا نسأل : هل كل مافى القرآن مما يستنبطه العقل والتفكير ، ومما يدركه الوجدان والشعور ؟ اللهم كلا ، ففى القرآن جانب كبير من المعانى النقلية البحتة التى لامجال فيها للذكاء والاستنباط ، ولاسبيل الى علمها

لمن غاب عنها الا بالدراسة والتلقى والتعلم »[1] وفى ذلك كله يقول الله تعالى :﴿ **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى الى صراط مستقيم** ﴾[2] ويقول سبحانه :﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون** ﴾[3] ويقول عز وجل :﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم من آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة . وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾[4] ويقول تعالى :﴿ **فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾[5] ويقول الشاعر : .

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

ى – أضاف الاستاذ مالك بن نبى كثيرا من الأمور التى تدل كل منها – فضلا عن جميعها – على أن القرآن وحى من عند الله تعالى وليس بشريا من عمل محمد منها : ارهاص القرآن : أى أخباره عن بعض أحوال المستقبل فجاءت فيما بعد كما أخبر القرآن كقوله تعالى :﴿ **انا سنلقى عليك قولا ثقيلا** ﴾[6] والقرآن لم يكن ثقيلا فى بداية نزوله ونجومه ولكن أصبح كذلك بعد اكتماله ووفاة النبى ﷺ ، وهو ثقل الفكرة الدينية والايمان وليس مجرد القرآن فقد حفظه الله تعالى ويسره للذكر ، ومنها تصدير أو ختم بعض الموضوعات والقصص القرآنية بالاشارة الى أن مقصصناه عليك

---

(١) النبأ العظيم ص٣٦ .
(٢) الشورى ٥٢ .
(٣) العنكبوت ٤٨ .
(٤) الجمعة ٢ .
(٥) الأعراف ١٥٨ .
(٦) المزمل ٥ .

من أنباء الغيب كقوله تعالى :﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين** ﴾[1] فى صدر قصة يوسف وقوله فى نهايتها :﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** ﴾[2] ومثل ذلك فى قصة مريم[3] وفى قصة نوح[4] وهكذا ومن ذلك : فواتح بعض السور ببعض الحروف المقطعة التى لامجال للعقل فيها .[5] ومنها المناقضات التى كانت تقع بين الميول والاتجاهات الطبيعية لدى النبى ﷺ وبين مايعتريه خلال تلقيه الوحى ، فمن ذلك قوله تعالى :﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه** ﴾[6] حيث صادرت الآية الكريمة ارادة النبى ﷺ فى الترديد والحفظ أثناء عملية الوحى ووعدته فى آية أخرى بالحفظ ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه**[7] ﴾ وبالاضافة الى هذه المناقضات كانت هناك الموافقات العديدة مع البحوث العلمية الحديثة كقوله تعالى :﴿ **أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها** ﴾[8] ، هذا التوافق الذى يخص شكل الأرض ودحو قطبيها ، تلك الخاصة المساحية التى أثبتها العلم الحديث عموما ، ويضاف الى ذلك المجاز القرآنى والقيم الاجتماعية التى جاء فيهما القرآن بما لايحصى[9] .

---

(١) يوسف ٣ .
(٢) يوسف ٢ ـ ١٠ .
(٣) آل عمران ٤٤ .
(٤) هود ٤٩ .
(٥) كأوائل سور : البقرة ، آل عمران ، الأعراف ، يونس ، هود ، يوسف ، الرعد ، ابراهيم ، الحجر ، مريم ، الطواسين ، الحواميم ، ق ، ن .
(٦) طه ١١١ .
(٧) القيامة ١٦ــ ١٩ .
(٨) الأنبياء ٤٤ .
(٩) بتصرف من الظاهرة القرآنية ص٣٢٥ــ ٣٦٠ .

ك – بقيت قضية أخرى تتعلق بادعاء « بشرية القرآن » وذلك بتفسير هذه الشرية من الجانب النفسى وهو « اللاشعور » وقد حلل الأستاذ مالك بن نبى هذه المقولة وأبطلها ، **أولا** : لغموضها ، **ثانيا** : لأنها فى أولها واللاشعور مهما اختلف عن الشعور فهو لا يخرج عن كونه نشاطا انسانيا نفسيا ، ولا علاقة له بالوحى ، يقول : « لعبه كلمة لاشعور دورا نظريا هاما فى تفسير الظاهرة القرآنية ، فاذا اردنا أن نفهم معنى هذا المصطلح فى نظريات علم النفس وجدناه فى منتهى الغموض ، فهو لايعنى شيئا محددا كما تعنى مثلا المصطلحات المعروفة كالتذكر والارادة ، أن نظرية « اللاشعور » ماتزال فى مرحلة نشوئها ومع ذلك فقد استخدموها لكى يفسروا لنا – كما يدعون – الظاهرة القرآنية بطريقة موضوعية ، ومن الصعب علينا أن نعتقد أن هؤلاء المؤلفين قد بذلوا أقل الجهد لكى يتفهموا الموضوع ، فمما لاشك فيه أن الذات الانسانية تحتوى على مجال معين تتكون فيه الظواهر النفسية الغامضة التى لاتخضع لسلطان الشعور كالأحلام مثلا ، فهذا المجال المظلم الذى تدوى فيه بعض طوارىء الحياة النفسية الشعورية فى الفرد ذو علاقة واضحة بالحالات الشعورية ، فلو أردنا لأطلقنا لفظ « لاشعور » على هذا المجال المظلم ، وجميع العمليات التى تتم فيه أشكال محورة خاصة لفكرة أو واقع مر بالشعور ، فيمتص اللاشعور هذه العناصر الشعورية ويودعها مخيلته لكى يقلبها غالبا الى رموز ، الى أحلام ، الى حديث نفسى ، الى الهام ، ولكن هذه الرموز تحتفظ بمعالم الفكرة أو الواقع الذى تولدت عنه ، لاشكل أن هذه العلاقة تتفاوت فى غوضها ، ولكن التحليل قد يكشف عنها ، اذ من الممكن أن نجد فى حلم أو كابوس الطريقة التى اتبعها « اللاشعور » فى صياغة رمزه بالرجوع الى حادث سابق تسبب فيه ، فهو حساسية خاطفة ، أو تذكار قاس ، أو هو راجع الى يسر الهضم أو عسره . . . الخ ، فاللاشعور يعمل هنا عمل المستقبل الكهربى بالنسبة للمولد الكهربى الذى هو الشعور ،

وعليه ففى هذا المجال الأخير يجب أن نلتمس دائما مصدر العمليات النفسية التى يصفونها باللاشعورية ، وعندما يتضح أن فكرة ما لاتخضع مطلقا للذات الشعورية فمن الممكن أن نفهم من هذا أنها بالضرورة أجنبية عن هذه الذات ، وأنه لامحل لها فى اللاشعور »[1] .

وهكذا يثبت الأستاذ مالك بن نبى أمرين : أولهما أن اللاشعور فى الانسان غير مستقل عن الشعور ، ولكنه ترجمة محورة له ورموز معبرة عنه ، فهو بهذا عملية نفسية انسانية وثانيهما : أن اللاشعور اذا جاء بشىء مستقل عن الشعور ولاعلاقة له به كان ذلك خضوعا واستجابة لمؤثر أجنبى خارج عن الذات ، وبما أن القرآن الكريم ليس تعبيرا عن الشعور النبوى ، بل حمل اليه خبرات لم تسر فى شعوره فى الماضى وفى المستقبل فهو ليس من اللاشعور النبوى بل هو بالضرورة أجنبى عن هذه الذات ، ولا مجال لذلك الا أن يكون القرآن وحيا وهو المطلوب .

ل – **دليل السيرة النبوية** : فقد عرف رسول الله ﷺ بين قومه على مدى أربعين سنة قبل الوحى بالصادق الأمين ، وأصبح ذلك علما عليه ، فاذا أطلق انصرف اليه ﷺ ، ولم تمنع العداوة التى كانت عند المشركين للنبى ﷺ ، ودعوته أن يستمروا على ماعرفوه ويشهدوا به فى كل مكان كما حدث من أبى سفيان عند هرقل ملك الروم[2] ، فمن غير المعقول بعد هذا الرصيد الطويل وهذه الشهادة العامة أن يكذب محمد فى نسبة القرآن الى الله[3] ، وصدق الله العظيم : ﴿ **قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا**

---

(١) الظاهرة القرآنية ص٢١٤ / ٢١٥ .

(٢) رواه الشيخان : انظر الحديث بتفاصيله فى عون البارى لحل أدلة صحيح البخارى جـ١ ص٧٧ــ ١١٢ .

(٣) النبأ العظيم : ص٢٣ .

أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون ﴾[1] وكان الواجب عليهم بعد هذا الاقرار النبوى أن يأخذوا منه الدليل على صدقه فى نسبة القرآن الى الله ، لاتكذيبه والشك فيه .

م – **دليل العقل والمنطق** : ومؤداه أن العقل والمنطق يقضى بأن ينسب محمد القرآن الى نفسه لو كان من عنده ليكسب من وراء ذلك التفوق على أقرانه بهذا البيان العظيم والبلاغة الفائقة ، كما يفعل بعض الأدباء والعلماء الذين يسطون على أعمال غيرهم ليحققوا من رواء ذلك شهرة ومكانة ، ولكن محمدا لم يفعل ذلك ، بل نسب القرآن – على حقيقته – الى الله لأنه ليس له فيه حول ولا طول ، فاذا قيل : أنما فعل ذلك ليحقق منزلة أعظم ومكانة أكبر واستجابة أعم ، اجيب بأن ذلك غير صحيح ، وإلا لنسب كل أقواله – كالسنة النبوية – الى الله فاذا لم يفعل دل ذلك على أن لله قولا موحى به هو القرآن الكريم وللنبى ﷺ قولا آخر هو السنة النبوية المطهرة[2] .

ن – وأخيرا يقدم لنا الدكتور البهى دليلا حاسما فى هذه القضية يسأل فيه المنكرين أن كانوا يؤمنون بوحى سابق نزل على موسى وعيسى وغيرهما أو لايؤمنون فان كانوا يؤمنون فالقضية واحدة ولابد لهم أن يسلموا أما بالجميع أو بانكار الوحى عمومًا . أما ان يؤمنوا به فى جهة وينكرونه فى جهة أخرى فهذا لا يقبله العلم ولا المنطق والموضوعية وان كانوا ينكرون الوحى بعامة فلن يجدى معهم أى دليل . يقول :« لو واجهنا بالقرآن غير المسلم من متعصتى أهل الكتاب ، فانه – القرآن – لايكون له دليل هداية واقناع على أن القرآن وحى من الله ، وانما الذى يجب أن يسلك معه : مطالبته بتحديد موقفه من الوحى كقضية عامة للديانات الثلاث ، وليست

---

(١) يونس ١٦ .
(٢) النبأ العظيم ص٢٢ .

قضية الاسلام وحده ، فما يقوله الغرب المسيحى باسم العلم تأييدا لوحى عيسى أو موسى يصح أن يقال تأييدا لوحى محمد ، فاذا كان الوحى كأمر غير عادى يخضع للطريقة العلمية الحديثة ، أو لابد أن يقف عند حد اعتقاد المؤمنين به فى كل دين فكل أنواع الوحى سواء فى هذا أو ذاك . أما الأمر الذى يجب أن ينكره البحث العلمى - بهذا التحديد - فهو أن يناقش نوع من الوحى ويتشكك فيه باسم العلم ، ثم يصان نوع آخر منه على أنه بديهى التسليم وبعيد عن مجال الجدل العقلى النظرى أو العلمى التجريبى[1] .

وبعد : فقد ثبت لنا بالعديد من الأدلة القطعية التى قدمناها فى هذه الفقرة سواء منها ما يتصل بذات القرآن الكريم من حيث لفظه ونظمه وأسلوبه وبلاغته ونزوله وترتيبه ومن حيث مضمونه وما احتواه من عقائد صحيحة وأحكام مناسبة ومعاملات سليمة وأخلاق فاضلة ، ومن حيث أخباره الماضية العتيقة والمستقبلية البعيدة وأسراره التى لم تحل وغيباته التى لم تكشف ، أو مايتصل بذات الرسول ﷺ من حيث أميته وسيرته وحالته فى التلقى ، وحرصه على الحفظ وانتظاره قبل اتخاذ القرار وبعده عن الشعور واللاشعور ، كما رأينا أن العقل والمنطق والعلم والموضوعية كلها تشهد بأن القرآن الكريم وحى الهى عظيم ، فلا مجال بعد ذلك الا الاعتراف والتسليم لأى باحث متدبر وعالم عاقل ، وسيبقى القرآن الكريم عزيزا يغلب كل مغالب ، ويعلو على كل شاعر وكاتب ، وستنقضى الأحقاب والأجيال قبل أن تنقضى عجائبه وقبل أن يحيط الناس بكل مافيه﴿ **يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق** ﴾[2] أما من ينكر بعد كل ذلك فهو أما ممن غرق فى حمأة العناد ممن يقولون : ﴿ **مهما تأتنا به من آية لتسحرنا**

---

(١) الفكر الاسلامى الحديث ص١٩٤ .

(٢) الأعراف ٥٣ .

بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾[1] أو ممن لايجدون طمأنينتهم الا فى اضطراب الشك يقولون :﴿ ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴾[2] وهؤلاء وأولئك لاسبيل لنا عليهم ولا ينفعهم نصحنا ان كان الله يريد أن يغويهم اذ ليس من شأننا أن نسمع الصم أو نهدى العمى ، ولا الذين يجعلون أصابعهم فى آذانهم فاذا هم لايسمعون ، أو يضعون أكفهم على أعينهم فاذا الشمس الطالعة ليست بطالعة ﴿ ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ﴾[3] وانما سبيلنا أن ننصب الحجة لجاهلها من طلاب الحق ونوضح الطريق لسابلها من رواد اليقين[4] ولعمرى لئن كانت للقرآن فى بلاغة تعبيره معجزات ، وفى أساليب تربيته معجزات ، وفى نبؤاته الصادقة معجزات ، وفى تشريعاته الخالدة معجزات ، وفى كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات ومعجزات ، لعمرى انه فى ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات[5] .

✲✲✲

ثانيا : قولهم : إن معظم القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل ، فاذا نسخنا منه ماهو مقتبس منهما لم يبق منه مايستحق الذكر . . [6] .

وهذه دعوى باطلة وغاية فى السخف والنكارة ، والرد عليها من عدة وجوه : .

---

(١) الأعراف ١٣٢ .
(٢) الجاثية ٣٢ .
(٣) المائدة ٤١ .
(٤) النبأ العظيم ص٧٨ .
(٥) النبأ العظيم ص٢١١ .
(٦) انظر فى هذه الدعوى : الاسلام فى مواجهة الاستشراق ص٥٣٩ــ ٥٦٥ والفكر الاسلامى الحديث ص١٦٨ .

أ - أن القرآن الكريم لايشبه التوراة ولا الإنجيل فى اللفظ أو الأسلوب أو النظم ، فالقرآن كما رأينا فى الفقرات السابقة فى قمة البلاغة والفصاحة والبيان والإعجاز ، اما التوراة والإنجيل - بعد تحرفهما - ليس فى أى منهما شىء من البلاغة ولا الفصاحة ولا البيان ، بل إنهما عند الاطلاع على أى منهما يتبين أنهما يقعان فى أدنى درجات التعبير والبيان ، وفيهما الكثير من الركاكة والألفاظ السوقية حتى ليقلان فى أحيان كثير عن مستويات التعبير العادية والصحفية . .

ب - أن القرآن الكريم فى موضوعاته ومعانيه ومايقدمه من عقائد وعبادات وحلال وحرام وأخلاق ومعاملات يختلف كثيرا جدا عما فى التوراة والإنجيل وبخاصة بعد تحريفهما ، بل إن فيهما الكثير مما يرفضه القرآن الكريم ، كما ترفضه العقول السليمة والفطرة الصحيحة ، وإذا كان بينهما بعض التشابه فى بعض الوصايا والأحكام وأصول العقيدة والشريعة ومكارم الأخلاق ، فهذا أمر طبيعى ولازم بين كل الرسالات والكتب السماوية ، بل وفى كل المجتمعات المتحضرة ، لأن المصدر لهذا كله واحد وهو الله تعالى الذى أرسل الرسل وأنزل الكتب وأودع فى كل نفس فطرتها الصحيحة ، ولأنها جميعا تهدف الى غايات واحدة وهى : إصلاح الناس وإسعادهم فى الدنيا والآخرة . ولذلك قال تعالى :﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾[1] فهذا فى الأصول ، وأما الفروع فإنها مختلفة غالبا لاختلاف الأحوال والبيئات ولذلك قال سبحانه﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ﴾[2] .

---

(١) الشورى ١٣ .

(٢) المائدة ٤٨ .

جـ – أن الله سبحانه وتعالى – وهو رب العالمين ومنزل الكتب كلها– قد جعل القرآن الكريم – وهو وحيه الذى تولى بنفسه حفظه – مصدقا لما سبقه من الكتب ومهيمنا عليها قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم** ﴾[1] .

فالقرآن الكريم يصدق الكتب السابقة ويؤيدها ويوافقها فيما لم تمتد اليه يد التحريف ، كما أنه الحكم على هذه الكتب فيما أصابه التحريف وما لم يصبه لأنه الكتاب الخاتم للنبى الخاتم والرسالة الخاتمة العامة للناس أجمعين ، ولأنه الكتاب الوحيد الذى تولى الله تعالى حفظه فبقى كما أنزله الله ، فكيف يكون القرآن حاكما عليها وهو مقتبس منها ؟ .

د – أننا قد عرفنا فى الفقرة السابقة أن رسول الله ﷺ كان أميا ولم يجلس الى معلم قط ، ولم يعرف شيئا من القراءة والكتابة ، ومن باب أولى لم يطلع على الكتب السابقة ، وقد بعث فى مكة وهى ابان بعثته ﷺ خالية من اليهود والنصارى أو على الأقل من الكثرة التى يمكن أن يكون لها تأثير ما فى ثقافته ونشأته ، ونحن نعلم أن الاقتباس مرحلة عالية من الفهم والعلم لدى من يقتبس بما يقتبس منه ، فاذا كان رسول الله ﷺ أميا ولم يلتق بمعلم ولم تكن البيئة يهودية ولانصرانية فمن أين له حينئذ الاقتباس أو القدرة عليه ، قد يقال أن ورقة بن نوفل وبحيرا الراهب قد التقى بهما محمد ولدى كل منهما علم بالكتب السابقة ؟ فيجاب عن ذلك بأن التاريخ لم

---

(١) المائدة ٤٨ .

يذكر من اللقاء بينهما وبين رسول الله ﷺ الا مرة أو مرتين ، وكان لقاؤه بالراهب وهو صغير ، فهل يعقل لصغير فى لقاء واحد أو لقائين أن يقتبس كل ذلك الذى لايحصى علما وخبرا واحكاما ؟ فكيف اذا علمنا أن ما تناقلته كتب التاريخ التى سجلت مادار فى هذه اللقاءات لم تشر من قريب أو بعيد الى شيء مما فى التوراة أو الانجيل او القرآن ، وكل ذلك مسجل ومحفوظ فمن أين وعلى يد أى معلم تعلم محمد التوراة والانجيل حتى يقتبس منهما ؟ وذلك الرومى الحداد (بلعام) الذى زعم المشركون أن محمدا ﷺ تعلم منه ، كان أعجميا لايعرف من العربية الا بضع كلمات ، فاذا كان فاقدا الشيء لايعطيه – كما نعلم – فكيف يعلم هذا الأعجمى رسول الله ﷺ التوراة أو الانجيل أو هما معا فضلا عن أن يعلمه هذا الكلام المعجز « القرآن الكريم » ؟ واذا كان (بلعام) معلما فلماذا لم يسرعو اليه ويتعلموا منه كما فعل محمد كما يدعون ؟ والى هذا الافتراء العجيب يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين** ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ **وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزورا * وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما** ﴾[2] .

هـ – واذا كات مقتبسا من كتبهم كما يزعمون فلماذا كفرا به وكذبوه ،

---

(١) النحل ١٠٣ .

(٢) الفرقان ٤ــ ٦ .

ألم يخبرهم الله تعالى فى كتبهم أنه سيرسل محمدا وينزل عليه قرآنا وعليهم أن يؤمنوا به ؟ ان كفرهم بالقرآن والرسول وتكذيبهم لهما دليل قاطع على أنه شيء آخر غير التوراة والانجيل ، كما أن هذا الكفر بالقرآن والرسول كفر بالتوراة والانجيل ، قال الله تعالى : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين * بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين * واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم * قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون** ﴾[2] .

- أن القرآن الكريم نفسه أكد أن بينه وبين الكتب السابقة تشابها وصلة ولكن على طريقته الخاصة وبأسلوبه الفرد الذى يصدق مابقى صحيحا فى الكتب السماوية السابقة ، ويصحح ماأصابه التحريف فيها ، ويفصل الأحكام الكلية ويبين الأحكام الفرعية بما لم يسبق اليه ، قال الله تعالى :﴿ **وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين** ﴾[3] .

---

(١) البقرة ٨٩ــ ٩١ .
(٢) البقرة ١٠١ .
(٣) يونس ٣٧ .

يقول الأستاذ مالك بن نبى :« ان القرآن يؤكد مستعلنا صلته بالكتاب المقدس فهو يطلب دائما مكانه فى الدورة التوحيدية ، وهو بهذا وذاك يثبت باعتداد – التشابه بينه وبين التوراة والانجيل – وهو يؤكد هذه القرابة صراحة ، ويلفت اليها النبى نفسه كلما وجدت مناسبة[1] .

اذن فليس التشابه كما يزعمون اقتباسا قام به محمد ﷺ ، ولكنه تنزيل رب العالمين الذى أنزل هذا وذاك ، ويبقى للقرآن بعد ذلك التشابه التفرد المطلق والعجيب والمختلف عن الكتب السابقة فى كثير من الأمور . ولنأخذ لذلك بعض الأمثلة التى تقطع باستقلالية القرآن عما سواه وبطلان دعوى الاقتباس :

١ – **فى قضية التوحيد** : يعرض القرآن الكريم العقيدة الغيبية الخاصة بطريقة أكثر مطابقة للعقل ، وأكثر تدقيقا ، وفى اتجاه أكثر روحية ، فالله واحد ، ومخالف للحوادث ، وهو رب العالمين ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد** ﴾ على حين نجد هذه القضية فى الكتب السابقة يشوبها التشبيه والقومية ، ثم اخترعت المسيحية من جانبها للاله ذاتا انسانية فى الأقانيم الالهية ، وبهذا نشأت عقيده جوهرها « الرب الحى تجسد فى انسان » وتولد عن هذه العقيدة التفسير المسيحى الذى أنشأ عقيدة دينية ثالوثية قائمة على سر الثالوث الأقدس[2] وقد أشار الأستاذ العقاد أيضا الى هذه القضية وبيان التفاوت فيها بين القرآن وغيره ليخلص من ذلك الى ابطال القول بالنقل أو الاقتباس ، يقول : « جاء الاسلام بالدعوة الى اله منزه عن

---

(٤) الظاهرة القرآنية ص ٢٤٠ .

(١) الظاهرة القرآنية ص٢٤٢ .

لوثة الشرك منزه عن جهالة العصبية وسلالة النسب ، منزه عن التشبيه الذى تسرب من بقايا الوثنية الى الأديان الكتابية . . . وللباحث فى مقارنات الأديان أن يقول ما يشاء عن هذا الاله الواحد الاحد رب العالمين ، ورب المشرقين ورب المغربين الا أن يقول انه نسخة مستمدة من عقائد عرب الجاهلية أو عقائد الفرق الكتابية التى خالطت عقائد الجاهلين على النحو الذى وصفه جورج سيل فى مقدمته لترجمة القرآن الكريم ، فان العقيدة الالهية التى تستمد من تراث الجاهلين لن تكون لها صبغة أغلب من صبغة العصبية ، ولا مفخرة أظهر من مفاخر الأحساب ، ولن تخلو من لوثة الشرك ولا من عقابيل العبادات التى امتلأت بالخبائث ، وحلت فيها الرقى والتعاويذ محل الشعائر والصلوات ، ومعجزة المعجزات أن الاسلام لم يكن كذلك ، بل كان نقيض ذلك فى صراحة حاسمة حازمة لاتأذن بالهوادة ولا بالمساومة . . .[1] .

٢ – **قضايا الآخرة** : من قيامة وبعث وحشر وحساب وجنة ونار الى غير ذلك من المشاهد ، لم تلق الكتب العبرية عليها الا شعاعا خافتا ، ولكن القرآن الكريم يبرز هذا المجال الأخروى ابرازا مؤثرا ، يقص رواية الخلود الأخروى بنبرة خاشعة رهيبة فى أسلوب فاق الذروة فى بلاغته ، وقد ثبت فى أنحائه صور ومشاهد تسكب الخشية فى قلوب العباد مما لايمكن معه لانسان حتى فى هذه الأيام أن يصدف عن مشاهده الهائلة[2] وهى مشاهد لاتحصى ولاتعد فى القرآن الكريم حيث لاتكاد تخلو سورة من سور القرآن عن شىء منها الا نادرا .

---

(١) حقائق الاسلام ص٥٣ .

(٢) الظاهرة القرآنية ص٢٤٤ .

٣ – **قضية الخلق** : فى الكتب السابقة لا نجد لها تفسيرا شافيا ولا صورا توضيحية فكل ما هنالك اشارات مجملة كهذه الجملة« وقال الله ليكن نور فكان نور »[١] على حين نجد القرآن الكريم يولى هذه القضية اهتماما كبيرا ، ويقدم بشأنها العديد من التفاصيل والتوضيحات التى تزيل أى لبس أو غموض بشأنها ، ويتدرج القرآن الكريم فى ذلك – شأنه فى كل الأحوال – فيبدأ بالحديث عن وحدة مادة الكون الأولى فى قوله تعالى : ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما** ﴾[٢] . ثم يحدثنا عن الحالة البدائية لتلك المادة فى قوله تعالى : ﴿ **ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض أتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين** ﴾[٣] . ثم ينتهى الى الظاهرة الحيوية فى قوله : ﴿ **وجعلنا من الماء كل شىء حى** ﴾[٤] . وهناك آيات كثيرة تكمل هذه اللوحة النموذجية لصورة التكوين فى القرآن [٥] .

٤ – **قضية الأخلاق** : تقوم فى الكتب السابقة على اساس سلبى ، فهى تأمر الناس بالكف عن فعل الشر فى حالة وبعدم مقاومة الشر فى حالة أخرى ، أما القرآن الكريم فيأتى بمبدأ ايجابى أساسى وهو لزوم ووجوب مقاومة الشر ، فهو يخاطب معتنقيه بقوله :﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[٦] فى حين يعيب على الآخرين وينكر عليهم أنهم كانوا يسكتون عن المنكر

---

(١) سفر التكوين ، الاصحاح الأول فقرة ٤ .
(٢) الأنبياء ٣٠ .
(٣) فصلت ١١ .
(٤) الأنبياء ٣٠ .
(٥) الظاهرة القرآنية ص٢٤٦ .
(٦) آل عمران ١١٠ .

﴿ كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ﴾[1] .

كما أن القرآن الكريم يحترم منافع الآخرين بازاء المنفعة الشخصية ، كما يقيم الأخلاق على اساس من فكرة الجزاء والثواب ، فيقيم القرآن الكريم بناءه الخلقى على اساس القيمة الخلقية للفرد ، وعلى العاقبة الدنيوية للجماعة[2] .

٥ – ويقارن الأستاذ مالك بن نبى[3] بين قصة يوسف فى القرآن الكريم والتوراة وينتهى من المقارنة بأن مابين القصتين من الاختلاف أكثر مما بينهما من الاتفاق ، وأن ما اتفقا فيه يتميز فيه القرآن بالوضوح والبيان بما يجعله ذا طابع خاص متفرد ويبطل فكرة الاقتباس من أساسها ، يقول الاستاذ مالك بن نبى : « ان لم يثبت أن كان بمكة وضواحيها أى مركز ثقافى دينى ليقوم بنشر فكرة الكتاب المقدس التى عبر عنها القرآن . . ومن ناحية أخرى : لو أن الفكرة اليهودية المسيحية كانت قد تغلغلت حقا فى الثقافة والبيئة الجاهلية فان من غير المفهوم ألا توجد ترجمة عربية للكتاب المقدس ، وهنالك حدث مؤكد فيما يتصل بالعهد الجديد الانجيل وهو أنه حتى القرن الرابع الهجرى لم تكن قد وضعت له ترجمة عربية نعرف هذا من مصادر الغزالى الذى اضطر أن يلجأ الى مخطوط قبطى كيما يحرر رده[4] وقد ذكر الأب شدياق أن أول نص مسيحى ترجم الى العربية كان مخطوطا بمكتبة القديس بطرسبرج كتب حوالى ١٠٦٠م بيد رجل يدعى (ابن العسال) .

وهكذا لم تكن توجد ترجمة عربية للانجيل ، فهل كان يمكن أن

---

(١) المائدة ٧٩ .

(٢) الظاهرة القرآنية ص٢٤٨ .

(٣) السابق من ص٢٥٢ الى ص٣٠٦ .

(٤) يشير الى كتاب الغزالى : الرد الجميل على من ادعى ألوهية المسيح بصريح الانجيل .

توجد ترجمة للتوراة وهى الأقدم ؟ إن القرآن الكريم يقول لليهود : ﴿ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ﴾[1] أفليس هذا دليلا على أنه لم يكن يوجد من يقرأ العبرية من العرب من ناحية ، وعلى أنه لم تكن توجد ترجمة عربية للتوراة من ناحية أخرى ؟ وعليه فلا شيء أقل احتمالا من وجود تأثير توحيدى فى البيئة الجاهلية لانعدام المصادر اليهودية والمسيحية المكتوبة فيها بحيث يصبح من المستحيل أن نقول بامكان حدوث امتصاص لاشعورى للذات المحمدية فى هذا الوسط الجاهلى[2] .

٦ – ويضيف الاستاذ العقاد فارقا آخر بين القرآن الكريم والكتب السابقة وذلك فى صدد حديثه عن النبوة قبل سيدنا محمد ﷺ مما يبين أن دعوى الاقتباس دعوى باطلة ولا محل لها ، يقول رحمه الله : « نمت نبوة الاسلام نماءها الأوفى حين خلصت من دعوى الخوارق والمغيبات وهى آية النبوة الكبرى فى عرف الأقدمين ، وفرق الاسلام بين طريقتين شاسعتين فى تاريخ الأديان : طريق موغلة فى القدم تنحدر الى مهد النبوات الوثنية حيث تشتبك العبادة بالسحر والكهانة ، ثم تتقدم فى خطوات وئيدة يلتقى فيها الخيل باليقظة ، وتختلط فيها الخرافة بالالهام الصادق والموعظة الحسنة ، وطريق تليها ، موغله فى المستقبل يفتتحها صاحب النبوة الأخيرة فيعلن أنه يفند السحر والكهانة ويزرى بقداسة الجنون أو جنون القداسة ، ويروض بصيرة الانسان على قبول الهداية وان لم تروضها له روعة الخوارق ودهشة الغيب المجهول لأنه يروض

---

(١) آل عمران ٩٣ .

(٢) الظاهرة القرآنية ص ٣١٠ــ ٣١٢ وانظر مقارنات أخرى فى : الاسلام فى مواجهة الاستشراق ص٥٤٣ــ ٥٦٥ .

البصيرة الانسانية على أن تنظر وتبصر ولا يستوى الأعمى والبصير . . . الى أن يقول : وأبعد شيء عن البحث الأمين أن تنعقد المقارنة بين هذه النبوة الاسلامية ونبوءات أخرى تقدمتها فيزعم الباحث أنها نسخة محرفة منها أو منقوله عنها فان الفارق بين نبوءة تقوم حجتها الكبرى على هداية العقل والضمير ، ونبوءات تقوم حجتها الكبرى على الغرائب والأعاجيب لهو من الفوارق البينة التى لا يمترى فيها باحثان منصفان ، ودع عنك الفارق بين نبوءة تدعو الى رب العالمين ، ونبوءة تدعو الى رب سلالة أو رب قبيل ، وربما اعترى الخطأ مقياسا من مقاييس البحث فتساوت لديه الزيادة والنقص وتعادل أمامه الراجح والمرجوح ، فأما أن يرجح النقص على الزيادة فذلك هو الخطأ الذى لاينجم الا من زيغ فى الطبع أو عناد يتعامى عمدا عن الشمس فى رائعة النهار[1] ثم يقول : وبعد ستة قرون من آخر رسالة فى بنى اسرائيل يستمع العالم الى صوت من جانب الجزيرة العربية يدعو الى رب العالمين رب العربى والأعجمى ، ورب الأبيض والأسود ، ورب كل عشيرة وكل قبيلة ، لايستأثر بقوم ولا يؤثر قوما على قوم الا من عمل صالحا واتقى حدود الله ، صوت نبى ينادى كل من بعث اليه أنه لايعلم الغيب ولايملك خزائن الأرض ، ولا يدفع السوء عن نفسه فضلا عن قومه ، ولا يعلم أن الخوارق والمعجزات تنفع أحدا لاينتفع بعقله ولا يتفكر فيما يسمع من نبى أو رسول ، صوت نبى يقول للناس انه انسان كسائر الناس ، وهو بشير يهدى الى الرشد والحق ، نذير نحذر من الباطل والضلال . أى مشابهة بين الصوتين ؟ بل أى اختلاف قط بينهما يجاوز هذا الاختلاف ؟ يرثى لمن يقول : « ان الصوتين سواء ، فأما

---

(١) حقائق الاسلام ص٥٨ــ ٦١ .

من يقول أن النداء باسم رب العلمين نسخة محرفة من النداء برب القبيلة بين شركائه من أرباب القبائل ، فانما هو خطأ حقيق أن يسمى عجزا فى الحس ، لأنه أظهر للحس من أن يحتاج الى اطالة بحث أو تعمق فى تفكير . . .[1] .

كما يضيف بعد حديثه عن الشيطان فى العقائد السابقة والعقيدة الاسلامية قوله « بهذه العقيدة الوجدانية الفكرية أقام الاسلام عرش الضمير وتل عرش الشيطان ومن حق البحث الأمين على الباحث المنصف أن يضيفها الى عقائد الاسلام فى الله وفى النبى وفى الانسان ، فاذا عرف الانصاف فما هو بقادر على أن يزعم أن الاسلام ديانة محرفة من ديانة سبقت ، واذا عرف الصواب فما هو بقادر على أن يجحد مرتقاه فى أطوار الايمان وأنه غاية ما ارتفع اليه ضمير المؤمن فى ديانات الأقدمين والمحدثين . . .[2] وقل مثل ذلك فى العبادات والمعاملات وغيرها من الأحكام مما يقطع ويبطل أى شبهة فى القول باقتباس القرآن الكريم من الكتب السابقة ، فمقاصد القرآن الكريم وتوجيهاته وعقائده وعباداته وأخلاقه ومعاملاته وقصصه وأخباره وحلاله وحرامه وحكمه وأمثاله ، ولفظه ونظمه ، وبلاغته وفصاحته تختلف عن كل من التوراة والانجيل اختلافا يوحى بانقطاع الصلة بينهما اللهم الا فى القليل النادر منهما الذى بقى صحيحا . هذا هو حكم العقل والنقل والواقع فمن لم يقبل بهذه الموازين فقد ظلم نفسه وأوردها موارد الضياع والهلكة ، وماله من الله من عاصم ، وويل للذين ظلموا من النار .

✲✲✲

ثالثا : قولهم : ان القرآن ليس معجزا وأنه مجرد عمل انسانى نادر .

---

(١) حقائق الاسلام ص٧٢ــ ٧٣ .

(٢) السابق ص١٠٥ .

وهذا قول منكر وادعاء باطل لأسباب كثيرة منها : .

١ – ما سبق أن أشرنا اليه فى الفقرة الأولى من أدلة أثبتت أن القرآن الكريم وحى من عند الله تعالى ومن هذه الادلة اعجازه المتواصل والمستمر بشكل فاق كل الحدود تجاوز كل ماذكره العلماء من أنواع الاعجاز وفنونه الى حد لايعلمه الا الله سبحانه وتعالى .

٢ – أن التحدى بالقرآن كان ومازال قائما و لم يستطع أحد ابان نزوله ولا بعد وفاة النبى ﷺ وحتى الآن والى أن تقوم الساعة ، لم يستطع ولن يستطيع أحد أن يأتى بمثله ولا بعشر سور من مثله ولا بسورة واحدة من مثله ، ومعنى ذلك العجز الكامل فى الماضى والحاضر والمستقبل ليس للبشر وحدهم ولكن للجن أيضا أنه معجز وأن اعجازه مستمر .

٣ – أن هذه المقولة ليست جديدة ، فقد قالها المشركون ابان نزول القرآن وادعوا انهم يستطيعون الاتيان بمثله ، ولكنهم عجزوا عن الوفاء بما قالوا فبقى كلامهم وكلام المعاصرين اليوم مجرد ادعاء لاقيمة له ولا دليل عليه قال تعالى : ﴿ **واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا الا أساطير الأولين** ﴾[1] قال السيوطى : اخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال : قتل النبى ﷺ يوم بدر صبرا عقبة بن أبى معيط وطعمة بن عدى والنضير بن الحارث ، وكان المقداد أسر النضر ، فلما أمر بقتله قال المقداد يارسول الله : أسيرى ، فقال رسول الله ﷺ انه كان يقول فى كتاب الله مايقول ، قال : وفيه أنزلت هذه الآية ﴿ **واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا** ﴾ الآية[2] وجاء

---

(١) الأنفال ٣١ .

(٢) لباب النقول فى أسباب النزول بهامش المصحف الشريف .

المبشرون والمستشرقون اليوم يرددون نفس المقولة بادعائهم أن القرآن عمل انسانى نادر غير معجز ، فهل استطاعوا أو استطاع أسلافهم المشركون أن يقولوا شيئا مثله ؟ أم عجزوا كما عجزوا فتبين بطلان مقولتهم وسخفها ؟ قال تعالى :﴿ **أم يقولون تقوله بل لايؤمنون * فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين** ﴾[1] وفى ذلك يقول الدكتور المطعنى : « فى هذه الآية صور القرآن الأمين موقفهم فى مواجهة الدعوة حيث قالوا ان محمدا ﷺ قد افترى القرآن ، وادعى أنه من عند الله ، ثم طالبهم فى الآية الثانية بأن يأتوا بكلام مثل القرآن فى علو منزلته ، أى كلام غير مقيد بطول أو قصر قصر أم قل ، فمحمد عليه السلام بشر مثلهم وعربى مثلهم ، فاذا كان هو صاحب هذا الكلام بحق فليحاكوه ان كانوا صادقين فى دعواهم ، والقرآن الكريم فى هذه المواجهة يثيرهم ويحرك مشاعرهم ليأتوا بكلام مثل القرآن وجعل هذا الاتيان شرطا فى صدقهم فان لم يأتوا فما هم بصادقين ان بواعث الخصوم على المحاكاة هنا لابد أن تكون قد بلغت درجة الفوران ، ولكنهم لم يقدموا على المحاكاة والاتيان بمثل القرآن فما هو السبب ؟ أهو زهدهم فى المحاكاة مع القدرة عليها ؟ أم هو رغبتهم عن الصدق مع شدة افتقارهم اليه ؟ انهم لو كانت المحاكاة فى مقدرتهم وأتوا فعلا بمثل القرآن لقضوا فى تلك الجولة على الرسالة والرسول ! ولكنهم لم يفعلوا مع قيام كل الدواعى الشعورية والخصومية على تلك المحاكاة المدعاة ، وليس لهذا التقاعس والقصور أى تفسير مقبول الا عجزهم الفعلى عن المحاكاة لأن « المحاكى » فوق طاقة البشر والجن . . . لقد تحدى القرآن خصومه ، واستحثهم على الدفاع عن أنفسهم ولكنهم

---

(١) الطور ٣٣ / ٣٤ .

وجموا أمام ذلك التحدى وهم أحوج ما يكونون الى الدفاع عنها ، انهم عاجزون وكفى .[1] .

وقد ذكر الله تعالى انهم اذا لم يستجيبوا للتحدى ويأتوا بمثل القرآن أو بشيء من مثله فليعلموا أنما هو من عند الله قال تعالى : ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون** ﴾[2] ثم جاء القرآن بعد ذلك التدرج فى التحدى من مثل القرآن الى عشر سور من مثله الى سورة واحدة من مثله لينتهى بعد ذلك الى إثبات العجز المطلق لكل الكائنات فقال فى سورة البقرة ليشمل التحدى أهل الكتاب مع المشركين ﴿ **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين * فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾[3] ثم أكد فى سورة الاسراء أن العجز عن محاكاة القرآن شامل للجن أيضا مع الانس فقال سبحانه ﴿ **قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ﴾[4] وبهذا حكم الله تعالى بالعجز على الجميع من لدن نزول القرآن الى قيام الساعة ، فهل هناك إعجاز أعظم من ذلك ؟ وهل هناك دليل على صدق الرسول والرسالة أقوى وأوضح من ذلك ؟ .

٤ – واليك الآن صورا محدودة من الإعجاز المستمر للقرآن الكريم ، وقد

---

(١) الاسلام فى مواجهة الاستشراق ص٥١٨ / ٥١٩ .
(٢) هود ١٣ / ١٤ .
(٣) البقرة ٢٣ / ٢٤ .
(٤) الإسراء ٨٨ .

أقر بها المنكرون والعلماء من غير المسلمين ، من هذه الصور مايتصل بالكون بصفة عامة كخلق السموات والأرض وما بينهما ، ومنها مايتصل بالأرض نفسها وما فيها من آيات ، ومنها مايتصل بحركة النجوم والكواكب والليل والنهار والرياح ، ومنها مايتصل بالماء ، ومنها مايتصل بالانسان وخلقه الى غير ذلك وهو كثير جدا عرف العلماء بعضه ، ومازالوا يجهلون الكثير مما وعد الله تعالى بتعليمهم اياه فى قوله ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** ﴾[1] وفى آية جامعة أو تكاد يقدم الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم بعض آياته للعاقلين تؤكد أن القرآن الكريم وحى معجز قال تعالى : ﴿ **ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون** ﴾[2] .

يقول الدكتور المطعنى : لقد خطا العلم خلال القرنين الأخيرين خطوات لم يسبق لها مثيل فى شتى المجالات ، و لم يظهر للآن مكتشف علمى يتنافر مع دلالات القرآن الحكيم ، وموقف العلوم الحديثة من دلالات القرآن يتخذ ثلاث سمات : .

الأولى : التوافق التام بين المعارف الحديثة ودلالات القرآن الكريم وهذه هى السمة الغالبة .

الثانية : تصحيح دلالات القرآن لأخطاء كانت عن بعض الظواهر

---

(١) فصلت ٥٣ .

(٢) البقرة ١٦٤ .

العلمية .

الثالثة : وقوف العلم الحديث من بعض دلالات القرآن الكريم موقف العاجز عن الوصول الى فهم الحقيقة العلمية التى يشير اليها القرآن ، وأمل العلماء فى هذا الفرع كبير فى أن يصل العلم البشرى فى عصر مقبل الى فهم الحقيقة القرآنية اذا ما توفرت بعض الظروف اللازمة لذلك الفهم .

فما وقع التطابق فيه تاما مسألة انفصال السموات والأرض بعد أن كانتا كتلة واحدة ، قال تعالى : ﴿ **أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما** ﴾[1] والرتق هو الالتصاق بلا فصل ، والفتق هو الفصل بينهما بالهواء[2] . وقد أثبت العلم الحديث ذلك بعد أن ذكره القرآن من ألف واربعمائة عام . ومما صححت فيه الدلالات القرآنية أخطاء كانت شائعة من عهد أرسطو الى عصر النهضة : أن العيون المائية تستمد ماءها من بحيرات جوفيه فى أعماق الأرض ، فجاء القرآن وصحح هذا الخطأ وأشار الى أن العيون المائية تستمد تموينها المائى من مياه الأمطار حيث جاء فيه قوله تعالى : ﴿ **ألم تر أن الله ،أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض** ﴾[3] وقد أثبت العلم ذلك وقارن العلماء بين ما قاله أرسطو وما ذكره القرآن فتبين خطأ مقولة ارسطو ومن تابعه من العلماء فترة طويله وثبت صحة ماقاله القرآن الكريم[4] .

٥ – وأما ماقاله « الخورى الحداد من أن القدماء أجمعوا على أن اعجاز القرآن

---

(١) الأنبياء ٣٠ .

(٢) كلمات القرآن تفسير وبيان الشيخ حسنين مخلوف وانظر : الصحاح فى اللغة والعلوم مادة رتق ص٣٦٥ وفتق ص٨٤٢ .

(٣) الزمر ٢١ .

(٤) انظر : الاسلام فى مواجهة الاستشراق ص٥٨٢ / ٥٨٣ .

فى نظمه فقط ثم تشكيكه فى ذلك بعد لينتهى من ذلك الى مقولة أهله وأصحابه من أن القرآن غير معجز فقد تولى الرد عليه بشكل واضح ومفصل ومفحم الاستاذ محمد عزة دروزه ونحن بالاضافة الى ماذكرناه فى الفقرات السابقة من إبطال هذه المقولة وإثبات إعجاز القرآن نجتزىء من ردود الأستاذ دروزه العديدة بعض ما قاله يقول : « والخورى كاذب من حيث الأصل فى قوله ان القدماء مجمعون على أن اعجاز القرآن فى نظمه وحسب فهناك اثار وأقوال قديمة كثيرة ينطوى فيها تقرير كون إعجاز القرآن فى نظمه وفى محتواه على السواء ، فالقرآن حينما يقرر أنه كتاب هداية وارشاد ونور وشفاء وتبشير وانذار ، انما يقرر اعجاز القرآن فى المحتوى فى الدرجة الأولى الذى يمثله ما فى القرآن المكى والمدنى معا من إعجاز الهى فى العقيدة وإعجاز الهى فى التشريع ، وإعجاز الهى فى الحكمة واعجاز الهى فى الارشاد الى خير سبل السعادة والنجاة فى الدنيا والآخرة واعجاز الهى فى التبشير والانذار والترغيب والترهيب ، وإعجاز الهى فى عرض بدائع الكون ومشاهد عظمته وروعة نواميسه الماثلة فى كل شىء والبرهنة بها على وجوب وجود الله وقدرته وإحاطته ، وإعجاز الهى فيما احتواه قصصه من مواعظ وأمثال وتذكير وحكم بالغة ، وإعجاز الهى فيما احتواه من الغيبيات السالفة والغيبيات الآتية ، وإعجاز الهى فى صلاح ما أتى به من كل ذلك لكل زمان ومكان وجنس ولون وعقل وثقافة ، وكل هذا بارز ملموح بكل قوة وبكل روعة وبكل نفوذ وبكل قطعية فى مختلف سور القرآن المكية والمدنية ولا يمكن أن يكابر فيه ويتعامى عنه الا أحمق غبى أو حقود مغرض ، والقرآن فى متناول جميع الناس فى كل مكان وزمان ، ومن هذا المنطلق قرر القرآن أنه المعجزة الكافية لصدق رسالة النبى ﷺ على ماتضمنته آيات سورة العنكبوت ﴿ **وقالوا لولا أنزل عليه آيات**

من ربه ، قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين * أو لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾[1] . . . ثم يقول : « والآن نورد الدليل على كذب الخورى ، فالخورى يجعل كتاب « الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى » مصدرا رئيسيا من مصادره وينقل عنه كثيرا ، ومع ان السيوطى أورد حقا أقوالا لبعض العلماء بان اعجاز القرآن هو فى نظمه وبلاغته فانه قال : ان جمهور العلماء يقررون ان اعجازه هو فى نظمه ومعانيه على اختلاف نواحيها »[2] وقد تعامى الخورى عن هذا القول الذى فيه تكذيب صريح له ، ولقد أورد السيوطى[3] مقتطفات عديدة من أقوال عدد منهم ومن جملة ذلك فصل للخطابى أحد علماء القرآن فى القرن الرابع الهجرى نورده كمثال على أقوال العلماء القدماء . يقول الخطابى : « وانما تعذر على البشر الاتيان بمثله لأمور منها : ان علمهم لايحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التى هى ظروف المعانى ، ولاتدرك أفهامهم جميع معانى الأشياءالمحمولة على تلك الألفاظ ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه المنظوم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض ، فتواصلوا باختيار الأفضل من الأحسن من وجوهها الى أن يأتوا بكلام مثله ، وانما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة ، لفظ حاصل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم ، واذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة حتى لاترى شيئا من الألفاظ افصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولاترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاوة وتشاكلا من نظمه ، وأما معانيه : فكل ذى

---

(١) العنكبوت ٥٠ / ٥١ .

(٢) الاتقان فى علوم القرآن جـ٢ ص١٥١ .

(٣) السابق : جـ٢ ص ١٥٠ــ ١٥٣ .

لب يشهد له بالتقدم فى أبوابه والترقى الى أعلى درجاته ، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفوق فى أنواع الكلام ، فأما أن توجد مجموعة فى نوع واحد منه فلم توجد الا فى كلام العليم القدير ، فخرج من هذا أن القرآن صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف متضمنا أصح المعانى من توحيد الله تعالى وتنزيهه فى صفاته ودعائه الى طاعته وبيان طريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر واباحة ، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر ، وارشاد الى محاسن الأخلاق وزجر عن مساويها ، واضعا كل شىء منها موضعة الذى لايرى شىء أولى منه ، ولا يتوهم فى صورة العقل أمر اليق به منه ، مودعا أخبار القرون الماضية ، وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعائد منهم ، منبئا عن الكوائن المستقبلة فى الأعصار الآتية من الزمان جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا اليه ، وأنبأ عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ، ومعلوم أن الاتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر يعجز عنه قوى البشر ، ولا تبلغه قدرتهم ، فانقطع الخلق دونه ، وعجزوا عن معارضته بمثله ، ومناقضته فى شكله ثم صار المعاندون له يقولون مرة : انه شعر لما رأوه منظوما ، ومرة اخرى انه سحر لما رأوه معجوزا عنه غير مقدور عليه ، وقد كانوا يجدون له وقعا فى القلوب وقرعا فى النفوس يرهبهم ويحيرهم ، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعا من الاعتراف ، ولذلك قالوا : ان له لحلاوة وأن عليه لطلاوة ، وكانوا مرة يقولون بجهلهم انه أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا مع علمهم ان صاحبهم أمى وليس بحضرته من يملى أو يكتب فى نحو ذلك من الأمور التى أوجبها العناد والجهل والعجز وانك لاتسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثور اذا فرغ السمع خلص

منه الى القلب من اللذة والحلاوة قال تعالى :﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته جاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله** ﴾[2] .

وقال ابن كثير رحمه الله : « ومن تدبر القرآن وجد فيه من وجوه الاعجاز فنونا ظاهرة وخفية من حيث اللفظ ومن جهة المعنى قال الله تعالى : ﴿ **الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾[3] فأحكمت ألفاظه وفصلت معانيه ، وكل من لفظه ومعناه لايجارى ولا يدانى » يقول ابن عطية فى تفسير هذه الآية الكريمة : أحكمت اتقنت وأجيدت شبه ما تحكم من الأمور المتقنة الكاملة ، وبهذه الصفة كان القرآن فى الأزل ، ثم فصل بتقطيعه وتبيين أحكامه وأوامره على محمد ﷺ فى أزمنة مختلفة فتم على بابها ، وهذه طريقة الاحكام والتفصيل ، اذ الاحكام صفة ذاتية ، والتفصيل انما هو بحسب من يفصل له والكتاب بأجمعه محكم ومفصل [4] فقد أخبر عن مغيبات ماضيه كانت ووقعت طبق ما أخبر سواء بسواء ، وأمر بكل خير ونهى عن كل شر كما قال تعالى : ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا** ﴾[5] . . . ثم قال دروزه : ولو كان الخورى يخضع للحق والحقيقة أو يتحراها لكان راعى ماقاله جمهور العلماء القدماء ، ولما

---

(١) الحشر ٢١ .
(٢) الزمر ٢٣ .
(٣) هود ١ ، وانظر : مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص٤٢ .
(٤) تفسير ابن عطية جـ٧ ص٢٣٣ / ٢٣٤ .
(٥) الأنعام ١١٥ .

قال ما قال عنهم من الموقف السلبى بأسلوب حاسم ، ومن غبائه أنه لايخطر بباله أن كتب القدماء والكتب التى ينقل عنها ليست عنده وحده ، ونحن اذ نركز الكلام فى هذا المبحث على الاعجاز الالهى فى المحتوى فليس ذلك منا اغفالا للاعجاز الالهى فى النظم القرآنى ، فهذا من المسلمات التى لاتتحمل اطنابا جديدا ، وقد وفاها العلماء قديما وحديثا حقها بما لامحل للمزيد عليه ، وانما كان ذلك منا لأنه مقتضى الكلام والحافز عليه من جهة ، ولأننا نعتقد أن الاعجاز القرآنى هو فى المحتوى فى الدرجة الأولى وهو ما اهتم القرآن للتنويه به أكثر والله أعلم .[1] .

ومما سبق يتبين بكل قوة ووضوح بطلان ما ادعاه المبشرون والمستشرقون فى الماضى والحاضر من أن القرآن غير معجز ، وتبين بما لايقبل ذرة من الشك الاعجاز العظيم للقرآن الكريم فيما عرفناه من لفظ ومعنى ونظم ومحتوى وعلم طبيعى أو أخلاق وغيب ماضى وغيب مستقبلى الى مالم نعرفه بعد من أسرار ، وأن اعجازه هذا باق الى يوم القيامة ، وصدق رسول الله : « ألا انها ستكون فتنة ، فقلت : ما المخرج منه يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ماقبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد[2] من قال

---

(١) راجع : القرآن والمبشرون ص٣٣٤ / ٣٣٥ ، ص٣٢٧ / ٣٢٨ .
(٢) الجن ١ / ٢ .

به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم »[1] .

وبعد هذا الوصف الشائق الشامل للقرآن المروى عمن أنزل عليه القرآن والذى هو أدرى الناس بمدى اعجازه على الذين ادعوا أنه ليس معجزا ان يأتونا بما لديهم من توراة وانجيل لنرى أى الكتب خير وأيها أصدق . فهل بقى بعد هذا كله أى شبهة أو أثر لتلك المقولة السخيفة : « ان القرآن ليس معجزا » واذا كان القرآن غير معجز فما المعجز اذن وكيف يكون الاعجاز ؟ حقا . . اذا لم تستح فاصنع ما شئت ! .

رابعا : « إن القرآن قد حرف وبدل » .

وهذا قول كاذب وادعاء باطل ، ساقهم اليه حقد دفين وبغض شديد وفهم خاطىء للقرآن الكريم ، أرادوا به أن يردوا الصاع صاعين للقرآن الكريم الذى فضحهم وعراهم وأثبت تحريفهم للتوراة والانجيل ، وأرادوا أن يحاربوه ويهاجموه بنفس سلاحه فوضعوا كعادتهم الكلمات فى غير مواضعها ، واستخدموا لسوء فهمهم الألفاظ فى غير معانيها ، وعادت سهامهم المسمومة الى نحورهم ، واليك بيان ذلك بالتفصيل : .

١ - **فأما قولهم** : إن القرآن قد حرف وبدل فيرده المعلوم من تاريخ القرآن على مر العصور والكثير من الآيات القرآنية التى تبين كيف كان ينزل القرآن على رسول الله ﷺ ، وكم كان حريصا على حفظه ومراجعته مع الروح الأمين جبريل عليه السلام ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يمليه على أصحابه

---

(١) المسند جـ١ ص٩١ ، سنن الدارمى جـ٢ ص٤٣٥ ، سنن الترمذى جـ٨ ص٢١٨ حديث رقم ٢٠٧٠ ، انظر : الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى تحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد جـ١ ص٤٢ وهامشها . وذكره ابن عطية فى تفسيره المحرر الوجيز : المقدمة جـ١ ص ١٣ / ١٤ وهامشها .

ومن بينهم كتاب الوحى رضوان الله عليهم أجمعين فور نزوله ، فانضم بذلك تدوين السطور الى حفظ الصدور عند أكثر من واحد مع رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين * وانه لفى زبر الأولين * أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل * ولو نزلناه على بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين * لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم** ﴾[1] .

وقال : ﴿ **وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم** ﴾[2] وقال : ﴿ **لاتحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه** ﴾[3] وقال : ﴿ **وإنه لكتاب عزيز * لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[4] .

وقال : ﴿ **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات التى تؤكد نزوله وتلقيه وحفظه باحكام واتقان ، فمن الذى حرف اذن وبدل ! جبريل الذى نزل به بأمانة ؟ أم محمد ﷺ الذى تلقاه بلهفة وعناية ، أم أصحابه الذين حفظوه وكتبوه تحت مراجعة النبى ﷺ واشرافه ؟ .

٢ – ينفى القرآن الكريم أن يكون رسول الله ﷺ كان له أى تدخل فى نزول القرآن الكريم بحروفه وكلماته ومعانيه ، وأنه مجرد حافظ ومبلغ ، ثم

---

(١) الشعراء ١٩٢ــ ٢٠١ .
(٢) النمل ٦ .
(٣) القيامة ١٦ــ ١٩ .
(٤) فصلت ٤١ــ ٤٢ .
(٥) هود : ١ .

مفسر ومبين قال تعالى : ﴿ **انه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين * وأنه لتذكره للمتقين * وأنا لنعلم أن منكم مكذبين * وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم** ﴾[1] وقال : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** ﴾[2] إلى غير ذلك من الآيات التى تنفى بقطع ووضوح أى تدخل من رسول الله ﷺ فى آيات القرآن فمن الذى بدل اذن ؟ .

٣ – عرفنا من الفقرة السابقة – الأولى – أن رسول الله ﷺ كان ينتظر الوحى ونزوله بالقرآن الكريم فيما يخصه شخصيا وفيما يخص الأمة وفيما يخص الرسالة وفى اتخاذ القرارات ، وفى اجابات الأسئلة التى توجه اليه ، ورغم الحرج الذى كان النبى ﷺ يتعرض له سواء فيما يخصه شخصيا أو فيما يخص الناس ، كان رسول الله ﷺ ينتظر بفارغ الصبر نزول الوحى بالقرآن الكريم ، فلو كان يمكنه التحريف أو التبديل أو الزيادة أو النقصان لفعل ذلك خصوصا فى أوقات الشدة أو فيما يخصه ويخص بيته كحديث الافك ، ولكان يغير ما يمسه شخصيا بالعتاب والمؤاخذه كسورة عبس أو سورة براءة ومواقفه من بعض المنافقين أو موضوع أسرى بدر أو خلافاته مع زوجاته . . إلى غير ذلك .

٤ – أن الله تعالى تولى بنفسه حفظ القرآن الكريم من أى تغيير أو تحريف أو زيادة أو نقصان ، من نزوله إلى قيام الساعة قال تعالى : ﴿ **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** ﴾[3] فلا يمكن أن يصل اليه أى تحريف مهما كان

---

(١) الحاقة ٤٠ــ ٥٢ .

(٢) النساء ٨٢ .

(٣) الحجر ٩ .

وهذا بخلاف الكتب السابقة التى القى الله تعالى مسئولية حفظها على أهلها فامتدت أيديهم اليها بالتحريف والتغيير . قال ابن عطية فى تفسير هذه الآية : « والمعنى : لحافظون من أن يبدل أو يغير كما جرى فى سائر الكتب المنزله » . وفى آخر ورقة من البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن التبديل فيهما انما كان فى التأويل ، وأما فى اللفظ فلا ، وظاهر آيات القرآن أنهم بدلوا اللفظ ، ووضع اليد على آية الرجم هو فى معنى تبديل الألفاظ[1] ، وقيل : لحافظون باختزانه فى صدور الرجال والمعنى متقارب ، وقال قتادة : هذه الآية نحو قوله تعالى : ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** ﴾[2][3] فمن يستطيع أن يغير ما حفظه الله ؟ ثم كيف يحدث ذلك ؟ وأين هو ؟ وقد عرفنا من الفقرة الأولى أن القرآن وحى فى لفظه ونظمه ومعناه وترتيبه فمن عساه يغير حرفا من ذلك الوحى ؟ .

٥ – جمع القرآن الكريم بعد وفاة الرسول ﷺ مرتين : المرة الأولى فى خلافة أبى بكر بمشورة عمر رضى الله عنهما بعد موقعة اليمامة ، وكان هذا الجمع باشراف كاتب الوحى زيد بن ثابت رضى الله عنه وكان عبارة عن ترتيب الصحف المتفرقة من جلد وحجارة وعظام بناء على المحفوظ فى الصدور بحيث يضمها رباط واحد بدل بعثرتها وتفرقها ، وكان ذلك خوفا من مرور الوقت بعد وفاة الرسول ﷺ ووفاة الصحابة القراء الحافظين فيختلف الترتيب فيما بعد عما نزل وحفظ فجمعه أبو بكر فى اطار واحد وأجمع عليه الصحابة وحفظ ذلك المصحف المجموع المرتب عند أبى بكر ثم عمر ثم حفصة رضوان الله عليهم أجمعين . أما المرة الثانية فكانت فى خلافة

---

(١) البخارى باب المناقب .

(٢) فصلت ٤٢ .

(٣) تفسير ابن عطية جـ٨ ص٢٨٥ .

عثمان رضى الله عنه حين بلغه أن خلافات قد بدأت تظهر فى قراءة القرآن نتيجة كثرة الفتوحات ودخول أجناس جديدة بلغاتهم فى الاسلام فكان لابد من حسم الأمر وقطع دابر الاختلاف مهما كان ولو صغيرا ، وقام عثمان بتشكيل لجنة بقيادة زيد بن ثابت رضى الله عنه أيضا لكتابة القرآن من مصحف أبى بكر بلغة واحدة هى لغة قريش ، وقد تم ذلك ونسخ منه عدة نسخ وزعت على جميع العواصم فى الأمصار الاسلامية لتكون المرجع الذى يعتمد عليه ويرجع اليه وبذلك تم قتل الفتنة منذ ولادتها والحمد لله[1] .

ومن يومها والأمة الاسلامية تتلقى القرآن الكريم بهذا الرسم العثمانى بالتواتر المنقطع النظير حتى يومنا هذا ، ولم يتح ذلك لغير القرآن الكريم فهو أصدق وثيقة على الاطلاق فى الدنيا ، وقد حاول بعض الأعداء تغيير بعض الآيات والكلمات ففضحهم الله تعالى أكثر من مرة وبقى القرآن بحمد الله تعالى وحفظه كما نزل على محمد ﷺ تطبيقا وتحقيقا لقوله تعالى :﴿ **انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** ﴾ فأين ذلك التغيير الذى تدعون ؟ وأين التحريف الذى تزعمون ؟ وقد شهد بذلك بعض المنصفين من غير المسلمين يقول لوبلوا : (ان القرآن هو اليوم الكتاب الربانى الوحيد الذى ليس فيه أى تغيير يذكر) ، وكان (موير) قد أعلن ذلك قبله اذ قال : ان المصحف الذى جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد إلى يد حتى وصل الينا بدون أى تحريف ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أى تغيير يذكر ، بل نستطيع أن نقول انه لم يطرأ عليه أى تغيير على الاطلاق فى النسخ التى لا حصر لها والمتداوله فى البلاد الاسلامية الواسعة ، فلم يوجد الا قرآن واحد لجميع الفرق الاسلامية المتنازعة ، وهذا الاستعمال الاجماعى لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم يعد أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل

---

(١) انظر : مدخل إلى القرآن الكريم ص٣٦ــ ٣٨ ، وانظر : تفسير ابن عطية جـ١ ص ٥٠ــ ٥٣ .

الموجود معنا والذى يرجع إلى الخليفة المنكوب عثمان الذى مات مقتولا[1] .

٦ – لم يبق بعد ذلك من حجج أو شبهات الا ما استندوا اليه – لسوء فهمهم – من بعض الآيات ، أو فهموها ولكن حقدهم أعمى بصائرهم حتى قالوا ما قالوه ، فقد كان من رحمة الله تعالى بعباده وتيسيره عليهم أن تدرج معهم فى تكاليفه وتشريعاته فى نقلهم من ظلام الجاهلية إلى نور الاسلام ونظامه وضوابطه وقد اقتضى هذا التيسير والتدرج أن ينسخ الله تعالى بعض الآيات ويأتى بآيات أخرى وأحكام أخرى أخف وأيسر ، وكان رسول الله ﷺ يعرف أصحابه بذلك بعد نزول جبريل عليه السلام بالتغيير وتعريفه بالنسخ ، فالمغير اذن هو الله تعالى ، المبدل هو الله عز وجل لا رسوله وأصحابه وأمته ، وهذا باب معروف من أبواب علوم القرآن والتشريع الاسلامى ، وهو « النسخ » وفيه يقول الله تعالى : ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير** ﴾[2] وقد يكون النسخ للتلاوة والحكم معا وقد يكون لأحدهما مع بقاء الآخر وذلك معروف فى القرآن الكريم ، وقد نعى الله تعالى على المشركين وعلى من جاء بعدهم إلى يوم القيامة ممن يشبههم فى مقولتهم عن ذلك النسخ بأنه تحريف وتبديل كما فعل اليهود والنصارى ووصفهم الله تعالى بالجهل وسوء الفهم فقال تعالى : ﴿ **واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾[3] فالناسخ والمبدل هو الله تعالى رحمة بعباده وتيسيرا عليهم لعلمه عز وجل بما ينفعهم ويصلحهم ، أما اليهود والنصارى فقد كانوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويكتبون الكتاب بأيديهم

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم ص ٤٠ .

(٢) البقرة ١٠٦ .

(٣) النحل ١٠١ .

ويكذبون ويقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا .

٧ – وأما مانقص من سورة الأحزاب أو غيرها فليس كما يقول تيمو ثاوس لأن جديا أكله ، وانما لأن الله تعالى نسخه ، ومن ذلك الآية المشهورة فى رجم الزانى والزانية « الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم »[1] وغيرها مما ورد فى حديث عمر رضى الله عنه[2] وهذا مما نسخ تلاوة وبقى حكما .

وأما أسماء السور التى ذكرها تيمو ثاوس وادعى أنها فقدت من القرآن الكريم فلا أساس لها ، فسور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة توقيفا واجماعا وتواترا . وما هذه الأسماء التى ذكرها الا أسماء وردت فى قنوت رسول الله ﷺ وبعض أدعيته ، وليست أسماء لسور من القرآن ، فالقرآن كما أشرنا من قبل ، حفظ فى حياة النبى ﷺ فى الصدور والسطور ، ثم جمع فى عهد أبى بكر رضى الله عنه فى اطار واحد ، ثم نسخ فى عهد عثمان رضى الله عنه بلغة واحدة فى عدة مصاحف ثم بقى هكذا وسيظل إلى أن تقوم الساعة محفوظا بحفظ الله وعنايته . .

وأما ماورد فى الموسوعة الروسية مما سبقت الاشارة اليه فتخريف من قائليه ومدونيه يدل على عدم فهمهم للقرآن الكريم الذى جمع بين أخبار الماضين والحاضرين والمستقبلين ، وظنوا أن ذلك الجمع تطور من الكتاب الذين ألفوه ولم يفهموا أن ذلك من اعجازه العظيم وأن يد التحريف لاتمتد اليه . يقول الأستاذ مالك بن نبى « ولقد امتاز القرآن الكريم بميزة فريدة هى أنه تنقل منذ أربعة عشر قرنا دون أن يتعرض لأدنى تحريف أو ريب ، وليست هذه

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٣ ص٤٦٥ .

(٢) انظر سنن ماجة بتحقيق الألبانى جـ٢ ص٨١ حديث رقم ٢٥٥٣ ، وتفسير ابن عطية جـ١٢ ص١ وهامشها .

حال العهد القديم « التوراة » الذى لم تعترف له بالصحة الدراسة النقدية للشراح المحدثين فيما عدا واحد من كتبه هو كتاب « أرمياء » وليس العهد الجديد « الانجيل » بأسعد حالا فقد ألغى مجمع أساقفة (نيقيه) كثيرا من أخباره مما زرع الشك حول ما تبقى منه وهو (الانجيل) وهذه الأخيرة بدورها لاتعتبر الآن من الصحاح لأن النقد أثبت أنها وضعت بعد المسيح بأكثر من قرن أى بعد عصر الحواريين الذين تنسب اليهم التعاليم المسيحية ، وعلى هذا فان شكوكا كثيره تحوم حول القضية التاريخية للوثائق اليهودية والمسيحية »[1] ثم يقول : « هذا التحديد الكامل للنص القرآنى على عهد النبى ﷺ نفسه يعد ظاهرة جديرة بالملاحظة من وجهة علم الاجتماع وعلم النفس بخصوص الوسط العربى فى العصر المحمدى ، فتلك نقطة جوهرية تستحق البحث والوقوف أمامها ، اذ ليست هناك مشكلة تدوين بالنسبة للقرآن كما هو الأمر بالنسبة للكتاب المقدس وهى ايضا مؤيدة بحقائق التاريخ التى ينبغى أن نلفت اليها انتباه القارئ ليلاحظ هو ايضا توافق واقع التاريخ مع هذه الآية : ﴿ **وانا له لحافظون** ﴾ ومع ذلك فان لهذا الحفظ تاريخه ، فكلما كان الوحى يتنزل كانت آيات القرآن تثبت فى ذاكرة الرسول ﷺ وصحابته ، وتسجل فورا بأيدى أمناء الوحى حيث كانوا يستخدمون من أجل ذلك كل ما يصلح للكتابة كعظام الكتف أو قطع الجلد ، حتى اذا قبض رسول الله ﷺ كان القرآن محفوظا فى الصدور مدونا فى الصحف ، فكان من الممكن كلما دعت الحاجة مقارنة الآيات بعضها ببعض ولاسيما حين يعرض اختلاف من نوع صوتى أو لهجى ، وفضلا عن ذلك فسنجد أن هذه المقارنة تحدث مرتين ، والطريقة التى نفذت بها هى فى ذاتها حدث فذ فى تاريخ الصناعة العقلية الانسانية فللمرة الأولى تتجلى صفات الطريقة

---

(١) الظاهرة القرآنية ص١١١ / ١١٢ وانظر أيضا : الاسلام فى مواجهة الاستشراق ص٢٧٣ / ٢٧٦ .

المنهجية فى عمل عقلى ، كما تتجلى الدقة التى هى الآن وقفا على التفكير العلمى وبهذا يكون القرآن الكريم هو الكتاب الدينى الوحيد الذى يتمتع بامتياز الصحة التى لا جدل فيها بحيث لم يثر النقد أية مشكلة حوله سواء أكان ذلك من حيث الشكل أو الموضوع »[1] فمن أين يجىء التحريف والتبديل ؟ وكيف يقع بعد كل هذه الاجراءات الربانية والنبوية والصحابية والاسلامية ؟ أليس ذلك كما رأينا مستحيلا وهذا ما جعل المستشرق الفرنسى الأستاذ ديمومبين يقول فى كتابه عن الاسلام : « ان المنصف لا مناص له من أن يقر بأن القرآن الحاضر هو القرآن الذى كان يتلوه محمد »[2] .

خامسا : ادعاء التناقض فى القرآن .

ادعى أعداء الاسلام والقرآن أن القرآن يناقض بعضه بعضا ، أحيانا فى اللفظ وأحيانا فى المعنى ، وساقوا لذلك عددا من الآيات الكريمة لا تناقض بينها فى شىء كما سنرى – الا فى فهمهم البليد ، أو بسبب حقدهم البغيض ، وقد ذكرنا فى الفصل الثانى نماذج من هذه الدعوى وسنناقشها فى هذه الفقرة لنبين بطلانها ، وقبل هذه المناقشة نذكر بما سبق أن قدمناه من الحقائق التى تؤكد عدم وجود أى ثغرة للتناقض فى القرآن الكريم .

١ – فهو – كما عرفنا – من وحى الله تعالى ، والتناقض مستحيل عليه عز وجل .

٢ – وهو معجز والاعجاز قمة الأداء فاذا دخله التناقض لم يكن كذلك .

٣ – وهو المحفوظ بعناية الله تعالى فى صدور عباده وسطور مصاحفهم ، فكيف يقع التناقض فيه وهو من مظاهر الخلل لا الحفظ .

٤ – وهو الذى أثبت الله له الاحكام ونفى عنه الباطل فكيف يقع التناقض فيه ؟ .

---

(١) الظاهرة القرآنية ص١١٣ / ١١٤ باختصار .

(٢) القرآن والنبى ص٥٩ .

وبعد هذه الحقائق الثابتة الكافية فى ابطال هذه الدعوى نسوق الآيات التى استشهدوا بها لنبين سوء فهمهم وجهلهم وحقدهم البغيض للقرآن :

أ – قالوا أن الآية : ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى إلى انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم** ﴾[1] تتناقض مع الآية : ﴿ **واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون** ﴾[2] وذلك الذى زعموه لأنهم فهموا أن الآية الأولى تنفى التبديل فى القرآن ، والآية الثانية تثبته ، هكذا فهموا فهل هذا فهم صحيح ؟ .

كلا لأن الآية الأولى تنفى أن يقوم رسول الله ﷺ بتبديل شيء من القرآن تلبية لطلب المشركين ، لأنه صلى الله عليه وسلم ليس له من أمر القرآن شيء ، فهو لايستطيق أن يغير أو يبدل فيه شيئا والا تعرض للعذاب العظيم . والآية الثانية تؤكد هذا المعنى لأنها نسبت التبديل إلى الله تعالى وحده ، وهذا ينفى امكانية ذلك لغير الله تعالى ، فمضمون الآيتين واحد وهو أن المبدل هو الله وليس محمدا ، أما التناقض الحقيقى فهو فى موقف المشركين الذين كانوا يطالبون الرسول ﷺ بالتبديل والتغيير ، فاذا وقع من الله تعالى تبديل عابوا على النبى ﷺ واتهموه بالكذب والافتراء ، وما أشبه تناقض اليهود والنصارى بتناقض المشركين فكلهم يقولون على الله ورسوله وكتابه مالا يعلمون .

ب – قالوا : ان الآية ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأتِ بخير منها أو**

---

(١) يونس ١٥ .

(٢) النحل ١٠١ .

مثلها ﴾[1] تتناقض مع الآية **﴿ واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ﴾**[2] وليس ذلك صحيحا لأن الآية الأولى يبين الله تعالى فيها أنه يراعى أحوال العباد ومصالحهم فاذا نسخ آية أو حكما فانه يأتى بما هو خير منه للناس فى معاشهم ومعادهم ، والآية الثانية تبين أنه لا يستطيع أحد أن يبدل كلام الله أو شيئا منه ، فهل نفى التبديل عن الخلق يشمل الخالق عز وجل ؟ كلا ، فأين التناقض ؟ .

ج – قالو : ان الآية **﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾**[3] تناقض الآية : **﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت ﴾**[4] فهل هذا صحيح ؟ كلا ، فالآية الأولى تؤكد حفظ الله تعالى للقرآن من أن تمتد له يد التحريف والتغيير كما امتدت إلى الكتب السابقة ، ولكنها لا تحجر على الله تعالى أن يمحو وينسخ مايشاء من آياته ويثبت ويبقى ما يشاء ، كما جاء فى الآية الثانية فهم يخلطون بين الله تعالى وخلقه وحاشا لله أن يكون كذلك ، فهو سبحانه يمحو من الأحكام ما يشاء ، ويثبت من الأحكام ما يشاء ، وما يمحوه أو يثبته لا تمتد اليه يد أحد بالتغيير أو التبديل لأن الله حفظه .

د – قالوا : ان الآية **﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ﴾**[5] تتعارض مع قوله **﴿ تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾**[6] فهل هذا صحيح ؟ كلا والله فالعدد فى الآيتين لا يقصد به حقيقته وانما هو كناية

---

(١) البقرة ١٠٦ .
(٢) الكهف ٢٧ .
(٣) الحجر ٩ .
(٤) الرعد ٣٩ .
(٥) السجدة ٥ .
(٦) المعارج ٤ .

عن الطول ، وهذا معروف فى البلاغة وفى عرف الناس ، كلفظ السبعين فى قوله تعالى : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾[1] فلا يعنى ذلك أن رسول الله ﷺ لو استغفر لهم أكثر من سبعين يغفر الله لهم ، وانما معناه : لافائدة من الاستغفار للمنافقين مهما كان عدده فلا تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم ، ولذلك قال رسول الله ﷺ « لو علمت أنى اذا زدت على السبعين يغفر لهم لزدت »[2] ، وكما تقول لصديقك : جئتك عشر مرات أو أكثر ، تريد أنك زرته كثيرا ، وهكذا ، فالقرآن يعبر عن يوم القيامة بألف سنة أو خمسين ألف سنة ولا يريد عدد السنوات ، وانما يريد أنه يوم طويل ، فأين التناقض إن كنتم تفهمون ؟ .

هـ – قالو إن الآية ﴿ **لا أقسم بهذا البلد** ﴾ والآية ﴿ **وهذا البلد الأمين** ﴾ متناقضتان ، فالآية الأولى تنفى القسم والثانية تثبته ، هكذا يقولون لأنهم لايفهمون العربية واستخداماتها ودلالات حروفها وتنوعها ، لقد ظنوا أ (لا) نافية ، ورتبوا على ذلك أنه لا قسم فكيف يقسم بعد ذلك ؟ . ونقول لهم : أن (لا) ليست نافية ولكنها تأكيد للقسم كقوله تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** ﴾[3] وهذا شائع فى اللغة العربية لمن يعرفها ويتذوقها[4] فلا تناقض بين الآيتين .

و – قالوا إن الآية : ﴿ **قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون** ﴾[5] تتناقض مع الآية ﴿ **ما لكم من دونه من**

---

(١) التوبة ٨٠ .

(٢) رواه أحمد والبخارى والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وغيرهم ، أنظر تفسير ابن عطية جـ٦ ص٥٨١ .

(٣) النساء ٦٥ .

(٤) انظر : مفتريات على الاسلام ص ٧٠ .

(٥) الزمر ٤٤ .

ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون ﴾[1] والآية : ﴿ يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد اذنه ﴾[2] فهل هذا صحيح ؟ كلا ، لأنهم فهموا خطأ أن الآية الأولى تقصر الشفاعة على الله ، والآيتان الأخريان فيهما شفاعة لغير الله ، وهذا فهم خاطىء فالأمر كله لله تعالى ، وما دام الأمر كذلك فليس لأحد شفاعة من دون الله ، ولكن اذا أذن الله لأحد أن يشفع كان له ذلك باذن من الله ، فالأمر كله لله ان أذن فى الشفاعة وجدت ، وان لم يأذن فلا شفاعة ، فأين التناقض ؟ .

ز – قالوا : إن الآيتين ﴿ ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ﴾[3] تتناقضان مع الآيتين ﴿ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ﴾[4] وهذا خطأ لأن الآيتين الأوليين تتحدثان عن السابقين المقربين ، وهم كما تشير الآية الأولى كانوا كثيرين فى صدر الاسلام ثم قلوا بعد ذلك ، أما الآيتان الأخريان فتتحدثان عن أصحاب اليمين بصفة عامة ، وهؤلاء كثيرون بحمد الله فى أمتنا وفى الأمم السابقة ، أو فى عصر الرسول ﷺ وفيمن جاء بعد ذلك ، فلا تناقض لأن الموضوع مختلف .

ح – قالوا : إن الآية : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ﴾[5] تتناقض مع الآية ﴿ يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ﴾[6] لأن الأولى تأمر بالصفح والثانية تأمر بالقتال . فهل هذا صحيح ؟ كلا ، لأن الآية الأولى

---

(١) السجدة ٤ .
(٢) يونس ٣ .
(٣) الواقعة ١٣ / ١٤ .
(٤) الواقعة ٣٩ / ٤٠ .
(٥) الحجر ٨٥ .
(٦) التوبة ٧٢ .

من سورة الحجر وهى مكية و لم يكن قد نزل الأمر بالجهاد بعد فكان رسول الله ﷺ وأصحابه مأمورين بالصبر والصفح والعفو ، فلما هاجروا إلى المدينة أذن الله لهم فى القتال وفرض عليهم الجهاد كما جاء فى الآية الثانية ، إذا لا تناقض لأن كل آية فى مرحلة ولأن لكل آية موضوعا ومناسبة وليستا فى موضوع واحد .

ط – قالوا : إن الآية : ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا** ﴾[1] تتناقض مع الآية : ﴿ **قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** ﴾[2] لأن الآية الأولى حرمت الربا ، والثانية أجازته ، هكذا يقولون ، وهذا كذب لأن الآية الأولى حرمت الربا فعلا ، والثانية فرضت الجزية وليس الربا على أهل الكتاب ، فأين الربا المحرم من الجزية المفروضة ؟ أليس التناقض فى زعمهم وحدهم ؟ .

ى – قالوا إن الآية : ﴿ **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا** ﴾[3] تتناقض مع الآية : ﴿ **الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين** ﴾[4] حيث الآية الأولى تأمره بترك الكافرين والمنافقين ، والثانية تأمره بقتالهم وعدم تركهم ، وهذا غير صحيح لأن الآية الأولى أمر بترك الأذى لا بترك الجهاد ،

---

(١) البقرة ٢٧٥ .

(٢) التوبة ٢٩ .

(٣) الأحزاب ٤٨ .

(٤) الأنفال ٦٦ .

والأذى منه ماهو قولى وما هو فعلى ثم جاءت الآية الأخرى لتؤكد على الجهاد ومهما كان عدد المسلمين قليلا فالفرد منهم بعد التخفيف من الله بفردين ، والجهاد من صميم التوكل على الله ، فلا تناقض كما رأينا .

ك – قالوا : إن الآية ﴿ **فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد** ﴾[1] تناقض الآية : ﴿ **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله ، فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** ﴾[2] .

فالآية الأولى ذكرت أنه ليس على الرسول إلا البلاغ ، والآية الثانية أمرته بقتال المنافقين وجهادهم . هكذا يقولون فهل هذا صحيح ؟ كلا ، فالآية الأولى تتحدث عن أهل الكتاب والمشركين ، والثانية تتحدث عن المنافقين والأولى تبين أن النبى ﷺ ليس مسئولا الا عن التبليغ حتى لايحزن عليهم ، أما الثانية فتبين وجوب قتالهم وعدم الحزن عليهم لأنهم قد أبلغوا وأساءوا إلى أنفسهم والى المؤمنين فلا تجوز مصادقتهم ولا السكوت عنهم ولا الحزن عليهم ، فأين التناقض ؟ .

وهكذا قدموا نماذج أخرى من هذه الأمثلة التى تدل كما رأينا على أحد أمرين إما جهل باللغة العربية وبلاغتها ودلالات ألفاظها وطرق أساليبها ولذلك لم يفهموا فحكموا بالتناقض بين غير المتناقضين ، وإما أنهم يفهمون ولكن حقدهم أعمى عيونهم وبصائرهم حتى قالوا ماقالوه .

ل – أما التناقض من جهة المعانى فيقدم لنا الأستاذ العقاد نماذج منها ويرد

---

(١) آل عمران ٢٠ .

(٢) النساء ٨٩ .

عليها نكتفى ببعضها يقول : قرأنا لبعضهم أخيرا كتابا عن الشيطان يلم فيه بصفة ابليس فى الاسلام ويستغرب فيه من هذا الدين أن يقول عن الله أنه أمر الملائكة بالسجود لآدم ، مع أن الدين الذى اشتهر بغاية التشدد فى انكار الشرك وتكفير كل ساجد لغير الله ، ومرد الخطأ فيما بدر إلى الكاتب من التناقض بين التوحيد وبين السجود لآدم أنه فهم السجود بمعنى الصلاة دون غيرها من معانى الكلمة فى اللغة العربية[1] وفاته أن الكلمة عرفت فى اللغة العربية أن يعرف العرب صلاة الاسلام ، و لم يفهموا منها أنها كلمة تنصرف إلى العبادة دون غيرها لأنهم يقولون : سجدت عينه أى أغضت ، وأسجد عينه أى غض منها ، وسجدت النخلة أى مالت ، وسجد أى غض رأسه بالتحية ، وسجد لعظيم أى وقره وخشع بين يديه ، ولا تناقض على معنى من هذه المعانى بين السجود لآدم وتوحيد الله ، وانما السجود هنا هو التعظيم المستفاد من القصة كلها ، وهو تعظيم الانسان على غيره من المخلوقات ، وبعضهم يرى أن الاسلام مناقض بطبيعته للعمل والسعى فى سبيل الحياة لأنه يفهم من الاسلام أنه التواكل وتسليم الأمر لله بغير حاجة إلى الحول والقوة لأنه لا حول ولا قوة الا بالله ، وجهل هؤلاء بالفهم أكبر من جهلهم باللغة لأن الاسلام إلى الله وحده وتحريم الاسلام لغيره يأبى على المسلم أن يسلم للظلم وللقسمة الجائرة ، وأن يستسلم لكل قضاء لايرضاه ، ويعلم أن الله لايرضاه ، وبعضهم يرى أن الاسلام والسلم نقيضان لأنه يفهم من كلمة أسلم أنها التسليم فى الحرب أو التسليم قبل الحرب خوفا من القتال ، فكل مسلم فهو خاضع للسيف هزيمة بعد الحرب أو خوفا من الحرب قبل اشهارها عليه ، وهؤلاء الذين يتحذلقون على اللغة العربية التى يجهلونها يفوتهم أن كلمة أسلم فى ميدان الحرب هى نفسها مأخوذة من اعطاء اليد أو بسطها

---

(١) فقد ترجم كازيمرسكى « اسجدوا لآدم » « اعبدوا آدم » انظر : المستشرقون : نجيب العقيقى جـ٣ ص١١٥٣ .

للمصافحة ، وان المقصود بهذه الكلمة فى الدين أنها استقبال الله والاتجاه اليه ، فمن أسلم وجهه لله فقد استقبل طريقه وأعطاه وجهه ولم يتحول عنه إلى غيره . . . ، وهكذا نجد الأستاذ العقاد يعزو ما فهمه أعداء الاسلام على أنه تناقض فيه إلى خلل فى أنفسهم راجع إلى سوء فهمهم للاسلام وللغة العربية يقول : « ويندر أن نقرأ فى كلام ناقد من الأجانب عن اللغة العربية شيئا من مآخذ الناقض فى الاسلام الا بدا لك بعد قليل أنه مخطىء ، وأن مرد الخطأ عنده إلى جهل الاسلام أو جهل اللغة العربية ، وبعضهم يجهلها وهو من المستشرقين لأنه يستظهر ألفاظها ولا يتذوقها ، ولا ينفذ إلى لبابها من وراء نصوص القواعد والتراكيب . . . وأكثر ما اطلعنا عليه من النقائض المزعومة فهو من قبيل هذه الأخطاء فى التفرقة بين الكلمات على معانيها المطلقة وبين هذه الألفاظ على معانيها التى قيدها الاصطلاح أو خصصتها لغة القرآن الكريم ، وفيما عدا هذه النقائض وما اليها يروع الباحث فى الاسلام ذلك التناسق بين عقائده وأحكامه وأخلاقه[1] .

وهذا الذى نبه اليه الاستاذ العقاد ذكرته مستشرقة انجليزية واعترفت به على اخوانها من المستشرقين والمبشرين ، وهذا أبلغ رد على هؤلاء الجاهلين الحاقدين تقول المستشرقة « تشاريس وارى » : ان الغربيين لم يعرفوا الاسلام الا من الغربيين ولم يعرفوه من أهله ، ولا من مصادره ، فهم عرفوه من أعدائه ، ولو ان هؤلاء حذقوا اللغة العربية وتذوقوا بلاغة القرآن لأدركوا اعجازه وانه تنزيل من حكيم حميد[2] .

وبهذا بطلت دعوى هؤلاء الأعداء بتناقض آيات القرآن أو ألفاظه أو معانيه ، وبقى القرآن ، وسيبقى إلى قيام الساعة فى قمة العظمة من البلاغة

---

(١) حقائق الاسلا ص٢٧٦ــ ٢٧٨ بتصرف واختصار .

(٢) رد مفتريات على الاسلام ص١٠٤ .

والفصاحة والاتساق والانسجام محفوظا بعناية الله لا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد وكيف لا وهو تنزيل الحكيم الحميد سبحانه وتعالى .

✲✲✲

سادسا : ادعاؤهم أن فى القرآن أخطاء كثيرة وأنه يتعارض مع العلم .

عرفنا من قبل أن أعداء الاسلام اتهموا القرآن الكريم بالوقوع فى أخطاء كثيرة ، بعضها تاريخى ، وبعضها لغوى ، وبعضها تشريعى ، وبعضها علمى ، وسقنا هناك أمثلة مما قالوه ، ونحن هنا بعون الله تعالى وتوفيقه نبين بطلان هذه الاتهامات وزيف هذه الافتراءات وردها على أصحابها الحاقدين الجاهلين ، واليك البيان : .

أ – مازعمه « فريدريك بلس » أن القرآن الكريم لم يفرق بين مريم والدة عيسى عليه السلام وبين مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون ، يشير بذلك إلى قوله تعالى فى قصة مريم أم عيسى ﴿ **يا أخت هارون ماكان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا** ﴾[1] يقول بلس : فكيف تكون مريم أخت موسى التى عاشت قبل المسيح بألف وأربعمائة سنة هى أم المسيح[2] ونقول : أن بلس أساء فهم القرآن الكريم و لم يتذوق لغته العربية شأنه فى ذلك شأن كل اخوانه ممن سبقت الاشارة إلى جهلهم بالاسلام واللغة العربية فى الفقرة السابقة ، فلم يعرف بلس أن هذا الخطاب من باب الكناية فى علم البلاغة ، فليس المقصود أنها أخت هارون عليه السلام فى النسب والسن ، وانما أخته فى الدين والخلق والعفة ، فكما أن هارون عليه السلام لايقع منه الفحش ، فكذلك مريم عليها السلام لايقع منها ذلك ومن ذلك

---

(١) مريم ٢٨ .

(٢) التبشير والاستعمار ص٤١ .

قولنا وقول السابقين : يا أخا العرب ، يا أخا اليهود ، ونحو ذلك لمن يتخلق بأخلاقهم ولو لم يكن من بنى جلدتهم ، ولا يمت لهم بصلة ، فليس المراد من : يا أخت هارون ، أنها أخته من أبيه وأمه ، وانما هى أخته وشبيهته فى التقوى والطهارة ، والأمر كذلك فيما جاء عنها فى سورة التحريم : ﴿ **ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها** ﴾[1] وهى ليست ابنته نسبا انما هى ابنته فى الدين والتقوى ورعاية الله عز وجل وبركته واصطفائه[2] .

وقد يكون عمران هذا ليس أبا موسى وهارون ، ولكنه عمران بن ماثال رجل من بنى اسرائيل من ولد سليمان بن داود عليهما السلام[3] . وسواء كان المراد هذا أو ذاك فمريم ليست ابنة أو أختا لأى منهما على الحقيقة ، ولكن كما عرفنا على المجاز ، قال ابن عطية : « واختلف المفسرون فى معنى قوله عز وجل : ﴿ **يا أخت هارون** ﴾ فقالت فرقة : كان لها أخ اسمه هارون لأن هذا الاسم كان كثيرا فى بنى اسرائيل تبركا باسم هارون أخى موسى عليهما السلام . وروى عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ أرسله إلى نجران فى أمر من الأمور ، فقالوا أن صاحبك يزعم أن مريم هى أخت هارون[4] . وبينهما فى المدة ستمائة سنة ، قال المغيرة / فلم أدر ما أقول ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له ، فقال : ألم يعلموا أنهم كانوا يسمون باسم الأنبياء والصالحين[5] وفى هذا اشارة إلى أن الاخوة على الحقيقة وأن مريم كان لها أخ يسمى هارون تبركا باسم هارون أخو موسى

---

(١) التحريم ١٢ .

(٢) انظر : رد مفتريات على الاسلام ص ١٦٤ .

(٣) انظر : تفسير ابن عطية جـ٤ ص٨٣ .

(٤) وهذا يؤكد أن الادعاء قديم يردده المعاصرون .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذى والنسائى وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبى حبان والطبرانى وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل (الدر المنثور) .

عليهما السلام . قال القاضى أبو محمد رحمه الله : فالمعنى أنه اسم وافق اسما ، وقال السدى وغيره : بل نسبوها إلى هارون أخى موسى لأنها كانت من نسله ، وهو كما تقول لرجل من قبيلة : يا أخا فلانة ، ومنه قول النبى ﷺ : ان أخا صداء اذن ، ومن أذن فهو يقيم وقال كعب الأحبار بحضرة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : ليست بأخت هارون أخى موسى ، فقالت عائشة : كذبت ، فقال لها يا أم المؤمنين : ان كان رسول الله ﷺ قاله فهو أصدق وأخبر ، والا فانى أجد بينهما من المدة ستمائة سنة ، قال : فسكتت[1] وقال قتادة : كان فى ذلك الزمن فى بنى اسرائيل رجل عابد منقطع إلى الله عز وجل يسمى هارون فنسبوها إلى أخوته من حيث كانت على طريقته ، قيل : اذ كانت موقوفة على خدمة البيع ، أى ياهذه المرأة الصالحة ، ما كنت أهلا لما أتيت به ، وقالت فرقة : بل كان فى ذلك الزمن فاجر اسمه هارون فنسبوها اليه على جهة التعيير والتوبيخ ، ذكره الطبرى و لم يسم قائله ، والمعنى : ماكان أبوك ولا أمك أهلا لهذه الفعلة فكيف جئت بها أنت ؟[2] .

إذن فنحن أمام عدة أقوال بعضها يستخدم الأخوة على حقيقتها وهارون المذكور أخو مريم من النسب ، والبعض يتخدمها على المجاز والكناية سواء كان هارون عبدا صالحا أو أخا موسى ، و لم يقل أحد كما رأينا انها تعنى أخت هارون أخا موسى على الحقيقة حتى يجىء هؤلاء المغفلون ويستنكروا ذلك على القرآن ويعتبروه خطأ فاحشا فالاستنكار عليهم والخطأ من فهمهم أو من حقدهم لأن أحدا لايقول أن مريم أم عيسى هى أخت هارون وموسى عليهم جميعا السلام لأن بينهم كما يقال ستمائة عام أو أكثر ، ولذلك تراجع

---

(١) أخرجه ابن ابى حاتم عن ابن سيرين (الدر المنثور) .

(٢) انظر فيما سبق : تفسير ابن عطية جـ٩ ص٤٥٩ / ٤٦١ .

كثير من مرددى هذه الدعوى القديمة عن ذكرها ، ولكن بعض المعاصرين يحييها وذلك دليل جهله وتخلفه .

ب – قول تيموثاوس : جاء فى القرآن فى سورة الكهف فى الحديث عن ذى القرنين قوله ﴿ **حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما** ﴾[1] . وعلق المجلس الملى القبطى على ذلك بهذه الجملة « الشمس تغيب فى بئر ؟ » مستغربا ومستنكرا ، ثم أكدوا ذلك بقول البيضاوى : إن الاسكندر الأكبر رآها ورأى طينها وماءها وناسا عرايا حولها . . .[2] والواقع أن هذا الادعاء باطل كسابقه ، وراجع – كغيره – إلى الجهل وسوء الفهم للغة العربية وألفاظها ودلالاتها وبلاغتها ، فلم يقل أحد أن الشمس تغيب فى بئر حقيقى كما فهموا وعبروا ، وانما التعبير تشبيه تمثيلى كأن الشمس عند الغروب على سطح المحيط ، وعند اختلاط الصفرة والحمرة من أشعتها مع ماؤ المحيط تبدو لمن يراها من بعيد كأنها تسقط فى عين حارة ملتهبة أو بئر متفجرة بالنيران ، وكثيرا ما رأينا الرسامين يعبرون فى لوحاتهم عن هذا المنظر (منظر الغروب) كما عبر عنه القرآن الكريم ، فالكلام ليس على الحقيقة ولكنه على التشبيه والتمثيل ، وحين رجعنا إلى التفسير وجدنا هذه المقولة من كلام كعب الأحبار الذى كان يهوديا ثم أسلم ، فبضاعتهم ردت اليهم ، واستغرابهم واستنكارهم يرجع إلى توراتهم ، قال ابن عطية : « قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم « فى عين حمئة » على وزن فعلة أى ذات حامية » ، وقرأ عاصم فى رواية أبى بكر والباقون « فى عين حمأة » أى حارة ، وقد اختلف فى قراءة ذلك معاوية وابن عباس ، فقال ابن عباس رضى الله عنهما « حمئة » ، وقال معاوية

---

(١) الكهف ٨٦ .

(٢) رد المفتريات على الاسلام ص١٢٨ .

« حامية » فبعث إلى كعب الأحبار ليخبرهم بالأمر كيف هو فى التوراة ؟ فقال لهما : أما العربية فأنتما أعلم بها منى[1] ، ولكنى أجد فى التوراة أنها تغرب فى عين ثأط ، والثأط الطين . . . وذهب الطبرى إلى الجمع بين الأمرين فقال يحتمل أن تكون العين حارة ذات حمأة فكل قراءة وصف بصفة من أحوالها . وذهب بعض البغداديين إلى أن فى بمنزلة عند كأنها مسامته من الأرض فيما يرى الرائى لعين حمئة[2] . وقال الدكتور عبد الجليل شلبى ، وما تقوله الآية هو أن هذا الرجل جال فى الأرض حتى وقف على شاطىء بحر أو محيط فرأى الشمس عندما تصل فى مرآه إلى الأفق تغيب فى الماء وان الماء الأزرق حيث تغيب الشمس تشوبه صفرة أو حمرة تجعله عكرا ، فهذه هى عين الماء الحمئة ، وليست البئر[3] نتبين من ذلك أن المقصود التشبيه والتمثيل وليس الحقيقة كما فهم رجال المجلس القبطى ، واذا فرض أنها على الحقيقة فهى من توراتهم كما روى عالمهم القديم كعب الأحبار .

ج – نسبوا إلى القرآن الكريم أخطاء تاريخية – فى زعمهم – كحديثه عن هامان الذى ذكره القرآن وزيرا لفرعون مع أنه كان بينه وبين فرعون ألف سنة و لم يكن وزيرا له ، بل كان وزيرا للملك أحشويروش ملك الفرس كما جاء فى سفر « استير » يشيرون بذلك إلى قوله تعالى : ﴿ **ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** ﴾[4] وقوله : ﴿ **وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب** ﴾[5] وللرد على هذا الزعم نقول : .

---

(١) هكذا يكون الأدب ، وكان الواجب على هؤلاء الجاهلين المعاصرين أن يقتدوا بسلفهم فى الأصل ، ويردوا علوم العربية وألفاظها إلى أهلها ماداموا لايفهمون .

(٢) تفسير ابن عطية جـ٩ ص٣٩٣ / ٣٩٤ .

(٣) رد مفتريات على الاسلام ص١٢٩ .

(٤) القصص ٨ .

(٥) غافر ٣٦ .

١ – لا مانع أن يكون هناك أكثر من شخص باسم هامان فى قرون مختلفة .

٢ – أن فرعون لقب لملك مصر فى زمن موسى عليه السلام ، وليس اسما لشخص فلا مانع أن يكون قد استوزر هامان أكثر من فرعون أو ملك .

٣ – انهم اعتمدوا على سفر من أسفار التوراة ، وقد علمنا من الفقرات السابقة أن القرآن أصدق منها لأنه محفوظ بعناية الله ، وهى امتدت اليها أيدى التحريف فلا يحتج بالمحرف على الصحيح ، بل العكس هو الصحيح ، وقد أكد ذلك الدكتور عبد الجليل شلبى فقال : جاء اسم هامان فى أوراق بردية[١] ، أما هامان استير فشخصية خيالية والدارسون المحدثون يثبتون أن قصة استير كلها قصة موضوعة خيالية لا أصل لها ورجحوا أنها مقتبسة من أسطورة بابلية قديمة ، ولكنها حورت إلى ما يناسب طبيعة اليهود من اعتمادهم على النساء فى التجسس ، ودفعهن إلى الملوك والقواد لاستمالة قلوبهم بجمالهن واغرائهم بمفاتن أجسادهن . . ويرى الباحثون أن القصة وضعت نموذجا لتحتذيه الاسرائيليات ، أما أدلة كذبها فهى أنها لم تذكر فى غير التوراة[٢] فليس هناك اذن خطأ تاريخى ولا غيره ، انما هو افك وافتراء اخترعه أعداء القرآن ليلحقوا به أى نقص ، وأنى لهم هذا ؟ .

د – ونصبوا أنفسهم حكاما على لغة القرآن – وهم الجاهلون بها وبأولياتها – فقالوا أن فى القرآن أخطاء لغوية منها رفع اسم ان كقوله ﴿ **إن هذان لساحران** ﴾[٣] ونصب الفاعل فى قوله ﴿ **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن** ﴾[٤] ، ونصب المضاف اليه فى قوله ﴿ **ولئن أذقناه نعماء**

---

(١) يريد أنه مصرى لا فارسى .

(٢) رد مفتريات على الاسلام ص١٥٨ / ١٥٩ .

(٣) طه ٦٣ .

(٤) البقرة ١٢٤ .

بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى ﴾[1] إلى نحو ذلك من السخافات والجهالات ، ولمزيد جهلهم سموها لغوية ، وانما هى – كما يريدون نحوية ، وهى تدل دلالة قاطعة على خيبتهم ورسوبهم فى امتحان أوليات النحو العربى حيث لم يفهموا الفاعل من المفعول به ، ولم يعرفوا الفرق بين المنصرف وغير المنصرف ، كما لم يعرفوا اعراب المثنى ، فابراهيم فى الآية الكريمة مفعول به لا فاعل لأن الله تعالى هو الذى ابتلاه ، وضراء مضاف اليه ولكنها من الممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة فتجر بالفتحة ولا تجر بالكسرة كما ظنوا ، أما اسم الاشارة : هذان بعد ان ففيه قراءات عديدة بالرفع بالألف ، وفى ان قراءات عديدة ، والبعض يعمل ان والبعض يلغى عملها ، والبعض يفسرها تفسيرات أخرى غير ان المؤكدة الناصبة[2] .

وهكذا فليس فى الأمر خطأ نحوى – كما زعموا – ولكن بعض ما زعموه جهل والبعض الآخر له تفسيرات أخرى وكلها صحيحة ومعروفة فى اللهجات العربية والنحو العربى وعند أهل الفن والاختصاص ، وأين هؤلاء من أولئك ؟ .

هـ – وأما مازعموه من وجود أخطاء تشريعية فى القرآن الكريم من مثل : عدم التسوية بين الرجل والمرأة فى الميراث وغيره ، وقطع يد السارق ، واباحة الطلاق وتعدد الزوجات ونحو ذلك ، فهو زعم باطل وضلال مبين ، ومرده إلى أمرين[3] : أحدهما انهم لم يفهموا حكمة التشريع الاسلامى العظيم ، والثانى : أنهم يفهمون ، ولكنهم بحقدهم على الاسلام يروجون بهذه الأباطيل إلى العلمانية لهدم الاسلام والقضاء على أحكامه وتشريعه ، ولا مانع من اجتماع الأمرين معا فيهم فهم يجمعون كما رأينا بين الجهل والعلمانية .

---

(١) هود ١٠ .

(٢) انظر فى ذلك : تفسير ابن عطية جـ ١٠ ص٤٧ــ ٤٩ .

(٣) انظر : التشريع الجنائى الاسلامى ص١٢ وما بعدها .

وبالرجوع إلى فلسفة التشريع الاسلامى العظيم يتبين جماله وعظمته فيما شرع وقرر وبين من أحكام ، فهو يسوى بين الذكر والأنثى فى جميع الأمور ولا يستثنى من ذلك الا أمورا خاصة قليلة تتناسب مع خصائص ومسئوليات كل نوع ، فهو انما ميز الرجل على المرأة فى الميراث لأنه ألقى على الرجل مسئوليات مالية كثيرة أعفى منها المرأة ، ولو قارنا بين مايبقى للرجل من الميراث بعد قيامه بمسئولياته وبين ما أخذته المرأة من الميراث لوجدنا أن حظ المرأة أعظم ، وهى التى كانت قبل الاسلام بلا ميراث ، وما تزال فى الغرب بلا نصيب .

وأما قطع يد السارق فلحماية المجتمع من خطره وحمايته أيضا من الهلاك ، فقطع يد سارق واحد زجرا له وردعا لغيره يقى المجتمع مما آل اليه أمره الآن فى ظل غياب هذا الحد الشرعى إلى كثرة السارقين وتفشى خطرهم ونهب أموال المجتمع حتى أصبح الحكام عاجزين عن تطبيق الحكم لأنهم سيحولون المجتمع إلى معوقين ، أى أنهم جميعا سارقون ، ولو أقيم حد الله لكان السارق مرة قد ردع وأمن المجتمع كله من هذا البلاء ، ونحن نعلم أن الاسلام لايطبق هذا الحد الا بعد استيفاء الجوانب والأدلة التى لا تجعل للسارق عذرا أو شبهة فيما فعل ، وهذا من عظمة الاسلام .

وأما اباحة التعدد فى الزوجات ، فقد أحاطها الاسلام بسياج العدل والتقوى وهو حينئذ علاج لكثير من الأوضاع الاجتماعية غير الصحيحة ، بدليل أن كثيرا من الأوربيين والأوربيات قد امتدحوه ، فأيهما أفضل : ان تكون المرأة زوجا أو خليلة وعشيقة ؟ وقد حرم الاسلام التعدد عند عدم العدل ليقى المرأة والمجتمع مما آل اليه أمره من الخيانات والأبناء غير الشرعيين .

وكذلك كانت اباحة الطلاق بابا لحل العقدة الزوجية ، وخروجا من عشرة غير موفقة وشركة غير مستقرة تنتهى به المشاكل وتستأنف بعده حياة

جديدة ، أما أن يبقيا على خلاف ونكد فى ظل تحريم الطلاق فذلك يدفع – كما هو واقع الأن – إلى الاجرام والجنايات الزوجية . ولذلك بدأت الصيحات تعلو فى البلاد التى تحرمه منادية بتحليله كما فعل الاسلام ، ونحن نعلم أن الاسلام لم يحله الا لحاجة وبعد استنفاد كل وسائل التفاهم والاصلاح[1] .

فأين الأخطاء التشريعية فى هذه الأساليب الحياتية الاجتماعية العظيمة ؟ ؟ .

و – ونسبوا إلى القرآن أخطاء أخلاقية منها أنه يبيح الكفر عند الاكراه عليه كقوله ﴿ **من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الله** ﴾[2] وكذبوا فى قولهم ان هذا خطأ أخلاق بل هو قمة الكرم الأخلاق والجمال الاسلامى ، فالمكروه لا حول له ولا قوة ازاء المكره القوى الظالم ، وهو بين أمرين كلاهما مر ، اما أن يموت فى سبيل اصراره على الاسلام ، أو يقول كلمة الكفر عند الضرورة ليخرج من المأزق ثم يستأنف الجهاد ، وكلمة الكفر فى هذه الحال أنفع للاسلام والمسلمين من ازهاق روح بريئة مسلوبة الارادة ، وفرق بين هذا وبين التضحية بالروح فى سبيل الاسلام والدعوة ، فهذه تضحية يحث عليها الاسلام ويرغب فيها ويجعلها اعظم الاعمال حين تقوم على الارادة الصادقة والنية المخلصة بينما المكروه لاحول له ولا ارادة ، فماذا يستفيد الاسلام من موته مكرها فى سبيل المبدأ ؟ ان الاسلام يقدم مصلحة الشخص وحياته فى هذا الموقف ويأذن له فى كلمة الكفر حتى يصبح حر الارادة فيموت بحريته أو يعيش مسلما بارادته ، وهذا موقف أخلاق أسمى وأعظم من الموت على الاسلام تحت الاكراه والظلم ، واذا رجعنا إلى سبب نزول

---

(١) انظر : كتابنا فى التشريع الاسلامى ص٨١ــ ٨٨ .

(٢) النحل ١٠٦ .

الآية وقفنا على الحق ، قال القاضى أبو محمد رحمه الله « كان عبد الله ابن ابى سرح ومقبس بن صبابة وأشباههما ممن كان آمن برسول الله ﷺ ثم ارتد ، فلما بين فى هذه الآية – السابقة على آيتنا – أمر الكاذبين بأنهم الذين كفروا بعد الايمان أخرج من هذه الصفة القوم المؤمنين المعذبين بمكة ، وهم بلال وعمار وسمية أمه وخباب وصهيب وأشباههم ، وذلك أن كفار مكة كانوا فى صدر الاسلام يؤذون من أسلم من هؤلاء الضعفة ، ويعذبونهم ليرتدوا فربما سامحهم بعضهم بما أرادوا من القول ، وروى أن عمار بن ياسر فعل ذلك فاستثناه الله فى هذه الآية ، وبقيت الرخصة عامة فى الأمر من بعده ، وروى أن عمار اشتد عليه ما قاله فكلم فيه رسول الله ﷺ ، فقال له : كيف كان قلبك حين قلت الذى قلت ؟ أكان منشرحا بالذى قلت أم لا ؟ قال : لا ، قال : وأنزل الله ﴿ **ألا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان** ﴾[1] وهكذا اتضح لنا ان الأمر كان صعبا والاكراه كان شديدا ، فأذن الله لهم ولمن فى مثل أحوالهم بذلك قولا أو فعلا ، وهذه رحمة من الله وفضل ، أما من ينشرح صدره لكلمة الكفر وبلا ضغط ولا اكراه ، فهو مغضوب عليه من الله وله عذاب عظيم .

ز – وادعوا أن فى القرآن أخطاء علمية لأنه يتعارض مع العلم ، فمن ذلك قوله : ﴿ **وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم** ﴾[2] ومعنى هذا أن الأرض ثابتة بينما أثبت العلم أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل أربع وعشرين ساعة .

وهذا ادعاء كاذب – كما نرى – فالقرآن الكريم لم يقل ان الأرض ثابتة ، وانما قال : ان فيها رواسى وهى الجبال تقيها من الاضطراب حتى يستطيع

---

(١) تفسير ابن عطية جـ٨ ص٥١٥ وهامش ص٥١٧ .
(٢) لقمان ١٠ .

البشر أن يقيموا عليها ويمارسوا كل أسباب الحياة من حل وترحال ونوم وحركة وصناعة وزراعة . . ، ولو كانت بلا رواسى لاضطربت وعجز الناس عن الاستقرار عليها ، ولا يعنى حفظها من الاضطراب بالجبال والرواسى والأوتاد أن تكون غير متحركة ، فنحن ننام فى الطائرة وهى مسرعة وفى القطار وهو يتحرك ، وفى السفينة وهى تمخر عباب البحر ، فإذا اضطرب واحد منها بخلاف سرعته المعتادة وحركته العادية استيقظنا وشعرنا بالدوار والتعب والخوف ، وقد نطلب من السائق أن يعمل شيئا يسكنها لتثبت ولا يعنى تثبيتها أن تقف ولا تتحرك ، بل أن ينقطع اضطرابها ، وتستمر حركتها ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحركة فى قوله تعالى : ﴿ **وكل فى فلك يسبحون** ﴾[1] وكل : كلمة تشمل الشمس وتوابعها من الأرض والقمر والكواكب الأخرى ، فالقرآن اذن يقرر حركة كل الكواكب والنجوم[2] وهو مع هذا يرسى حركتها ويمنعها من الاضطراب بل ان القرآن الكريم كان أول من لفت مدارك العلماء لوظيفة الجبال من أنها أثقال لتثبيت الأرض فى دورانها وحفظها من الاضطرابات[3] . فهل يقال بعد ذلك أنه يتعارض مع العلم ؟ وكيف يقال ذلك وجميع ما تم التوصل إليه من حقائق العلم سبق القرآن الكريم إليه ، وأخبر به ، وما يزال فيه الكثير من الحقائق لم يصل إليها العلم بعد . ولكن القرآن فى مسلكه بين مجالات العلم لا يتأرجح أبدا ، والحقائق التى يسوقها كانت وستظل لا تقهر[4] .

سابعا : ومن المطاعن الحديثة قول دى بوى : جاء القرآن للمسلمين بدين ولم يجئهم بنظريات ، وتلقوا فيه أحكاما ولكنهم لم يتلقوا فيه عقائد[5] .

---

(١) يس ٤٠ .
(٢) رد مفتريات على الاسلام ص ٣١ .
(٣) الاسلام فى مواجهة الاستشراق صـ ٥٧٦ .
(٤) مدخل إلى القرآن الكريم صـ ١٨٠ .
(٥) القرآن والنبى صـ ١٠٠ .

وما قاله مرجليوث وطه حسين من التشكيك فى الشعر الجاهلى لأنه لا يمثل البيئة الجاهلية وأن القرآن هو الذى يمثلها لينتهوا من ذلك إلى أنه عمل انسانى[1] .

أما مقوله دى بوى فبطلانها ظاهر ، فقد علمنا مما سبق بشمول الاسلام واتساقه فى عقائده وعباداته وأخلاقه وتشريعاته وأحكامه ، وتكاليفه بصورة لم يسبق اليها ولم يلحق بها ، وقد استطاع بما جاء به أن يخلق أمة ويبنى حضارة وينشر ثقافة فى بضع سنوات ، ونظرة منصفة إلى دستور الاسلام الحى « القرآن الكريم والسنة والنبوية » ترينا وترى كل مصنف ما فى الاسلام من نظريات وقوانين ومبادىء وقواعد تحقق لكل من يأخذ بها أسباب السعادة والأمن فى الدنيا والآخرة ، وكيف لا وهو تنزيل الحكيم الخبير وتشريع الرحمن الرحيم ، يقول الدكتور عبد الحليم محمود « فى هذه الفترة من صدر الإسلام – فترة حياة الرسول ﷺ – كان القرآن وكان الرسول ﷺ فى أحاديثه يلبيان حاجات الأمة اعتقادية كانت أو تشريعية أو خلقية ، وكانت الأسئلة تترى موجهة إلى الرسول ﷺ ، فيجيب عنها الوحى القرآنى تارة وتجيب عنها أحاديث الرسول ﷺ تارة أخرى ، واسئلة المجتمع اذ ذاك لم تكن تنتهى إلى حد ، وكانوا يسألون الرسول ﷺ فى كل صغيرة وكبيرة فقد سألوه عن الروح ، وسألوه فى القدر ، وسألوه عن الأزل ، وسألوه عن المصير وسألوه عن الله ، وعن الايمان والاسلام والاحسان والساعة وسألوه عن الخمر والميسر والمأكل والمشرب ، والأهلة والمحيض ، وسألوه عن كل ما يجول فى أذهانهم ، وكان القرآن سجلا يصور الكثير من الأسئلة ويعطى الاجابة عنها[2] . . ثم يقول : أظن أننا بعد هذا

---

(١) الظاهرة القرآنية صـ ٥٦ ، والفكر الاسلامى الحديث صـ ١٨٧ .

(٢) اقرأ الآيات التى صدرت بقوله تعالى : ﴿ يسألونك ﴾ وهى كثيرة .

لسنا فى حاجة إلى الرد على الأستاذ دى بوى ، فلقد رأينا بوضوح أن القرآن جاء للمسلمين بدين وبنظريات ، وبأحكام وبعقائد ، ولا شك أن الامام الرازى كان أصدق رأيا وأعمق غورا اذ يقول معبرا عن الحقيقة : « ان الآيات الواردة فى الأحكام الشرعية أقل من ستمائة آية ، وأما البواقى ففى بيان التوحيد والنبوة والرد على عبدة الأوثان وأصناف المشركين ، ويقول : وأما محمد عليه الصلاة والسلام فاشتغاله بالدلائل على التوحيد والنبوة والمعاد أظهر من أن يحتاج فيه إلى التطويل ، ولم يرفع الرسول ﷺ الا وقد أكمل الله دينه ، وأتم نعمته على المسلمين ، ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾[1] . لقد أكمل الله للمسلمين الايمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا وقد أتمه عز وجل فلا ينقصه أبدا ، وقد رضيه فلا يسخطه أبدا[2] » .

فدين هذا شأنه من الكمال والتمام ماذا ينقصه ؟ لقد صحح العقائد التى أفسدتها الأمم السابقة ، وقوم الشرائع التى انحرفت عنها الأمم السابقة ، وهدى الفطرة إلى اصلها الالهى بعد أن أفسدتها القوانين والفلسفات الوضعية ، ووضع نظاما للعبادة ونظاما للمال ، ونظاما للأسرة ، ونظاما للعقوبات ، ونظما للسياسة والاجتماع ، والعلاقات الدولية والحرب والسلام حتى نستطيع أن نقول بكل تأكيد وثقة ، لا تحتاج البشرية إلى شىء بقدر حاجتها إلى الاسلام ، وإذا أخذت به فلن تحتاج إلى شىء آخر ويقدم الدكتور دراز العديد من النظريات القرآنية والقواعد والمبادىء التى جاء بها[3] فمن ذلك قوله « ان النفس الانسانية لا تتغذى بالحقائق النظرية وحدها فبجانب حاجة

---

(١) المائدة ٣ .

(٢) القرآن والنبى صـ ٩٨ - ١٠٠ .

(٣) انظر : مدخل إلى القرآن الكريم صـ ١٠٦ - ١١٣ ، صـ ١٧٥ - ١٧٩ .

الانسان إلى المعرفة والاعتقاد يحتاج فى الحاح إلى القاعدة العملية القادرة على توجيه نشاطه فى كل لحظة من حياته ، سوا فى تصرفاته مع نفسه أو فى علاقاته مع غيره أو مع خالقه ، ولقد قدم القرآن إلى هذه الحاجة النظام الوافى بأوسع وأدق طريقة ممكنة ، وخط فى كل فرع من فروع النشاط الانسانى خطا واضحا يسلكه الانسان فى أمان واطمئنان[1] . ويقول رحمه الله : « اذا كان القرآن بعيدا عن أى عامل خارجى فقد أثر بصفة دائمة على عقول جد مختلفة ، فلابد أن يكون ذلك راجعا إلى ماله من جاذبية خاصة بتوافقه الكامل مع أسلوب الناس الفطرى فى التفكير والشعور ، وباستجابته لما تتطلع إليه نفوسهم فى شئون العقيدة والسلوك ، وبوضعه الحلول الناجعة للمشكلات الكبرى التى تقلق بالهم ، وبمعنى آخر لابد أنه ينطوى على ما يشبع حاجتهم إلى الحق والخير والجمال بما يجمع من صفات العمل الدينى والأخلاق والأدبى فى آن واحد »[2] .

وأما مرجليوث وطه حسين ، فقد قدم الأول فرضه عن الشعر الجاهلى القائم على الشك فيه والقول بأنه منتحل لأنه لا يصور البيئة الجاهلية تصويرا صحيحا ، ثم جاء طه حسين فى كتابه « فى الشعر الجاهلى » فكرر هذا الكلام ثم انتقل منه إلى القرآن فذكر أنه أصدق من الشعر الجاهلى فى تصوير البيئة يريد من وراء ذلك أن يصل إلى أنه عمل انسانى ، ثم يشكك فى قصة ابراهيم واسماعيل كما ذكرهما القرآن . أما القضية الثانية وهى القول بان القرآن عمل انسانى فقد بحثناها باستفاضة فى البند أولا من هذا الفصل . وأما القضية الأولى وهى التشكيك فى الشعر الجاهلى فانها تتناول القرآن الكريم بشكل أو بآخر ، ومن هنا كانت خطورة هذا المنهج الدراسى الغربى للشعر الجاهلى

---

(١) السابق : صـ ٨٧ .

(٢) السابق : صـ ٦٩ .

على القرآن الكريم ، وفى هذا يقول الشيخ محمود شاكر : « لقد نشر مرجليوث فرضه سنة ١٩٢٥ فى إحدى المجلات الاستشراقية ، وفى خلال عام ١٩٢٦ نشر طه حسين كتابه المشهور « فى الشعر الجاهلى » وربما لم يكن فرض مرجليوث ليحتوى على شيء خاص غير عادى لو أنه حين نشر لم يصادف ذلك الترحيب الحار من المجلات المستعربة ومن بعض الرسالات التى تقدم بها دكاترة عرب محدثون حتى لقد كسب هذا الفرض قيمة « المقياس الثابت » فى دراسة الدكتور صباغ عن « المجاز فى القرآن » فقد رفض هذا الدكتور رفضا مقصودا مغرضا الاعتراف بالشعر الجاهلى كحقيقة موضوعية فى تاريخ الأدب العربى ، فالمشكلة بوضعها الراهن اذن تتجاوز نطاق الأدب والتاريخ وتهم مباشرة منهج التفسير القديم كله ، ذلك المنهج القائم على المقارنة الأسلوبية معتمدا على الشعر الجاهلى كحقيقة لا تقبل الجدل »[1] .

إذن فنظرية مرجليوث التى شككت فى الشعر الجاهلى وجعلت بعض الدارسين ينكرونه على اعتبار أنه منتحل لاختلاف رواياته ، ولأنه لا يمثل البيئة الجاهلية ولأن فيه تقاربا مع الصور الدينية التى جاءت فى القرآن ، ثم منهج الشك الديكارتى الذى اعتمده طه حسين مضافا إلى فروض مرجليوث فى الشعر الجاهلى كان لهما تأثير على الثقة فى القرآن الكريم الذى كان كثيرا ماتقارن فصاحته وبلاغته ولغته بهذا الشعر ، وبذلك يصبح القرآن الكريم أيضا مجالا للشك ، ومن هنا وجدنا طه حسين ينكر قصة ابراهيم واسماعيل الواردة فى القرآن الكريم ولا يعتبر ورودها فيه كافيا لاثباتها .

ومن هنا قامت الدنيا وقعدت ابان ظهور هذه النظرية الخطيرة ، وبدأ البحث الفعلى الجاد عن جوانب أخرى فى اعجاز القرآن الكريم غير اللغة

---

(١) مقدمة الظاهرة القرآنية صـ ٥٦ / ٥٧ .

والبلاغة اللفظين اللذين سادا فى الشعر الجاهلى والأدب العربى عموما .

وقد ناقشنا قضية الاعجاز القرآنى برمتها فى البند ثالثا ، وبينا أن أعجازه متعدد لا يقتصر على اللفظ أو الأسلوب أو اللغة أو البلاغة أو المعنى والمحتوى أو النظم والتركيب أو الموضوعات والأخبار أو ما مضى وما سيأتى ، .... الخ وبينا أن ذلك الاعجاز الشامل مستمر إلى يوم القيامة بصرف النظر عن ثبوت الشعر الجاهلى أو الشك فيه .

وبهذا تبطل نظرية مرجليوث وطه حسين فى القرآن الكريم الذى لم يتأثر اعجازه بالشعر الجاهلى ولا غيره . . ولقد عبر « لامتز » فى كتابه « مهد الاسلام قبيل الهجرة » عن أسفه لأن هذا الكتاب لم يقدم معلومات أو تفاصيل توصف بها بلاده من حيث العلوم المناخية والجوية ، بينما يطيل تأملاته أمام النجوم والجبال والسحاب والمظاهر العادية الأخرى التى يصفها بالعجائب » ورد عليه الدكتور دراز رحمه الله فجعل هذا المأخذ حسنة من حسنات القرآن ودليلا من أدلة اعجازه وعظمته وبرهانا على أنه من عند الله وليس انتاجا محليا أو صورة للبيئة كما ادعى مرجليوث وطه حسين ، فقال : « وهنا يكمن فى رأينا الدليل على أن القرآن ليس انتاجا محليا لأن الحقائق التى يقدمها هى من النوع الذى يسهل على جميع العقول ادراكه واستخلاص الفائدة الأخلاقية منه ، ولهذا نرى مكانه سابقا فوق كل الاعتبارات الجغرافية والعنصرية وغيرها ، ولهذا أيضا لا يذكر عموما أسماء الأشخاص والأماكن التى يتحدث عنها ، ولا يركز الا على العبر والدروس التى تفيد فى تربية الانسان ، ان هذا المنهج الكامل والمتكامل الذى ينفرد به القرآن وحده هو فى ذاته برهان وأى برهان »[1] .

✲✲✲

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم صـ ١٨٠ / ١٨١ .

وبعـــد

فهذا هو القرآن الكريم كتاب الله ووحيه الذى قال فيه وقوله الحق : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾[1] ﴿ كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾[2] ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾[3] ﴿ يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾[4] ﴿ كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ﴾[5] ، ﴿ الكتاب الحكيم ﴾[6] و﴿ الكتاب المبين ﴾[7] و﴿ القرآن المجيد ﴾[8] ﴿ والذكر الحكيم ﴾[9] ﴿ موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾[10] ﴿ هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ﴾[11] ﴿ يهدى به الله من

---

(١) سورة هود ١ .
(٢) سورة البقرة ٢ .
(٣) سورة فصلت ٤٢ .
(٤) سورة الاسراء ٩ / ١٠ .
(٥) سورة الأعراف ٢ .
(٦) سورة يونس ١ .
(٧) سورة يوسف ١ .
(٨) سورة ق ١ .
(٩) سورة آل عمران ٥٨ .
(١٠) سورة يونس ٥٧ .
(١١) سورة البقرة ١٨٥ .

اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾[1] ، فـ ﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا . ماكثين فيه ابدا . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ﴾[2] ، ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾[3] ﴿ وصلى الله على سيدنا محمد الهادى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الله تصير الأمور ﴾[4] .

الحمد لله رب العالمين أولا وآخرا

✲✲✲

(١) سورة المائدة ١٦ .
(٢) سورة الكهف ١ – ٤ .
(٣) سورة الفرقان ١ .
(٤) سورة الشورى ٥٣ .

المراجع

١ – القرآن الكريم .

٢ – الاتقان فى علوم القرآن – السيوطى – الحلبى القاهرة ط٣ ١٩٥١ .

٣ – أجنحة المكر الثلاثة . – عبدالرحمن حبنكة . – دار القلم بيروت .

٤ – الاسلام فى مواجهة الاستشراق . – د . عبد العظيم المطعنى . – دار الوفاء بالمنصورة .

٥ – إعجاز القرآن – الباقلانى – الحلبى القاهرة .

٦ – الباكورة الشهية فى الروايات الدينية . – مجموعة من المستشرقين .

٧ – التبشير والاستعمار . – د . مصطفى خالدى ، د / عمر فروخ . – المكتبة العصرية بيروت .

٨ – التبيان فى آداب جملة القرآن – النووى – دار الصابونى .

٩ – التشريع الجنائى الاسلامى . – أ . عبد القادر عودة . – دار التراث . القاهرة .

١٠ – تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز – ابن عطية . – ادارة احياء التراث قطر .

١١ – تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) – ابن كثير . – دار احياء التراث العربى . بيروت .

١٢ – تاريخ القرآن – الزنجانى – الحلبى – القاهرة .

١٣ – الجامع لأحكام القرآن – القرطبى – الهيئة العامة للكتاب القاهرة .

١٤ – الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع – الخطيب البغدادى – مكتبة الفلاح الكويت .

١٥ – حقائق الاسلام وأباطيل خصومه . – عباس العقاد . – المكتبة العصرية . بيروت .
١٦ – خاتم النبيين . – محمد أبو زهرة . – ادارة احياء التراث . قطر .
١٧ – دراسات فى الثقافة الاسلامية . – د / محمد نبيل غنايم وآخرون . – مكتبة الفلاح . الكويت .
١٨ – رد مفتريات على الاسلام . – د / عبد الجليل شلبى . – دار القلم – الكويت .
١٩ – سنن ابن ماجة بتحقيق الألبانى . – ابن ماجة . – المكتب الاسلامى – بيروت .
٢٠ – شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبى العز الحنفى – – المكتب الاسلامى – بيروت .
٢١ – الصحاح فى اللغة والعلوم . – نديم وأسامة مرعشلى . – دار الحضارة العربية – بيروت .
٢٢ – صحيح مسلم بشرح النووى . – النووى – – المطبعة المصرية بالقاهرة .
٢٣ – الظاهرة القرآنية . – مالك بن نبى . – الاتحاد الاسلامى العالمى .
٢٤ – علوم القرآن – د . عبد الله شحاتة – نهضة الشرق – جامعة القاهرة .
٢٥ – عيون البارى لحل أدلة صحيح البخارى . – صديق خان . – ادارة أحياء التراث . قطر .
٢٦ – فتح القدير – الشوكانى – دار الفكر .
٢٧ – الفكر الاسلامى الحديث . – د / محمد البهى . – مكتبة وهبة – القاهرة .
٢٨ – فى التشريع الاسلامى . – د / محمد نبيل غنايم – – دار الهداية – القاهرة .

٢٩ – القرآن والمبشرون . – محمد دروزه – – المكتب الاسلامى – بيروت .
٣٠ – القرآن والنبى . – د / عبد الحليم محمود . – دار المعارف بالقاهرة .
٣١ – كتاب دول الاسلام – – الذهبى – – ادارة احياء التراث الاسلامى – قطر .
٣٢ – لباب النقول فى أسباب النزول – – السيوطى – – هامش المصحف الشريف . دار الشروق .
٣٣ – مبادىء أساسية لفهم القرآن – المودورى – دار القلم الكويت .
٣٤ – مباحث فى علوم القرآن – د / صبحى الصالح – دار العلم للملايين .
٣٥ – مدخل إلى القرآن الكريم – – د / محمد عبد الله دراز . – دار القلم – الكويت .
٣٦ – المستشرقون – – نجيب العقيقى – جـ ٣ – – دار المعارف – بالقاهرة .
٣٧ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن – محمد فؤاد عبد الباقى – دار الفكر .
٣٨ – المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية – ط٢ القاهرة .
٣٩ – مقدمة الظاهرة القرآنية – – محمود شاكر – – الاتحاد الاسلامى العالمى .
٤٠ – مناهل العرفان فى علوم القرآن – الزرقانى – عيسى الحلبى ط٣ القاهرة .
٤١ – النبأ العظيم – – د / محمد عبد الله دراز – دار القلم – الكويت .

✲✲✲

صدر للمؤلف من الكتب والبحوث مايأتى

١ – دراسات فى الثقافة الإسلامية مكتبة الفلاح الكويت
٢ – دراسات فى السنة النبوية مكتبة الفلاح الكويت
٣ – دراسات اقتصادية فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية مكتبة دار العلوم – السعودية
٤ – العبادات وأثرها فى تحقيق التضامن بين المسلمين مكتبة المنار – الاردن
٥ – من فقه القرآن الكريم دار الهداية – مصر
٦ – فى التشريع الإسلامى دار الهداية – مصر
٧ – دراسات فى التفسير دار الهداية – مصر
٨ – بحوث فى علوم القرآن دار الهداية – مصر
٩ – من فقه السنة النبوية فى الحدود مكتبة النصر – مصر
١٠ – الرسالة للإمام الشافعى تحقيق ودراسة مركز الأهرام للترجمة والنشر
١١ – أضواء على الإسراء والمعراج حوليه كلية الشريعة – قطر
١٢ – مع طه حسين فى كتابه الشيخان حوليه كلية الشريعة – قطر
١٣ – العلاقات الاسلامية اليهودية فى عصر الرسول ﷺ حوليه مركز بحوث الثقه والسيره – قطر
١٤ – المعجزات الحسية للرسول ﷺ والرد على منكريه حوليه مركز بحوث الثقه والسيره – قطر
١٥ – حكم تعدد الكفارة مع تعدد المقتول حوليه مجمع الفقه الإسلامى
١٦ – القديم والجديد فى فقه الإمام الشافعى حوليه كلية دار العلوم
١٧ – المزنى وأثره فى الفقه الشافعى رسالة الماجستير كلية دار العلوم
١٨ – مدارس مصر الفقهية فى القرن الثالث الهجرى رسالة الدكتوراه كلية دار العلوم
١٩ – عشر كتب فى التربية الدينية وزارة التربية بدولة الكويت
٢٠ – كتابان فى التربية الدينية وزارة التربية مصر

الفهرس

الصفحة

تقديم ..... ٥ – ٨
القسم الأول فى علوم القرآن ..... ٩ – ١٠
البحث الأول فى التعريف بالقرآن وعلوم ومقاصده ..... ١١ – ٣٦
١ – تعريف القرآن ١١
٢ – أسماؤه ١٣
٣ – صفاته ومعانيها ١٦
٤ – سورة وآياته وأقسامه ٢٠
٥ – جمعه وترتيب آياته وسوره ٢٤
٦ – علوم القرآن بدايتها وتطورها ٢٧
٧ – أغراض القرآن ومقاصده ٣١
البحث الثانى فى نزول القرآن ..... ٣٧ – ٥٤
١ – مراحل النزول الثلاث ٣٨
٢ – كيفيات نزول الوحى ٤٠
٣ – المكى والمدنى وخصائص كل منهما ٤١
٤ – أول ما نزل وآخر ما نزل ٤٤
٥ – مناسبات وأسباب النزول ٤٧
٦ – الأحرف السبعة التى نزل بها ٤٨
البحث الثالث فى كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه ..... ٥٥ – ٦٢
١ – كتاب الوحى ٥٦
٢ – جمع أبى بكر الصديق للقرآن ٥٧
٣ – جمع عثمان للقرآن ٥٨

٤ – استمرار العناية بكتابة القرآن ورسمه ٥٩
٥ – التنقيط والتشكيل والتحسين ورءوس السور ٦٠
٦ – طباعة القرآن ٦٢
البحث الرابع فى المحكم والمتشابه ..... ٦٣ – ٨١
١ – معانيها عند العلماء والراجح منها ٦٣
٢ – أسباب التشابه وأنواعها ٦٨
٣ – نموذجان من المتشابه : فواتح السور ، وصفات الله ٧٢
٤ – الحكمة من وجوه التشابه فى القرآن ٧٨
٥ – موقفنا من المحكم والمتشابه ٨٠
البحث الخامس فى الناسخ والمنسوخ ..... ٨٣ – ٩٤
١ – معناها ٨٣
٢ – أهمية معرفتهما ٨٤
٣ – الحكمة من وقوعه ٨٥
٤ – مجالاته ٨٧
٥ – أقسامه وأنواعه ٨٧
٦ – شروطه وضوابطه ٩١
٧ – نسخ القرآن بالسنة ٩٢
البحث السادس فى إعجاز القرآن ..... ٩٥ – ١٠٧
١ – معنى الإعجاز وهدفه ٩٥
٢ – أهميته ٩٦
٣ – التدرج فيه ٩٦
٤ – أقوال العلماء فى وجوه الإعجاز ٩٩
٥ – الحكمة من الإعجاز ١٠٦
٦ – المقدار الذى يقع به الإعجاز ١٠٦
البحث السابع فى الفضائل والآداب الخاصة بالقرآن ..... ١٠٩ – ١١٨

١ – فضائله وفضائل حملته ١٠٩
٢ – تعلمه وتعليمه ١١١
٣ – سجداته ١١٤
٤ – الآداب العامة ١١٦
٥ – السور والآيات التى يستحب قراءتها ١١٦
٦ – محرمات ١١٧
القسم الثانى من أساليب الغزو الفكرى الطعن فى القرآن الكريم ١١٩
٢ – الفصل الأول : الغزو الفكرى ..... ١٢١ – ١٣٤
الغزو الفكرى ماضيه وحاضره ١٢١
تاريخ الغزو الفكرى ١٢٤
أهداف الغزو الفكرى ١٢٧
وسائل الغزو الفكرى ١٢٩
أنواع الغزو الفكرى ١٣٢
٣ – الفصل الثانى : مطاعن الغزاة فى القرآن الكريم ١٣٥
لماذا الطعن فى القرآن ١٣٥
بداية الطعن فى القرآن ١٣٦
ماذ يقول الغزاة عن القرآن ١٤٠
القرآن ليس وحيا ولكنه من عمل محمد ١٤٠
القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل ١٤١
القرآن ليس معجزا ولكنه عمل نادر ١٤٣
القرآن قد حرف وبدل ١٤٣
القرآن يناقض بعضه بعضا ١٤٤
القرآن يتعارض مع العلم ١٤٥
القرآن لم يأت بنظريات ١٤٨
٤ – الفصل الثالث : تفنيد المطاعن السابقة والرد عليها ..... ١٤٩ – ٢٢٦

أولا : قولهم ان القرآن ليس وحيا وأنه من عمل محمد ١٤٩
ثانيا : قولهم ان القرآن مقتبس من التوراة والانجيل ١٧٠
ثالثا : قولهم ان القرآن ليس معجزا ولكنه عمل نادر ١٨١
رابعا : قولهم ان القرآن قد حرف وبدل ١٩٢
خامسا : قولهم أن القرآن يناقض بعضه بعضا ٢٠٠
سادسا : قولهم أن فى القرآن أخطاء كثيرة وأنه يتعارض مع العلم . ٢٠٩
سابعا : قولهم أن القرآن لم يأت بنظريات ٢١٩
٥ - المراجع ..... ٢٢٧ - ٢٢٩
٦ - كتب للمؤلف ٢٣٠
٧ - الفهرس ٢٣١